

UNIVERSAL
LIBRARY

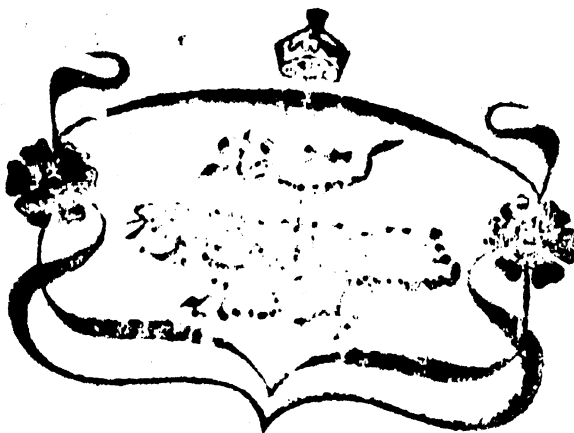
OU-234338

UNIVERSAL
LIBRARY

٢٩٢٥٨١
٢

مدر
مدر

كتاب اعلام النبوة



فهرسة كتاب اعلام النبوة للعلامة الماوردي

٣	الباب الاول في مقدمة الادلة وفيه أربعة فصول
٦	الباب الثاني في معرفة الاله المعبود وجل شأنه
١١	الباب الثالث في صحة التكليف
١٤	الباب الرابع في اثبات النبوات
٢٧	الباب الخامس في مدة العالم وعيسى الرسل
٣٧	الباب السادس في اثبات نبوة نوح الانبياء محمد عليه أفضل الصلاة والسلام
٤٠	الباب السابع فيما تضمنه القرآن من أنواع انجازه صلى الله تعالى عليه وسلم
٥٣	الباب الثامن في معجزات عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم
٥٩	الباب التاسع فيما شاهده من معجزات أفعاله صلى الله تعالى عليه وسلم
٦٤	الباب العاشر فيما سمع من معجزات أقواله صلى الله تعالى عليه وسلم
٧٥	الباب الحادي عشر فيما كرم به صلى الله تعالى عليه وسلم من اجابة أدعيته
٨١	الباب الثاني عشر في انذاره صلى الله تعالى عليه وسلم بما سيحدث بعده
٨٣	الباب الثالث عشر في معجزه صلى الله تعالى عليه وسلم بما ظهر من البهائم
٨٦	الباب الرابع عشر في ظهور معجزه صلى الله تعالى عليه وسلم من الشجر والجماد
٩٠	الباب الخامس عشر في بشارت الانبياء عليهم السلام بنبوته صلى الله تعالى عليه وسلم
١٠٠	الباب السادس عشر في هتوف الجن بنبوته صلى الله تعالى عليه وسلم
١٠٧	الباب السابع عشر فيما هجمت به النفوس من الهام العقول بنبوته صلى الله تعالى عليه وسلم
١١٨	الباب الثامن عشر في مبادئ نسبه وطهارة مولده صلى الله تعالى عليه وسلم
١٣٤	الباب التاسع عشر في آيات مولده وظهور بركته صلى الله تعالى عليه وسلم
١٤٢	الباب العشرون في شرف أخلاقه وكمال فضائله صلى الله تعالى عليه وسلم
١٥٦	الباب الحادي والعشرون في مبدأ بعثته واستقرار نبوته عليه الصلاة والسلام

٥٦٤

(اعلام النبوة)

للمشـيخ الامام العلامة تقودوة أبي الحسن

علي بن محمد الماوردي الشافعي

تغمده الله برحمته وأفاض

علينا من بركاته

آمين

(قال في كشف الظنون)

اعلام النبوة للشيخ الامام أبي الحسن علي بن محمد الماوردي
الشافعي المتوفى سنة ٤٥٠ وهو مختصر أوله (الحمد لله الذي أحكم
ما خلق الخ) اشتمل على أمرين أحدهما فيما اختص باعلام النبوة
والثاني فيما يختلف من أقسامها وأحكامها مشتملا على أحد
وعشرين بابا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أحكم ما خلق و قدر وعدل فيما قسم و دبر وأنذر بما أنشأ وأظهر
واستأثر بما أخفى وأسر وأنعم بما أمر وحظر وأرشد إلى انذاره بنوعى تفضيل
تميزهم ما جنس البشر عن كل حيوان بهم وهما نطق يقضى إلى الفهم وعقل يؤدى
إلى العلم ليعان بهم على ما كلف من أوان التعب فيصل بالعقل إلى علمه
واستعلامه وبالنطق إلى فهمه واستفهامه فيصير مهياً لقبول ما كلف من
التعارف ومعاناه على ما تعبده من الشرائع نعمة بها قطع الاعتذار وعم بها
المصالح ليكون الخلق على رغب يدعواهم إلى الطاعة ورهب يكفهم عن العصية
فيعم الخير بالرغبة وينحسم الشر بالرهبة وهذا لا يستقر في النفوس إلا برسل
مبلة عن الله ثوابه فيما أمر وعقابه فيما حذر فوجب أن يوضح في اثبات
النبوات ما ينتفى عنه ارتياب مغرور وشبهة معاند * وقد جعلت كتابي هذا
مقصوداً على ما أفضى ودل عليه ليكون عن الحق موضحاً وللسرائر مصححاً وعلى
صحة النبوة دليلاً ولشبهة المستريب مزيلاً وجعلت ما تضمنه مشتملاً على أمرين

أحدهما اختص باثبات النبوة من اعلامها والثاني فيما يختلف من أقسامها
وأحكامها ليكون الجمع بينهما أنفي للشبهة وأبلغ في الابانة وجعلت ما تضمنه
هذا كتابا مشتملا على أحد وعشرين بابا (الباب الأول) في مقدمة الأدلة (الباب
الثاني) في معرفة الإله المعبود (الباب الثالث) في صحة التكليف (الباب الرابع)
في اثبات النبوات (الباب الخامس) في مدد العالم وعدة الرسل عليهم الصلاة
والسليم (الباب السادس) في اثبات نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم (الباب
السابع) فيما تضمنه القرآن من أنواع إعجازه (الباب الثامن) في معجزات
عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم (الباب التاسع) فيما شوهه من معجزات أفعاله
صلى الله تعالى عليه وسلم (الباب العاشر) فيما سمع من معجزات أقواله صلى الله
تعالى عليه وسلم (الباب الحادي عشر) فيما أكرمه الله تعالى به من اجابة دعوته
صلى الله تعالى عليه وسلم (الباب الثاني عشر) في انذاره بما يستحدث بعده صلى الله
تعالى عليه وسلم (الباب الثالث عشر) في معجزه صلى الله تعالى عليه وسلم بما ظهر
من البهائم (الباب الرابع عشر) في ظهور المعجز من الشجر والجناد (الباب
الخامس عشر) في بشارت الانبياء عليهم الصلاة والسلام بنبوته صلى الله تعالى عليه
وسلم (الباب السادس عشر) في هتوف الجن بنبوته صلى الله تعالى عليه وسلم
(الباب السابع عشر) فيما هجمت النفوس من الهام العقول بنبوته صلى الله تعالى
عليه وسلم (الباب الثامن عشر) في مبادئ نسبه وطهارة مولده صلى الله تعالى
عليه وسلم (الباب التاسع عشر) في آيات مولده وظهور بر كته صلى الله تعالى عليه
وسلم (الباب العشرون) في شرف أخلافه وكمال فضائله (الباب الحادي
والعشرون) في مبتدأ بعثته واستقرار نبوته * وأنا أسأل الله تعالى حسن معونته
وأرغب اليه في توفيقه وهدايته وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وهو
حسبي ونعم الوكيل

(الباب الأول في مقدمة الأدلة)

والأدلة ما أوصات الى العلم بالمدلول عليه والدلائل معلوم بالعقل والمدلول عليه
معلوم بالدلائل فيكون العقل موصلا الى الدليل وايس بدليل لان العقل أصل كل

معلوم من دليل ومدلول عليه. ولذلك سمي أم العلم فصار العقل مستدلا وان لم يكن دليلا والعلم الحادث عنه ما يتميز به الحق من الباطل والصحيح من الفاسد والممكن من الممتنع وهو على ضربين علم اضطرار وعلم اكتساب فأما علم الاضطرار فهو ما أدرك به داهية العقول وهو نوعان أحدهما ظاهري وخبري متواتر وعلم الحس متأخر عن العقل وعلم الخبر متقدم عليه ولا يفتقر إلى الاضطرار إلى نظره واعتدال لا دزأكه ببيمه العقل ويشارك فيه الخاصة والعامة ولا يتوجه إليه بخدول تحسين المطالبة به بدليل لانه غاية لتناهي النظر

(فصل مدلل) وأما علم الاكتساب فطريقه النظر والاستدلال لانه غير مدرك ببيمه العقل فصح أن يتوجه إليه الاعتراض فيه بطلب الدليل عليه ولذلك لم يتوصل إليه الا بالنظر والاستدلال وهو على ضربين أحدهما ما كان من قضايا العقول والثاني ما كان من أحكام السمع فأما قضايا العقول فضربان أحدهما ما علم استدلالا بضرورة العقل والثاني ما علم استدلالا بدليل العقل فأما المعلوم بضرورة العقل فهو ما لا يجوز أن يكون على خلاف ما هو به كالتوحيد فيوجب العلم الضروري وان كان عن استدلال للوصول إليه بضرورة العقل وأما المعلوم بدليل العقل فهو ما يجوز أن يكون على خلاف ما هو به كآحاد الانبياء اذا ادعى النبوة فيوجب علم الاستدلال ولا يوجب علم الاضطرار لحدوثه عن دليل العقل لانه ضروريته واختلاف في أصل النبوات على العموم هل يعلم بضرورة العقل أو بدليله على اختلافهم في التعبد بالشرائع هل اقترن بالعقل أو بعقبه فذهب من جعله مقترنا بالعقل إلى إثبات عموم النبوات بضرورة العقل وذهب من جعله متأخرا عن العقل إلى إثباتها بدليل العقل وذهب أصحاب الالهام إلى إسقاط الاستدلال بقضايا العقول وجعلوا إثبات المعارف بالالهام أصلا يغني عن أصل وهذا فاسد بشمول الله تعالى فاعتبروا يا أولى الابصار فجعله بالاعتبار مدركا دون الالهام ويقال لمن أثبت المعارف بالالهام لم قلت بالالهام فان استدلالنا قض فان قال قائله بالالهام قيل له انفصل عن أسقط الالهام بالالهام وعن قال في الالهام بغير الهامك في جميع أقوالك فلا تجد فضلا وكفى بذلك فسادا

(فصل) فاذا ثبت ان كلا الضربين مدرك بقضية العقل فيما علم بضرورته من التوحيد أو بدليله من النبوة صار بعد العلم به واجبا واختلاف في وجوبه هل وجب بما صار معلوما به من قضية العقل أو بالسمع فذهب قوم الى وجوب التوحيد والنبوة بالعقل كما علم بالعقل ويكون التوحيد وعموم النبوات قبل السمع فرضا وذهب آخرون الى وجوبهما بالسمع وان علم بالعلم قل لان الوجوب تعبد لا يثبت الا بالسمع واختلاف من قال به في وجوب ورود السمع به فاجبه بعضهم ولم يوجب به آخرون منهم وأسقطوا فرض التوحيد عن العقلاء اذ لم يرد سمع بايجابه وذهب آخرون الى ان ما علم بضرورة العقل من التوحيد واجب بالعلم قل وما علم بدليل العقل من النبوة واجب بالسمع لان التوحيد أصل والنبوة فرع والاجتهاد فيهما فرض على أعيان ذوى العقول اذا اقترن بكال عقله قوة الفطنة وصحة الروية فيستغنى بكال عقله وصحة رويته عن تنبيه ذوى العقول الى معرفة أصله باجتهاد عقله من اضطرار أو استدلال الى قضايا العقول ليصير عالمها أو مستغنيا عن عقل غيره فيها وان ضعف فطنته وقلت رويته لزمه أن يتنبه بذوى العقول على الوصول اليها بعقله لا بعقولهم فيعلمها بالتنبيه كما علمها غيره بالنظر وان لم يصل اليها بالتنبيه فليس بكامل العقل ويصير تبع الذوى العقول لان عدم الموجب دال على سقوط الموجب

(فصل) والعقل هو ما أفاد العلم بموجباته وقيل بل هو قوة التمييز بين الحق والباطل وقيل هو العلم بمخفيات الامور التي لا يوصل اليها الا بالاستدلال والنظر وهو ضربان غريزي هو أصل ومكتسب هو فرع فأما الغريزي فهو الذي يتعلق به التكليف ويلزم به التعبد وأما المكتسب فهو الذي يؤدي الى صحة الاجتهاد وقوة النظر ويمتنع أن يتجرد المكتسب عن الغريزي ولا يمتنع أن يتجرد الغريزي عن المكتسب لان الغريزي أصل يصح قيامه بذاته والمكتسب فرع لا يصح قيامه الا باصله ومن الناس من امتنع من تسمية المكتسب عقلا لانه من نتائج الاعتبار بالنزاع في التسمية اذا كان المعنى مسلما

(فصل) وأما أحكام السمع فأخوذة عن يلزم طاعته من الرسل والعقل

مشروط في التزامها وان لم يكن السمع مشروطا في قضايا العقول وما يتضمنه
 السمع نوعان تعبد وانذار فالتعبد الاوامر والنواهي والانذار الوعد والوعيد
 فان جمع الرسول بين التعبد والانذار فهو الشرع الكامل المعنى عن غيره وان
 انفرد بالتعبد دون الانذار فان تقدمه انذر غيره كمال الشرع بتعبده وانذار من
 تقدمه وان لم يتقدمه انذار من غيره اما في مبادئ النبوات اوفى من لم تبلغهم
 دعوة الانبياء فقد اختلف في قضايا العقول هل تقتضي الثواب على الطاعة
 والعقاب على المعصية، فذهب فريق الى اقتضاء ذلك فعلى هذا يكون شرعا مل
 بتعبد الرسول وانذار العقول وذهب فريق الى أن قضايا العقول لا تقتضي ثوابا
 ولا عقابا فعلى هذا اختلف في التعبد هل يكون مستحقا على ما تقدم من نعم الله
 تعالى على خلقه أو لجزء مهتم قبل فذهب فريق الى استحقاقه بسابق النعمة
 فان وعد الله تعالى ثوابا عليه كان تفضلا منه يستحق بالوعد دون التعبد فعلى هذا
 يكون التعبد فرضا مستحقا يقتضي تركه عقابا وان لم يقتض فعله ثوابا وذهب
 آخرون الى استحقاقه بما يقابل من الجزاء بالثواب عليه وما تقدم من النعمة
 تفضل منه فعلى هذا يكون التزام التعبد مستحبا وليس بمستحق فلا يلزم على تركه
 عقاب كما لم يستحق على فعله ثواب لانه لم يقترن به وعد بثواب يوجب التزام التعبد
 وان انفرد الرسول بالانذار دون التعبد فالانذار لا يكون الا على فعل والا كان عبثا
 لا يصدر عن كليم فان كان انذاره على شرع تقدمه تضمن انذاره اثبات ذلك
 الشرع وكان هذا المنذر من أمة ذلك المتعبد وان كان المتعبد قد انذر كان هذا
 الانذار تأكيذا ولم يحتاج هذا المنذر الى اظهار معجز وان لم يكن المتعبد قد انذر
 تكامل شرع المتعبد بانذار المتأخر وتكامل انذار المتأخر بتعبد المتقدم واحتاج
 هذا المنذر الى اظهار معجز الى انذاره موجب لكمال الشرع وان انذر المتأخر على
 فعل الخير واجتناب الشر خرج عن حكم الشرع الى الوعظ والزجر بأمر الهى
 يستحق له بسط اليد في الانكار واستيفاء ما تضمنه الانذار

(الباب الثاني في معرفة الاله المعبود)

لا يصح التعبد بعبثة الرسل إلا بعد معرفة المعبود المرسل ليعلم أنهم رسل مطاع

معبود في طاعوا القرض طاعة المعبود والمعبود هو الله عز وجل المنعم على عباده
 بما كفهم من عبادته وافترض عليهم من طاعته بعد النعمة عليهم بخلق ذواتهم
 والارشاد الى مصالحهم واسألهم علم اضطرار يدرك ببداية القول وعلم
 اكتساب يدرك بالفكر والنظر. ولما كانوا محجوبين عن ذاته لم يدركوه ببداية
 الحواس اضطراراً وقد ظهر من اظهار آثار صنعته واتقان حكمته ما يوصل الى
 معرفة ذاته ولو كانت كآلة كآلة الاعتبار والنظر ولو شاء الخلق ما يدرك
 ببداية الحواس لكن معرفته بالاستدلال بلغ في الحكمة لظهور التبيان في الرتبة
 فلذلك ما امتنع الوصول الى معرفته اضطراراً ووصل اليها استدلالاً واكتساباً
 يخرج عن بداية القول الى استدلال معقول وهو الذي يؤدي الى معرفته جل
 جلاله ثلاثة فصول أحدها أن العالم محدث وليس بقديم والثاني أن للعالم محدثاً
 قديماً والثالث انه واحد لا شريك له فاما الفصل الاول في حدوث العالم
 فالحديث ما كان له أول والقديم ما لا أول له والدليل على حدوث العالم شيان
 أحدهما ان العالم جواهر وأجسام لا تنفك عن أعراض محدثة من اجتماع واقتراق
 وحركة وسكون وانما كانت الأعراض محدثة لا مبرين أحدهما انه لا يصح قيامها
 بذواتها والثاني لوجودها بعد عدمها وزوالها بعد وجودها وما لم ينفك عن
 الأعراض المحدثه لم يسبقها لانه لو سبقها كان لا محتمل ولا منقراً ولا متحرراً
 ولا ساكناً وهذا مستحيل فاستحال سبقه وما لم يسبق المحدث فهو محدث (فان
 قيل) فليس يستلزم أن تكون الحوادث الماضية لا أول لها فلم يلزم حدوث العالم
 (قيل) اذا كان لكل واحد من الحوادث أول استحتم أن لا يكون لجميعها أول لانها
 ليست غير آحادها فصار جميعها محدثة لانها ذات أول محدثة والدليل الثاني
 على حدوث العالم وجوده محدود امتناهي الأجزاء والابحاض وماتناهي أجزاءه
 وأمكن توهم الزيادة عليه والنقصان منه كان تقديره على ما هو به دليل على أن
 غيره قدره اذ ليس كون ذاته على صفة بأولى من كونه على غير ما هو لا تدبر غيره لها
 (فان قيل) فلم لا كانت طبيعته قديمة وأعراض تركيبه وتصويره حادثة كفعال الله
 تعالى حادثة عن ذاته القديمة (قيل) لان حدوث أعراضه فيه وهو لا ينفك منها

فصار محدثا بما أو أفعال الله تعالى حادثة في غيره فلم يمنع حدوثها من قدمه ولو حدثت
فيه لمنعت من قدمه **وهو** وأما الفصل الثاني **في** أن للعالم محدثا قديما فالدليل
على أن له محدثا قديما شيان أحدهما أنه لا استحالة أن يكون العالم محدثا لذاته
لا فضائه إلى وجوده قبل حدوثه دل على أن محدثه غيره والثاني أن وجوده لم يكن
يوجب أن يقتضي موجدا كما يقتضي المبنى بنايها والمصنوع صانعا والدليل على
قدم محدثه شيان أحدهما أنه لا أول له ومالا أول له قديم والثاني أنه لو لم يكن
قديما لاحتاج إلى محدث ولا احتاج محدثه إلى محدث ولا تنتهي إلى مالا غاية له
فامتنع وثبت قدمه أنه لم يزل ولا يزال فلم يكن له أول ولا يـ يكون له آخر وإذا كان
محدثه قديما نوجب أن يكون قادرا مريدا والدليل على قدرته أنه يصح منه أن
يفعل ولا يفعل مع انتفاء الموانع وقد فعل فدل وجود الفعل منه على قدرته عليه
والدليل على أنه مريد أنه لما وجد منه الفعل وهو غير ساه ولا مكره ولا عايت لا انتفاء
السهو عنه بعلمه وانتفاء الإكراه عنه بقدرته وانتفاء العيب عنه بحكمته دل على
إرادته كما كانت كتابة الكاتب مع انتفاء هذه العوارض دليلا على إرادته كتابته
فصار أحداثه للعالم دليلا على قدمه وحدث أفعاله وقدمه يوجب أن تكون
صفات ذاته قديمة لقدمه وحدث أفعاله يوجب أن تكون صفات أفعاله محدثة
وهو وأما الفصل الثالث **في** أنه واحد لا شريك له ولا مثل فالدليل عليه شيان
أحدهما أن عموم قدرته شامل لجميع المحادثات فوجب أن يكون محدث بعضها
محدثا لجميعها إذ ليس بعضها بأخص بقدرته من بعض فأوجب تكافؤ الأمرين
عموم الجميع والثاني أنه لو كان معه غيره لم يخل أن يكون مماثلا أو مخالفا فان
خالفه بطل أن يكون قادرا وإن ماثله استحالة وجود أحداث واحد من محدثين
كما استحالة وجود حركة واحدة من متحركين وذهب الثنوية من المتبانية إلى
إثبات قديمين هما عندهم نور وظلمة يحدث الخير عن النور والشر عن الظلمة وهذا
فلسد من وجهين أحدهما أن النور والظلمة لا ينفكان أن يكونا جسما أو جوهر
أو عرضا وجميعهما محدثة فدل على حدوثهما والثاني أن الظلمة ليست بذات
وانما هي فقد النور عما يقبل النور ولهذا إذا فقدنا النور في الهواء تصورناه مظلم

فلم يجز أن يوصف بقدوم ولا يضاف اليها فعل وذهب المجوس الى أن الله تعالى
 والشيطان فاعلان فالله تعالى فاعل الخير وخالق الحيوان النافع والشيطان
 فاعل الشر وخالق الحيوان الضار قالوا لان فاعل الشر شرير ويتعالى الله عن
 هذه الصفة وجعلوا الله تعالى جسماء وان كان قديماً واختلفوا في قدم الشيطان
 فقال به بعضهم وامتنع من قدمه زرادشت وأكثرهم واختلفوا في علمه حدوثه
 فزعم زرادشت أن الله تعالى أسست وحش فمكر فمكره رديئة فتولد منها اهرمن
 وهو ابليس . وقال غيره بل شك فتولد الشيطان من شكه وقال آخرون بل
 حدث عفن فتولد الشيطان من عفنه وهذه أقاويل تدفعها العقول وأما جعلهم
 الله تعالى جسماء فدليلنا على حدوث الاجسام يمنع أن يكون الله تعالى مع قدمه
 جسماء * ودليلنا على الثنوية يمنع أن يكون الشيطان معه ثانياً واثبات قدرته يمنع
 أن يكون مغلوباً وعلمه يمنع أن يكون شاكاً أو مفكراً وانتفاء الحزن عنه يمنع
 أن يكون مستوحشاً وامتناع الفساد عليه يمنع أن يكون عفناً وقولهم ان فاعل
 الشر شرير قيل خروجه عن قدرته مثبت لجزئه فوجب أن يدخل في عموم قدرته
 (فصل - ل) فأما النصاري فقد كانوا قبل أن تنصر قسطنطين الملك على دين
 صخج في توحيد الله تعالى وثبوت عيسى عليه السلام ثم اختلفوا في عيسى بعد
 تنصر قسطنطين وهو أول من تنصر من ملوك الروم فقال أوائل النسطورية
 ان عيسى هو الله وقال أوائل اليعاقبة انه ابن الله وقال أوائل الملاكية ان الالهة
 ثلاثة أحدهم عيسى ثم عدلوا اخرهم عن التعرّيج بهذا القول المستنكر حين
 استنكرته النفوس ودفعته العقول فقالوا ان الله تعالى جوهر واحد هو ثلاثة
 أقانيم أقنوم الاب وأقنوم الابن وأقنوم روح القدس وانها واحدة في الجوهرية
 وان أقنوم الاب هو الذات وأقنوم الابن هو الكلمة وأقنوم روح القدس هو
 الحياة واختلفوا في الاقانيم فقال بعضهم هي خواص وقال بعضهم هي
 أشخاص وقال بعضهم هي صفات وقالوا ان الكلمة اتحدت بعيسى واختلفوا
 في الاتحاد فقال النسطورية معنى الاتحاد أن الكلمة ظهرت حتى جعلته هيكل
 وان المسحج جوهران أقنومان أحدهما إلهي والاخر انساني فلذلك صح منه

الافعال الالهية من اختراع الاجسام واحياء الموتى والافعال الانسانية من
 الاكل والشرب وقال اليعاقبة الاتحاد هو الممازجة حتى صار منها شيء ثالث نزل
 من السماء وتجسد من روح القدس وصار انسانا هو المسيح وهو جوهر من
 جوهرين وأقنوم من أقنومين جوهر لاهوتي وجوهر ناسوتي وقال الملاكانية
 المسيح جوهران أقنوم واحد وليس لهذه المذاهب شبهة تقبلها العقول
 وفسادها ظاهر في المعقول أما قائلهم ان الله تعالى جوهر فقد دللنا على حدوث
 الجوهر فلا يستحال أن يكون القديم جوهرًا وأما قائلهم انه ثلاثة أقانيم فان جعلوها
 أشخاصا قالوا بالتثليث وامتنعوا من التوحيد وقد دللنا على ان القديم واحد
 وان جعلوا الاقانيم خواص وصفات لذات واحدة فقد جعلوه أيا وانما من جوهر
 أبيه فشركو ابنيهما في الجوهر الالهي وفضلوه على الاب بالجوهر الانساني فلم يكن
 مع اشتراكهما في الجوهر الالهي أن يتولد من الاب بأولي أن يتولد منه الاب مع
 تنضيله بالجوهر الانساني وكيف يكون قديما ما تولد عن قديم وانما ظهرت منه
 الافعال الالهية لانهم من قبل الله تعالى اظهارا لمجزئته وليست من فعله كخلق
 البحر موسى عليه السلام وليس ذلك من إلهية موسى وقولهم جوهر لاهوتي
 وجوهر ناسوتي فناسوت المسيح كناسوت غيره من الانبياء وقد زال ناسوته
 فبطل لاهوته

(فصل) فاذا ثبت ان الله تعالى واحد قديم فقد اختلف في معنى وحدانيته
 فقالت طائفة المراد بأنه واحد ان جميع المحدثات منسوبة الى قدرة واحدة
 أحدث النادر بها جميع المحدثات وقالت طائفة أخرى المراد به نفي القسمة عن
 ذاته واستحالة التبعض والتجزئة في صفته وقال الجمهور وهو المذهب المشهور
 انه واحد الذات قديم الصفات تفرّد بالقدم عن شريك مماثل واختص بالقدرة
 عن فاعل معادل لا شبهة لذاته تنتفي عنه الحوادث والاعراض ولا تناله المنافع
 والمضار ولا ينعت بكل ولا بعض ولا يوصف بكان يحل فيه أو يخلو منه لحدوث
 الامكنة واستحالة التجزئة ليس كمثل شيء وهو السميع البصير كما وصف نفسه
 في كتابه ودلت عليه آثار صناعته واتقان حكمته وقدس مثل علي بن أبي طالب

كترم الله تعالى وجهه عن العدل والتوحيد فقال التوحيد أن لا تتوهمه والعدل
أن لا تنتمه ففصح بما به رايجانه وقهر اعجازه وقد لحظه لائل التوحيد من
السعداء من قال أيا عجباً كيف يوصي الابل * أم كيف يحجده جاحد
وفي كل شيء له شاهد * دليله قول علي أنه واحد

(الباب الثالث في صحة التكليف)

التكليف هو أن نعلم ما ورد به الشرع تعبد أو هو نوعان أحدهما ما يتعلق بحقه
من أمر بطاعة ونهي عن معصية والثاني ما يتعلق بحقوق عباده من تقدير
الحقوق وتقرير العقود أي كونوا مدبرين بشرع مسموع ومنقادين لدين متبوع
فلا تختلف فيه الآراء ولا تتبع فيه الأهواء وليعلموا به ابتداء الفسطة وانتهاء
الرجعة فتصلح به سرائرهم الباطنة وتخضع له قلوبهم القاسية وتجتمع به كلمتهم
المتفرقة وتتفق عليه أحوالهم المختلفة ويسقط به تنازعهم في الحقوق المتجاذبة
ويكونوا على رغب في الثواب يبعثهم على الخير ورهب من العقاب يكفهم عن
الشر وهذه أمور لا يصلح الخلق الاعلمها ولا يوصل بغير الدين المشروع إليها
أذ ليس في طباع البشر أن يتفقوا على مصالحهم من غير وازع ولا يتناصفوا في
الحقوق من غير دافع لحرصهم على اختلاف المنافع وبهذا يفسد ما ذهب إليه
البراهمة من الاقتصار على قضايا العقول وأبطال التعبد بشرائع الرسل
فالتكليف حسن في العقول إذا توجه إلى من علم طاعته واختلف في حسنه
إذا توجه إلى من علمت معصيته واستحسنه المعترلة لأن فيه تعريضاً للثواب
ولم يستحسنه الأشعرية لأنه بالمعصية معرض للعقاب والأول أشبه بذهب
الفقهاء وإن لم يعرف لهم فيه قول يحكي واختلاف في التكليف هل يكون معتبراً
بالاصح فالذي عليه أكثر الفقهاء أنه معتبر بالاصح لأن المقصود به منفعة العباد
وذهب فريق من الفقهاء والمتكلمين إلى أنه موقوف على مشيئة الله تعالى من
مصلحة وغيرها لأنه مالك لجميعها فمن اعتبر بالاصح منع من تكليف ما لا يطاق
ومن اعتبر به بالمشيئة جوز تكليف ما لا يطاق ويصح تكليف ما لحقت فيه
المشقة المحتملة واختلف في صحة التكليف فيما لا مشقة فيه فجزها الفقهاء

ومنع منها بعض المتكاملين وقد ورد التعبد بتحويل القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة و ليس فيه مشقة واذا اعتبر التكليف بالاستطاعة لم يتوجه الى ما خرج عن الاستطاعة واختلاف في المانع منه فقال فريق منع منه العقل لامتناعه فيه وقال فريق منع منه الشرع وان لم يمنع منه العقل بقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها

(فصل) فاذا تقرر شروط التكليف مع كونه حسنة فقد اختلف في وجوبه فاجب بعض اعتبر الاصلح وجعله مقتربا بالعقل لانه من حقوق حكمته ولم يوجبه من جملة على الارادة لان الواجب يقتضي علو الموجب وهذا منتف عن الله تعالى ولخلاف من قال بهذا في تقدم العقل على الشرع فقال فريق يجوز ان يقترب العقل ويجوز ان يتأخر عنه بحسب الارادة ولا يجوز ان يتقدم على العقل لان العقل شرط في لزوم التكليف وقال فريق بل يجب ان يكون التكليف واردا بعد كمال العقل ولا يقترب به كما يتقدم عليه لقول الله تعالى أيحسب الانسان ان يترك سدا وهذه صفة متوجهة اليه بعد كمال عقله

(فصل) وقد استقر بما تقدمناه ان التكليف الشرعي ما تضمنه الاوامر والنواهي في حقوق الله تعالى وحقوق عباده والمأمور به ضربان واجب وندب فالواجب ما يجب ان يفعل والندب ما الاولى ان يفعل والمنهي عنه ضربان مكروه ومحذور فالمحذور ما يجب تركه والمكروه ما الاولى تركه فأما المباح فما استوى فعليه وتركه فلا يجب ان يفعل ولا الاولى ان يفعل ولا يجب ان يترك ولا الاولى ان يترك واختلاف في دخول المباح في التكليف فذهب بعض أصحاب الشافعي رحمه الله الى دخوله في التكليف واختلف قائل هذا هل دخل فيه باذن أو بأمر على وجهين أحدهما باذن ليخرج حكم الندب والثاني بأمر دون أمر الندب كما ان أمر الندب دون أمر الواجب وذهب آخرون من أصحاب الشافعي رحمه الله الى خروجه من التكليف باذن أو أمر لاختصاص التكليف بما تضمنه ثواب أو عقاب وانفقوا في المباح انه لا يستحق عليه حمد ولا ذم ويخرج عن القبيح واختلفوا في دخوله في الحسن فأدخله بعضهم فيه وأخرجه بعضهم منه

(فصل) والامر بالتكليف هو استدعاء الطاعة بالانقياد للفعل واختلفوا في اقتران الارادة به هل يكون شرطاً في صحته فذهب الاشعرى الى ان الارادة غير معتبرة فيه ويجوز أن يأمر بما لا يريد ويكُون أمراً كلذي يريده وذهب المعتزلة الى أنه لا يكون أمراً الا بالارادة فان لم تنع لم ارادته لم يكن أمراً واختلفوا هل تعتبر ارادة الأفراد ارادة المأمور به فاعتبر بعضهم ارادة الامر المنطوق به واعتبر آخرون منهم ارادة الفعل المأمور به والذي عليه جمهور الفقهاء ان الامر دليل على الارادة وليست الارادة شرطاً في صحة الامر وان كانت موجودة مع الامر فيستدل بالامر على الارادة ولا يستدل بالارادة على الامر.

(فصل) ومن صحة الامر أن يكون بما لا يمنع منه العقل فان منع منه العقل لم يصح الامر به لخروج التكليف عن محظورات العقول واختلاف هل يعتبر صحته بحسنه في العقل فاعتبره فريق وأسقطه فريق واذا لم يكن يستوعب نصوص الشرع قضايا العقول كلها جاز العمل بمقتضى العقل فيها واختلاف في الحاقها بحكام الشرع فألحقها فريق بها وجعلها داخلية فيها لان الشرع لا يخرج عن مقتضاها وأخرجها فريق منها وان جاز العمل بها كلها شروع لان الشرع مسموع والعقل متبوع.

(فصل) والامر يكون بالقول أو مقام مقام القول اذا عقل منه معنى الامر واختلاف فيه متى يكون أمراً فذهب جمهور الفقهاء والمتكلمين الى انه يكون أمراً وقت القول ويتقدم على الفعل وذهب شاذن الفقهاء والمتكلمين الى انه يكون أمراً وقت الفعل وماتقدمه من القول اعلام بالامر وليس بامر وهذا فاسد لان الفـعل يجب بالامر فلو لم يكن ماتقدمه أمر الاحتاج مع الفـعل الى تجديد أمر.

(فصل) والامر ضربان أمر اعلام وأمر الزام فاما أمر الاعلام فمختص بالاعتقاد دون الفـعل ويجب أن يتقدم الامر على الاعتقاد بزمان واحد وهو وقت العلم به وأما أمر الزام فتوجه الى الاعتقاد والفـعل فيجمع بين اعتقاد الوجوب وايجاد الفـعل ولا يجزئيه الاقتصار على أحدهما فان فعله قبل اعتقاد

وجوبه لم يجزه وان اعتقد وجوبه ولم يفعله كان مأخوذاً به ولا يلزم تجديده الاعتقاد عند فعله اذا كان على ما تقدم من اعتقاده لان الاعتقاد تعبد التزام والفعل تأدية مستحق ويجب أن يتقدم الامر على الفعل بل بزمان الاعتقاد واختلف في اعتبار تقديمه بزمان التأهب للفعل على مذهبين أحدهما وهو قول شاذ من الفقهاء يجب تقديمه على الفعل بزمانين أحدهما زمان الاعتقاد والثاني زمان التأهب للفعل وبه قال من المتكاملين من اعتبر القدرة قبل الفعل والمذهب الثاني وهو قول جمهور الفقهاء يعتبر تقديم الامر على الفعل بزمان الاعتقاد وحده والتأهب للفعل شروع فيه فلم يعتبر تقدمه عليه وبه قال من المتكاملين من اعتبر القدرة مع الفعل معه

(الباب الرابع في اثبات النبوات)

والانبياء هم رسل الله تعالى الى عباده بأوامره ونواهيه زيادة على ما اقتضته العقول من واجباتها والزماملما جوزته من مباحاتها لما أَرَادَ الله تعالى من كرامة العاقل وتشريف أفعاله واستقامة أحواله وانتظام مصالحه حين هياؤه للحكمة وطبعه على المعرفة ليجهله حكيماً وبالعواقب علماً لان الناس ينظرون لا يدركون مصالحهم بأنفسهم ولا يشعرون لعواقب أمورهم بغرائزهم ولا ينزجرون مع اختلاف أهوائهم دون أن يرد عليهم آداب المرسلين وأخبار القرون الماضية فتكون آداب الله فهم مستعملة وحده فيهم متبعة وأوامره فيهم مثبته ووعدوه وعييده فيهم زاجراً وقصص من غيبر من الأمم واعظاً فان الاخبار العجيبة اذا طرقت الاسماع والمعاني الغريبة اذا أبقت الازهان استممتها العتول فزاد علمها وضح فهمها وأكثر الناس سمعاً أكثرهم خواطر وأكثرهم خواطراً أكثرهم تفكراً وأكثرهم تفكيراً أكثرهم علماً وأكثرهم علماء أكثرهم عملاً فلم يوجد عن بعثة الرسل معديل ولا منهم في انتظام الحق بدل وأنكر فريق من الأمم نبوات الرسل وهم فيها ثلاثة أصناف أحدهم ملحدة دهرية يقولون بقدوم العالم وتبديل الطبائع فهم بانكار المرسل أجدر أن يقولوا بانكار الرسل والصنف الثاني براهمة موحدة

يقولون بحدوث العالم ويحددون بعثة الرسل ويبطالون النبوات وهم المنسوبون
الى بهر من صاحب مقالتهم وشذو فريق منهم فادّعى انه آدم أبو البشر ومنهم
من قال هو ابراهيم ومن قال من هذه المفرقة الشاذة منهم انه أحد هذين أقتر
بنسبتهم ما وأنكر نبوة من سواهما ووجه زعمهم على خلاف هذه المقالة في اعتزائهم
لصاحب مقالتهم وانكار جميع النبوات عموما وانصنف الثالث فلاسفة
لا يتظاهرون بإبطال النبوات في الظاهر وهم مبطلوها في تحقيق قولهم لانهم
يقولون ان العلوم البانية بعد كمال العلوم الرياضية من الفلاسفة والهندسة سقطت
من كمال رياضته اذا كان عليها مطبوعا واختلاف من أبطل النبوات في علة
ابطالها فذهب بعضهم الى ان العلة في ابطالها ان الله تعالى قد أغنى عنها ما دلت
عليه العقول من لوازم ما تأتي به الرسل وهذا فاسد من وجهين أحدهما انه لا يمنع
ما دلت عليه العقول جواز أن تأتي به الرسل وجوبا ولو كان العقل موقفا
لما امتنع أن تأتي به الرسل وجوبا ولو كان العقل موقفا لما امتنع أن تأتي به
الرسل تأكيذا كما تترادف دلائل العقول على التوحيد ولا يمنع وجود بعضها من
وجود غيرها والثاني انه لا تستغنى قضايا العقول عن بعثة الرسل من وجهين
أحدهما ان قضايا العقول قد تختلف فيما تكافأت فيه أدلتها فانحسم ببعثة الرسل
اختلافها والثاني أنه لا مدخل للعقول فيما تأتي به الرسل من الوعد والوعيد
والجنة والنار وما يشرعونه من أوصاف التعبد والباعث على التأله فلم يغن عن
بعثة الرسل وذهب آخرون منهم الى ان العلة في ابطال النبوات ان بعثة الرسل
الى من يعلم من حالهم انهم لا يقبلون منهم ما بلغوه اليهم عبث يمنع من حكمة الله
تعالى وهذا فاسد من وجهين أحدهما انه ليس بعبث أن يكون فيهم من لا يقبله
كالم يكن فيما نص به الله تعالى من دلائل العقول على توحيد الله عبثا وان كان منهم
من لا يستدل به على توحيد الله كذلك بعثة الرسل والثاني ان وجود من يقبله فيهم
على هذا التعليل يوجب بعثة الرسل وهم يمنعون من ارسالهم الى من يقبل ومن
لا يقبل فبطل هذا التعليل وقال آخرون منهم بل العلة فيه ان ما جاء به الرسل
مختلف ينقض بعضه بعضا ونسخ المتأخر ما شرعه المتقدم وقضايا العقول لا تتناقض

فلم يرتفع بما يختلف ويتناقض وهذا فاسد من وجهين أحدهما ان ما جاء به
الرسول ضربان أحدهما لا يجوز أن يكون الأعلى وجه واحد وهو التوحيد
وصفات الرب والمربوب فلم يختلفوا فيه وأقوالهم متناصرة عليه والضرب الثاني
ما يجوز أن يكون من العبادات على وجه ويجوز أن يكون على خلافه ويجوز
أن يكون في وقت ولا يجوز أن يكون في غيره وهذا النوع هو الذي اختلفت فيه
الرسول لاختلاف أوقاتهم لما بحسب المصلحة وأما بحسب الإرادة وهذا في قضايا
العقول حائر والوجه الثاني ان قضايا العقول قد تختلف فيها العلة ولا يمنع ذلك
أن يكون العلة دليل لا كذلك ما اختلف فيه الرسول لا يمنع أن يكون حجة وقال
آخرون منهم بل العلة في ابطال النبوات انه لا سبيل الى العلة لم يصحها الغيبها وان
ظهور ما ليس في الطباع من معجزاتهم ممتنع الطباع الدافعة لها فهذا فاسد من
وجهين أحدهما ان المعجزات من فعل الله تعالى فيهم فخرجت عن حكم طبايعهم
والثاني انهم لما تميزوا وبخروجهم عن الطباع من الرسالة تميزوا بما يخرج عن عرف
الطباع من الاعجاز وقال آخرون منهم بل العلة في ابطال النبوات ان ما يظهر منه
من المعجزات خارج عن العادة قد يوجد مثله في أهل الشعبة والمحرقة وأهل
النارنجيات وليس ذلك من دلائل صدقهم فكذلك أحكام المعجزات وهذا فاسد
من وجهين أحدهما أن الشعبة تظهر لذوى العقول وتبدل على الغر الجاهول
فخالفت المعجزة التي تذهل لها العقول والثاني ان الشعبة تستفاد بالتعليم
في تعلمها من ليس يحسنها فيصير مكافيا لمن أحسنها ولا يعارضها بمثلها والمعجزة
مبتكرة لا يتعاطاها غير صاحبها ولا يعارضها أحد بمثلها كما انقلب عصي موسى
حية تسعى تلتقف ما أفككه السحرة فخر والله سجدا واثن كان في ابطال هذه
الشبهة دليل على اثباتها فيستدل على اثبات النبوات من خمسة أوجه وان اشتملت
تلك الاجوبة على بعضها أحدهما ان الله تعالى منعم على عباده بما يرشدهم اليه
من المصالح ولما كان في بعثة الرسل ما لا تدركه العقول كان ارسالهم من عموم
المصالح التي تكفل بها والثاني ان فيما تأتي به الرسل من الجزاء بالجنة ثوابا على الرغبة
في فعل الخير وبالنار عقابا يبعث على الرهبة في الكف عن الشر صار اسببا

لائة لاف الخلق وقعا طى الحق والثالث ان في غيوب المصالح ما لا يعلم الا من جهة
الرسول فاسـتفيد بهم ما لم يسـتفد بهـا عـقل والرابع ان التأله لا يخص الا بالدين
والدين لا يصلح الا بالرسول المبلغين عن الله تعالى ما كلهم والخامس ان العـقول
ربما استكبرت من موافقة الاكفاء ومتابعة النظر فيهم فلم يحجمهم عليه الا طاعة
المعبود فيما اذاه رسـله فصارت المصالح لهم اعم والاعتقـان بهم اعم والشـغل بهم
اجمع والتنازع عنهم اتمنع ويجوز اثبات التوحيد والنبوت بدقيق الاستدلال
كما يجوز تجليه فان مادي في العـقول هو البـلغ في الحكمة وقد تلوح لا يـلوح
هذا المعنى فنظمه في شعره فقال *

غموض الحق حين يذب عنه * يقا لى ناصر الخصم المحق
يجل عن الدقيق عقول قوم * فيقضى للمجلى على المدق

(فصل) فاذا ثبت جواز النبوات وبعثة الرسل بالعبادات فهم رسل الله تعالى
الى خلقه اما بخطاب مسموع او بسفارة ملك منزل ومنع قوم من مثبتى النبوات
ان تكون نبوتهم عن خطاب او نزول ملك لا تتفاء المخاطبة الجسمانية عنه تعالى
لانه ليس بجسم والملائكة من العالم العلوى بسيط لا تهبط كما ان العالم السفلى
كثيف لا يعلو واختلف من قال بهذا فيما جاءهم به انبياء فقال بعضهم صاروا
انبياء بالالهام لا بالوحى وهذا فاسد من وجهين أحدهما ان ما بطل به الهام المعارف
فى التوحيد كان ابطال المعارف به فى النبوة احق والثانى ان الهام خفى غامض
يدعيه الحق والمبطل فان ميزوا بينهما طابق اماره وان عدلوا عن الهام فذلك
دليل يبطل الهام وقال آخرون منهم انما صاروا انبياء لان الله تعالى فى العالم
خواص واسرار اختلف مجرى الطبائع فمن اظفـره الله تعالى بها من خلقه استحق
بها النبوة وهذا فاسد من وجهين أحدهما خفاؤها فيه غير دليل على صدقه والثانى
انه يكون نبيا عن نفسه لا عن ربه فصار كغيره وقال آخرون بل صاروا انبياء لان
الله تعالى خصهم من كمال العقول بما يتوصلون به الى حقائق الامور فلا يشبهه
عليهم منها ما يشبهه على غيرهم فصاروا انبياء عن عقولهم لا عن ربه وهذا فاسد
من وجهين أحدهما ان هذا يقتضى فضل العلم فى حقه ولا يقتضيه فى حق غيره

والثاني انه ان أخبر عن نفسه لم يكن رسولا وان أخبر عن ربه كان كاذبا وقال آخرون
انما صاروا أنبياء لان الثور فيهم صفا وغما بالنور الاعظم الالهى الذى تخاص به
الافهام وتصح به الاوهام حتى يتنقلوا الى الطباق الروحانية ويزول عنهم كدر
الطباق البشرية فيخرجوا عن شبح المكائنات بمضاء نورهم وخلصهم وهذا قول
الثنوية وهذا فاسد من وجهين أحدهما انهم دفعوا أسهل الامرين من بعثة
الرسول بأغلظهم ما من اعطاء نوره وأولى أن يدفعوا عن الاغلاظ عنا دفعوا به عن
الاسهل والثاني انهم أنبتوا به مما رجة الباري سبحانه فيما اختص بذاته ونخالفة
الذات تمنع من مما رجته والجواب عما قالوه من امتناع المخاطبة الجسمية عن
ليس بجسم من وجهين أحدهما أنه لا يمتنع أن يظهر منه تخطاب الاجسام وان لم
يكن جسما كما يظهر منه كفعال الاجسام وان لم يكن جسما والثاني ان الله تعالى
يجوز أن يودع خطابه في الاسماع حتى تعيه الاذان وتفهمه القلوب بقدرته التى
أخفاها عن خلقه والجواب عما ذكره من أن جرم الملائكة علوى لا ينبط من
وجهين أحدهما انه ليس يمتنع أن ينتقل جرم سماوى لطيف الى جرم أرضى كثيف
اما زيادة أو انقلاب كما يقولون في العقل والنفس انهما جرمان علويان هبطا الى
الجسم فخلافيه والثاني أنهم يقولون بانقلاب الاجرام الطبيعية فيقولون ان
الهوى المركب من حرارة ورطوبة اذا ارتفعت حرارته ببرودة صار ماء باردا وان
الماء المركب من برودة ورطوبة اذا ارتفعت برودته بحرارة صار هواء وان
الهواء المركب من حرارة ورطوبة اذا ارتفعت رطوبته ببسوسة صار نارا فاذا جاز
ذلك عندهم في انقلاب الطبائع كان في فعل الله تعالى أجوز وهو عليها أقدر ولا
يمكن أن يدفع أقاويلهم الخارجة عن قوانين الشرع الاعمثلها وان خرج عن حجاج
أمثالنا لينقض قولهم بقولهم فلا يتدلس به باطل ولا يضل به جهول فلا يضل
عن الدين الاقادح في أصوله ومزرى على أهله

(فصل) فاذا ثبت أن النبوة لا تصح الا لمن أرسله الله تعالى بوجيه اليه
فصحتها فيه معتبرة بثلاثة شروط تدل على صدقه ووجوب طاعته أحدها ان
يكون مدعى النبوة على صفات يجوز أن يكون مؤهلا لها لصدق لهجته وظهور

فضله وكال حاله فان اعتوره نقص أو ظهر منه كذب لم يجز أن يؤهل للنبوة من
عدم آلتها وفقد أمانتها * بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خالد بن الوليد الى
بعض أحياء العرب يدعوهم الى الاسلام فقالوا يا أبا خلاص لنا محمدا قال يا مجاز أم
باطناب قالوا يا مجاز قال هو رسول الله والرسول على قدر المرسل * والشرط الثاني
اظهار معجز يدل على صدقه ويعجز البشر عن مثله ان يكون مضاهية للافعال
الالهية ليعلم أنهم لم يمتنع فيصح به ادعوى رسالته لانه لا يظهر بها من كاذب عليه
ويكون المعجز دليلا على صدقه وصدقه دليلا على صحة نبوته * والشرط الثالث أن
يقترن بالمعجز دعوى النبوة فان لم يقترن بالمعجز دعوى لم يصرب ظهور المعجزة نبيا
لان المعجز يدل على صدق الدعوى فكان صفة لها فلم يجز أن تثبت الصفة قبل وجود
الموصوف فان تقدم ظهور المعجز على دعوى النبوة كان تأسيس النبوة ككلام
عيسى عليه السلام في المهدي تأسيس النبوة فاحتاج مع دعوى النبوة الى احداث
معجز يقترن بها يدل على صدقه فيها وان تقدمت دعوى النبوة على المعجز اكتفى
بحدوث المعجز بعدها عن اقترانه بها لان استحبابه للدعوى مقترن بالمعجز فان ظهر
المعجز المقترن بالدعوى لبعض الناس دون جميعهم نظرفان كانوا عددا يتواتر بهم
الخبر ويستفيض فيهم الاثر كان الغائب عنه محجوبا بالمشاهد له في لزوم الاجابة
والانقياد للطاعة كما يكون العصر الثاني محجوبا بالعصر الاول وان كان المشاهد
للمعجز عددا لا يستفيض بهم الخبر ولا يتواتر بهم الاثر لا مكان تواطئهم على
الكذب ويتوجه الى مثلهم الخطأ والزلل كان المعجز حجة عليه لم يكن حجة على
غيرهم حتى يشاهدوا من المعجز ما يكونوا محجوبين به وسواء كان من جنس الاول
أو من غير جنسه فان قصر من شاهد الاول عن عدد التواتر وقصر من شاهد
الثاني عن عدد التواتر لم يثبت حكم التواتر فيهما ولا في واحد منهما لجواز الكذب
على كل واحد من العديدين

(فصل) واذا كان حجج الانبياء على أممهم هو المعجز الدال على صدقهم فالمعجز
ما خرق عادة البشر من خصال لا تنس تطاع الابقرة الهية تدل على أن الله تعالى
خصه به اتصديق على اختصاصه برسالته فيصير دليلا على صدقه في ادعاء نبوته اذا

وصل ذلك منه في زمان التكليف وأما عند قيام الساعة إذا سقطت فيه أحوال
التكليف فقد يظهر فيه من أشرافها ما يخرق العادة فلا يكون معجز المدعى نبوة
وانما اعتبر في المعجز خرق العادة لأن المعتقد يشمل الصادق والكاذب فاختص غير
المعتقد بالصادق دون الكاذب * وإذا تقرّر أن المعجز محدود بما ذكرناه من خرق
العادة فقد ينقسم ما خرج عن العادة على عشرة أقسام (أحدها) ما يخرج جنسه
عن قدرة البشر كاختراع الأجسام وقلب الأعميان وأحياء الموتى فتليل هذا وكثيره
معجز يخرج قليله عن القدرة، وكروج كثيره (والقسم الثاني) ما يدخل جنسه في
قدرة البشر لكن يخرج مقداره عن قدرة البشر كطهي الأرض البعيدة في المدة
القريبة فيكون معجزا لخرق العادة * واختلاف المتكلمون في المعجز منه فعند
بعضهم أن ما خرج عن القدرة منه يكون هو المعجز خاصة لا اختصاصه بالمعجز وعند
آخرين منهم أن جميعه يكون معجزا لاتصاله بما لا يتميز منه (والقسم الثالث) ظهور
العلم ما خرج عن معلوم البشر كالأخبار بحوادث الغيوب فيكون معجزا بشرطين
أحدهما أن يتكرر حتى يخرج عن حد الاتفاق والثاني أن يتجرد عن سبب
يستدل به عليه (والقسم الرابع) ما خرج نوعه عن مقدور البشر وان دخل جنسه
في مقدور البشر كالقرآن في خروج أسلوبه عن أقسام الكلام فيكون معجزا
بخروج نوعه عن القدرة فصار جنسا خارجا عن القدرة ويكون المعجز مع القدرة
على آله من الكلام أبلغ في المعجز (والقسم الخامس) ما يدخل في أفعال البشر
ويفضي الى خروجه عن مقدار البشر كالأبرء الحادث عن المرض والزرع الحادث
عن البذر فان برئ المرض المزمن لوقته واستحصد الزرع المتأكل قبل أوانه كان
بخرق العادة معجزا لخروجه عن القدرة (والقسم السادس) عدم القدرة عما كان
داخل في القدرة كإذار الناطق بعجزه عن الكلام وأخبار الكاتب بعجزه عن
الكتابة فيكون ذلك معجزا يختص بالعاجز ولا يتعداه لانه على يقين من عجز نفسه
وليس غيره على يقين من عجزه (والقسم السابع) انطاق حيوان أو حركة جماد فان
كان باستدعائه أو عن اشارته كان معجزا له وان ظهر بغير استدعاء ولا إشارة
لم يكن معجزا له وان خرق العادة لانه ليس اختصاصه به بأولى من اختصاصه بغيره

وكان من نوادر الوقت وحوادثه (والقسم الثامن) اظهار الشئ في غير زمانه
 كاظهار فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف فان كان استبقاؤها
 في غير زمانها ممكنا لم يكن معجزا وان لم يمكن استبقاؤها كان معجزا سواء بدأ
 باظهاره أو طوالب به (والقسم التاسع) انفجار الماء وقطع الماء المنفجر اذ لم يظهر
 بحدوثه أسهل من غيره فهو من معجزاته بخلاف العادة به (والقسم العاشر) اشباع
 العدد الكثير من الطعام اليسير وارواهم من الماء القليل يكون معجزا في حقهم
 وغير معجز في حق غيرهم لما قد مناه من التعليل وهذه الأقسام ونظائر ~~التي~~ اخلت
 في حدود العجز متساوية الاحكام في ثبوت الاعجاز وتصديق مظهرها على ما
 ادعاه من النبوة وان تفاوت الاعجاز فيها وتباين كان دلائل التوحيده قد تختلف
 في الخفاء والظهور وان كان في كل منها دليل فاما فعل ما يقدر البشر على ما يقاربه
 وان عجزوا عن مثله فليس معجز لان الجنس متدور عليه وانما الزيادة فضل حذق
 به كالصنائع التي يختلف فيها أهلها فلا يكون لأحد قهرهم بها معجز يجوز أن يدعى به
 النبوة (فإن قيل) فقد جاء زرادشت وبولص بآيات منيرة ولم تدل على صدقهما في
 دعوى النبوة (قيل) لانهما قدأ كذبا أنفسهما ما ادعياه في الله تعالى مما يدل على
 جهلها به لان بولص يقول ان عيسى إله وزعيم زرادشت ان الله تعالى كان
 وحده ولا شئ معه فحين طالت وحدته فكر فتولد من فكرته اهرمن وهو ابليس
 فلما مثل بين عينييه أرا دقتله وامتنع منه فلما رأى امتناعه وادعاه الى مدته وسأله
 الى غاية. ومن قال بهذا في الله تعالى ولم يعرفه لم يجوز أن يكون رسولا له ثم دعوا
 الى القبائح والافعال السيئة كما شرع زرادشت الوضوء بالبول وغشيان الامهات
 وعبادة النيران وكذلك بولص وما في فذلهم الله تعالى ولودعوا الى محاسن
 الاخلاق كانت الشبهة بهم أقوى والاغترار بهم أكثر ~~ولكن~~ الله تعالى عصم
 بالعقول من استرشدها وقاد الى الحق من أيقظها

(فصل) ولا يجوز أن يظهر الله تعالى المعجز من يجعله دليلا على صدقه في غير
 النبوة وان كان فيه مطيعا لان النبوة لا يوصل الى صدقه فيها الا بالمعجز لانه مغيب
 لا يعلم الا منه فاضطر الى الاعجاز في صدقه وغير النبوة من أقواله وأفعاله قديمة لم

صدقه فيها بالعيان والمشاهدة وتخرج عن صورة الاعجاز وان نفدت ولائن
تشتبه معجزات الانبياء بغيرها وأما مدعى الربوبية اذا أظهر آيات باهرة فقد
ذهب قوم الى أنها قد تكون معجزة بطائف بكنهه فلم يمنع لظهور بطلانها أن توجد
منه وان لم توجد منه اذا كافي كاذبا في ادعاء النبوة لانه لم يقترن بدعواه ما يبطلها
كمدعى الربوبية والذي عليه قول الجمهور انه لا يجوز أن يظهر المعجز على مدعى
الربوبية كما لا يجوز أن يظهر على مدعى النبوة لأن معصيته في ادعاء الربوبية
أعظم من كونه فيها أعظم فكان بان لا تظهر عليه أجدر واذا استوضح ما أظهره
مدعى الربوبية من الآيات ظهر فسادها وبأن أختلافها نخرجت عن الاعجاز
الى سحر أو شعبذة

(فصل) ولما علم الله تعالى أن أكثر عباده لا يشهدون حجج رسله ولا يحضرون
آيات أنبيائه اما لبعده الدار أو لتعاقب الاعصار طبع كل فريق على الاخبار
بما عاين فيعلم الغائب من الحاضر ويدع رفته المتأخر من المعاصر وقد علم مع
اختلاف المهم أن خبر المتواتر اذا انتفت عنه الريب حق لا يعترضه شك وصدق
لا يشتبه بافك فصار روده كالعيان في وقوع العلم به اضطرار اثبتت به الحجة
ولزم به العلم وقد قال الطهصيل الغنوي مع اعرابية في وقوع العلم باستفاضة الخبر
مادلت عليه الفطرة وقاده اليه الطبع فقال

تأؤبني هم من الليل منصب * وجاء من الاخبار ما لا يكذب
تظاهرن حتى لم يكن لي ريبة * ولم يك عما أخبر وامتعقب

(فصل) وأما ما يجوز لمدعى النبوة فينقسم ثلاثة أقسام أحدها أن يكامه
الله تعالى بغير واسطة والثاني أن يخاطبه بواسطة من ملائكته والثالث أن
يكون عن رؤيا منام (فأما القسم الاول) اذا كلمه الله تعالى بغير واسطة مثل كلامه
لموسى عليه السلام حين نودي من الشجرة على ما قدمناه في الاختلاف في صفته
فيعلم اضطرار أنه من الله تعالى وفيما يقع به علم الاضطرار في كلامه لاهل العلم
قولان أحدهما انه يضطره الى العلم به كما يضطر خلقه الى العلم بسائر المعلومات
فلي هذا استدلال بعرقه كلامه على معرفته ويسقط عنه تكايف معرفته ويجوز

أن يكون كلامه من غير جنس كلام البشر للاضطرار الى معرفة ما تضمنه
والقول الثاني أن يقترب بكلامه من الآيات ما يدل على أنه منه فعلى هذا لا يسقط
منه تكليف معرفة ولا يضح أن يكلمه إلا بكلام البشر لعدم الاضطرار الى
معرفة (وأما القسم الثاني) وهو أن يكون خطاباً بواسطة من ملائكته الذين هم
رسوله الى أنبيائه فعلى الأنبياء معرفة الله تعالى قبل ملائكته في رسالته وطريق
علمهم به الاستدلال ثم يصير بعد نزول الملائكة بمحجراتهم الباهرة علم الاضطرار
وعلى الملائكة إذا نزلوا بالوحي على الرسول اظهار محجراتهم له كما يلزم الرسول
اظهار محجراته لأئمة روى ابن جنبل عليه السلام لما تصدى لرسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم بمكة في الوادي قال له قل يا محمد للشجرة أقبل فقال لها ذلك فأقبلت
وقال له قل لها أدبري فقال لها ذلك فأدبرت فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم حسبي يعني في العلم بصدقك فيما أتيتني به عن ربي فتستدل الرسل بالمعجزات على
تصديق الملائكة بالوحي وتستدل الأمم بمعجزات الأنبياء على تصديقهم بالرسالة
ويكون خطاب الملك لنظا أن كان قرآناً أو مقام مقام اللفظ أن كان وحيًا ولا يجوز
أن يؤدّي الملك الى الرسول ما تحمله عن ربه إلا بلسان الرسول كما لا يؤدّي الرسول
الى قومه إلا بلسانهم ويكون الملك واسطة بين الرسول وبين ربه والرسول واسطة
بين الملك وبين قومه وما يؤدّيه الملك الى الرسول ليؤدّيه الرسول الى قومه ضربان
قرآن ووحى فأما القرآن فيلزم الملائكة أن يؤدّيه الى الرسول بصيغة لفظه وليس
للملك ولا للرسول أن يعدل بلفظه الى غيره ويكون ما تضمنه من الخطاب المنزل
متوجها الى الرسول وإلى أئمة وأما الوحي إذا تضمن تكليفاً بأمر أو نهى فضربان
أحدهما أن يكون نصاً غير محتمل وصريحاً غير متأول فهذا يعلمه الرسول من الملك
بنفس الخطاب وتعلمه الأمة من الرسول بالبلاغ من غير نظر ولا استدلال وليس
للملك ولا للرسول أن يعدل بالنص الى أجمال أو احتمال والضرب الثاني أن يكون
من الجمل أو المحتمل لعمان مختلفة فهذا يعلم المراد به من دليل يقترب بالخطاب
ودليله ضربان أحدهما عقل المستمع والثاني توقيف المبلغ فأما ما عقل دليله
بديهية العقل فمعمول على مقتضى العقل ويكفي فيه تبليغ الخطاب وأما ما دليله

التوقيف الذي لا مدخل فيه لبدء العقول كالعبادات فمحمول على التوقيف من
الله تعالى الى ملائكة من الملائكة الى الرسول ومن الرسول الى أمته فأما
معرفة الملك من ربه فهو غير متناهية لذاته واختلاف أهل العلم في معرفته به على
مذهبين كالرسول ان كله أحدهما بان يضطرهما الى العلم به والثاني بسماع الخطاب
المقترن بالآيات وأما معرفة الرسول من الملك ومعرفة الامة من الرسول فالرسول
مشاهد لذات الملك والامة في مشاهد ذلك الرسول ومشاهدة لذوات تأثير في العلم
بمراد الخطاب فيتنوع بيان توقيفه فيما أريد بالخطاب أنواعا فيكون بعضها باللفظ
الصريح وبعضه بالرمز الخفي وبعضه بالفعل الظاهر وبعضه بالإشارة
الباطنة وبعضه بالأمارة التي تضطر المشاهد الى العلم بما أريد بها وليس لها
نعت موصوف ولا جدم تدور وانما يعلمه المشاهد في فهم أسبابه فيضير البيان
باختلاف أنواعه توقيف من الملك الى الرسول ومن الرسول الى الامة ويجوز أن
يختلف نوع بيانها اذا عرف (فأما القسم الثالث) وهو أن يكون عن رؤيا منام فان
لم يكن ممن تصدق رؤياه لكثرة أحلامه لم يجز أن يدعى به النبوة وان كان ممن تصدق
رؤياه فقد روى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال أصدقكم رؤيا أصدقكم
حديثا لم يجز أن يدعى النبوة من أقول رؤيا لجواز أن يكون من حديث النفس وان
الرؤيا قد تصح تارة وتبطل أخرى فان تكررت رؤياه مرارا حتى قطع بصحتها
ولم يخالجه الشك فيها جاز أن يدعى بها النبوة فيما كان حفظ المبادئ قد مهأ من شرع
وبعث على العمل بها من بعيد ولم يجز أن يعتد بها في نسخ شرع والاستئناس به بعد
ويجوز أن يعمل على رؤيا نفسه فيما يلزمه من استئناس شرع ولا يجوز أن يعمل
عليها في نسخ ما يلزمه من شرع ليعلم به ما يلزمه ولا يكون بها مستقلا

(فصل) وأما خطاب الرسول لأمته فيما بلغهم من رسالته ربه بعد ظهور معجزته
والاخبار بنبوته ولزومه للائمة فاعتبر بخمسة شروط أحدها العلم بانتفاء
الكذب عنه فيما ينقله عن الله تعالى من خبر أو يؤثبه من تكليف كما اتفق عنه
الكذب في ادعاء الرسالة ويكون المعجز دليلا على صدقه في جميع ما تضمنته الرسالة
والثاني أن يعلم من حاله انه لا يجوز أن يكتم ما أمر بأدائه لان كتمانها يمنع من التزام

رسالته لجواز أن يكتم امقاط ما أوجب وان جاز أن يكتم بيانه قبل وقت الحاجة ولا يكون كتماننا والثالث أن يقتضى عنه ما يقتضى التنفير من قبول قوله لان الله تعالى جاءه من الغلظة لئلا ينفر من متابعتها وكان أولى أن لا ينفر عن قبول خطابه والرابع أن يقتصر بخطابه ما يدل على المراد به لينتفى عنه التلبيس والتعمية في أحكام الرسالة حتى يعلم حقوق التكليف وان جاز تعمية فخطابه فيما لم يتضمنه التكليف قد لا يرضى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم رجل في أطراف بدر وقال له ممن أنت فقال من ماء فوري عن نسبه بما استبههم على سائله لخروجه عما يؤديه شرعا الى أمته والخامس العلم بوجوب طاعته ليعلم بوجوب أوامره واختلاف في طاعته هل وجبت عقلا أو سمعا بحسب اختلاف فهم في بعثة الرسل هل هو من موجبات العقل أم لا

(فصل) واذا تكاملت شروط الالتزام لم يخل خطابه من أن يكون مفهوما أو مبهما فالمنهوم أربعة النص وفحوى الكلام ولحن القول ومفهوم اللفظ وفحوى الكلام ما دل على ما هو أقوى من نطقه ولحن القول ما دل على مثل نطقه ومفهوم اللفظ مأخوذ من معنى نطقه فهذه الأربعة مفهومة المعاني بالفاظها مستقلة بذواتها معلومة المراد بظواهرها فلا احتياج بعد الابلغ الى بيان وأما المبهم فثلاثة المجمل والمحتمل والمشتبه فأما المجمل فأن خذ بيانه من غيره ولا يدخل العقل في تفسيره فلا يعلم الا بسمع وتوقيف وأما المحتمل فهو ما تردد بين معان مختلفة فان أمكن الجمع بين جميعها جمل على جميع ما تضمنه واستغنى عن البيان الا أن يردبالاقتصار على بعضها بيان وان لم يمكن جملةا على الجميع لتنافيها وكان المقصود أحدا معانيها فان أمكن الاستدلال عليه بمخرج الخطاب أو عشاها مدة الحال كان فيه بيان أو تعذر بيانه من هذا الوجه جمل على عرف الشرع فان تعذر جمل على عرف الاستعمال فان تعذر جمل على عرف اللغة فان تعذر في بيانه موقوف على التوقيف وأما المشتبه فأشكال لفظه واستبهم معناه * روى ان عمر رضى الله تعالى عنه قال يا رسول الله انك تأتينا بكلام لا نعرفه ونحن العرب حقا فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم ان ربي علمني فتعلمت وأدبني

فما أدبت فان تلوح في المشبهه اشارة الى معناه جاز أن يكون استنباطه موقوفا
على الاجتهاد وان تجرد عن اشارة كان موقوفا على التوقيف وعلى الرسول تبليغ
بيانه كما كان عليه تبليغ أصـ له. وعلى من سمعه من الرسول أن يبلغه من لم يسمعه
حتى ينتقل الى عصر بعد عصر على الابد فيعلمون لقرن الثاني من الاول والثالث
من الثاني وكذلك ابد التدوم الختمهم الى قيام الساعة ولذلك قال النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم ليبلغ الشاهد الغائب

(فصل) فأما الفرق بين الانبياء والرسل فقد جاء بهما القرآن جمعا ومفصلا
بقول الله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى ألقى الشيطان في
أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته واختلف أهل العلم في الانبياء
والرسل على قولين أحدهما أن الانبياء والرسل واحد فأنبي رسول والرسول نبي
والرسول مأخوذ من تحمل الرسالة والنبي مأخوذ من النبأ وهو الخبران هزلانه
مخبر عن الله تعالى وما أخوذ من النبوة ان لم يهز وهو الموضع المرتفع وهـ ذ أشبه
لان محمد صلى الله تعالى عليه وسلم قد كان يخاطب بهما والقول الثاني أنه - ما
يختلفان لان اختلاف الاسماء يدل على اختلاف المسميات والرسول أعلى منزلة من
النبي ولذلك سميت الملائكة رسلا ولم يسموا أنبياء واختلاف من قال بهذا في الفرق
بينهما على ثلاثة أقاويل أحدها أن الرسول هو الذي تنزل عليه الملائكة بالوحي
والنبي هو الذي يوحى اليه في نومه والقول الثاني أن الرسول هو المبعوث الى أمة
والنبي هو المحدث الذي لا يبعث الى أمة قاله قطرب والقول الثالث أن الرسول هو
المبتدئ بوضع الشرائع والأحكام والنبي هو الذي يحفظ شريعة غيره قاله الجاحظ
(فصل) واذ أنزل الوحي على الرسول وعين له زمان البلاغ لم يكن له
تقديمه عليه ولا تأخير عنه وان لم يبعين له زمانه فعليه تبليغه في أول أوقات
امكانه فان خاف من تبليغ ما أمر به شدة الازي وعظم الضرر لرزقه البلاغ ولم
يكن الازي عذرا له في الترك والتأخير لان الانبياء يتكافون من احتمال المشاق
مالا يتكافه غيرهم لعظم منزلاتهم وما أمداوا به من القوة على تحمل مشاقهم وان
خاف منه القتل فقد اختلف المتكلمون في وجوب البلاغ فذهب بعضهم الى

اعتبار أمره بالبلاغ فان أمر به مع تخوف القتل لزمه أن يبلغ وان قتل وان أمر به مع الأمن لم يلزمه البلاغ اذا خاف القتل وذهب آخرون منهم الى اعتبار حاله فان لم يبق عليه من البلاغ سوى ما يخاف منه القتل لزمه البلاغ وان قتل وان بقي عليه من البلاغ سوى ما يخاف منه القتل فان لم يكن الأمر بالبلاغ مرتباً لزمه أن يقتل بدم بلاغ ما يأمن منه القتل ثم يبلغ ما يخاف منه القتل فان قتل فان كان الأمر بالبلاغ مرتباً ابتداءً ما يخاف منه القتل فان الله تعالى يعصمه من القتل حتى يبلغ جميع ما أمر به لما تكفل به من اكمل دينه والله تعالى أعلم

(الباب الخامس في مدة العالم وعدة الرسل)

مدة الدنيا من ابتداء خلق العالم الى انقضائه وفنائها سبعة آلاف سنة على ما جاءت به التوراة المنزلة على موسى عليه السلام وذكره أنبياء بني اسرائيل وقد وافق عليه من قال بتسيرة الكواكب وانها مسيرة الكواكب السبعة فسير كل كوكب منها ألف سنة وقد روى عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال الدنيا سبعة آلاف سنة أنا في آخرها ألفاً وقال صلى الله تعالى عليه وسلم بعثت والساعة كهاتين وجمع بين أصبعيه الوسطى والسبابة يعني ان الباقي منها كزيادة الوسطى على السبابة وروى سلمة بن عبد الله الجهني عن أبي مسجعة الجهني عن أبي رباح الجهني أنه قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم رأيتك على منبر فيه سبع درج وأنت على أعلاها فقال الدنيا سبعة آلاف سنة أنا في آخرها ألفاً وروى أبو نضرة عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم بعد صلاة العصر يقول أيها الناس ان الدنيا خضرة حلوة وان الله مستخلفكم فيها فتنظروا كيف تعملون وأخذ في خطبته الى أن قال لا تعرفن رجلاً منعتهم مهابة الناس أن يتكلم بحق اذا رآه وشهده ثم قال وقد أرف غروب الشمس ان مثل ما بقي من الدنيا فيما مضى منها كبقية يومكم هذا فيما مضى منه يوفي بكم سبعون أمة قد توفي تسع وستون وأنتم آخرها فصارت هذه المدة المقدرة في عمر الدنيا سبعة آلاف سنة متفقاً عليها فيما تضمنته الكتب الالهية ووردت به الانباء النبوية مع ما سلك به الموافق من تسيرة الكواكب السبعة وان كان المعول في المغيب على

الانبياء الصادقة الصادرة عن - لام الغيوب الذي لم يشرك في غيبه الا من اطاعه عليه من رسله فخلق العالم في ستة ايام ابتداء يوم الاحد وانقضاءها يوم الجمعة واختلاف أهل الكتب السالفة وأهل العلم في سر عنا فيما ابتدئ بخلقه على ثلاثة أقاويل أحدها وهو قول طائفة انه بدأ بخلق الارض في يوم الاحد والاثنين لقول الله تعالى أنتم كنتم تكفرون بالذي خلق الارض في يومين وخلق الجبال في يوم الثلاثاء وخلق الماء والشجر في يوم الاربعاء وخلق السموات في يوم الخميس وخلق الشمس والقمر والنجوم والملائكة وآدم في يوم الجمعة قال الشعبي ولذلك سمى يوم الجمعة لانه جمع فيه خلق كل شيء والثاني وهو قول فريق انه بدأ بخلق السموات قبل الارض في يوم الاحد والاثنين لقول الله تعالى فقصاهاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها فيه ثلاثة أوجه أحدها أسكن في كل سماء ملائكتها والثاني خلق في كل سماء ما أودعه فيها من شمس وقمر ونجوم والثالث أوحى الى أهل كل سماء من الملائكة ما أمرهم به من العبادة ثم خلق الارض والجبال في يوم الثلاثاء والاربعاء وخلق ما سواهما من العالم في يوم الخميس والجمعة والثالث وهو قول آخرين انه خلق السماء دخانا قبل الارض ثم فلقها سبع سموات بعد الارض لقول الله تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض اني انا طوعا أو كرها فيه ثلاثة تأويلات أحدها أي اعطيا الطاعة في السير المقدر لهما كما باختيار أو اجبار قاله سعيد بن جبير والثاني أخرجا ما فيه كما طوعا أو كرها والثالث كونا كما أردت من شدة واين وخرن وسهل وممتنع ويمكن قالنا اني انا طائعتين أي كما أردت أن تكون وفي قولهما ذلك وجهان أحدهما أن ظهور الطاعة منهما اقام مقام قولهما والثاني أنه خلق فيهما كلاما نطق بذلك قال أبو النظر السكسكي فنطق من الارض موضع الكعبة ونطق من السماء ما يحيا لها فوضع الله فيها حرمه

(فصل) فأما آدم فهو آخر ما خلق الله تعالى في يوم الجمعة خلقه من تراب الارض ونفخ في أنفه من نسم الحياة فهو أنف من كل ذي حياة روى أبو زهر عن أبي موسى قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خلق آدم من قبضة قبضها من

جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض منهم الاحمر والابيض والاسود وبين ذلك والحزن والسهمل والخبيث والطيب وبين ذلك وفي تسميته بآدم قولان أحدهما انه اسم عبراني نقل الى العربية والقول الثاني انه اسم عربي وفيه قولان أحدهما انه سمي بذلك لانه خالق من اديم الارض وأدوها وجهها والثاني انه سمي بذلك لاشتقاقه من الامة وهي السمرة فلما تكامل خلق آدم لتوحش خلق له حواء واختلف فيما خلقت منه على قولين أحدهما انه خلقها من مثل ما خلق منه آدم وهذا قول تفرديه ابن بحر والقول الثاني وهو ما عليه الجمهور انه خلقها من ضلع آدم الا ينسب بعد أن أتى عليه النوم حتى لم يجد لها ما بها قال ابن عباس فذلك نواصلا ولذلك سميت امرأة لانها خلقت من المرأة وفي تسميتها حواء قولان أحدهما لانها خلقت من حي والثاني لانها أم كل حي فقال آدم لما خلقت منه حواء هذا الشخص عظمه من عظمي ولحمه من لحمي فلذلك صار الرجل والمرأة كجسد واحد من شدة الميل وفضل الجنو قال الله تعالى يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة يعني آدم وخلق منها زوجها يعني حواء فروى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال خلق الرجل من التراب فهمه في التراب وخلقت المرأة من الرجل فهمها في الرجل واختلف في الوقت الذي خلقت فيه حواء على قولين أحدهما انه خلقت منه في الجنة بعد أن استوحش من وحدته وهذا قول ابن عباس وابن مسعود والقول الثاني انه خلقت من ضلعه قبل دخوله الجنة ثم ادخلها معها وهو أشبه بمقول الله تعالى وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين قال ابن عباس خلق آدم يوم الجمعة وأدخل الجنة يوم الجمعة وأخرج منها يوم الجمعة وفيها تقوم الساعة واختلف في الجنة التي أسكنها على قولين أحدهما انها جنة الخلد والقول الثاني انها جنة أعداء الله تعالى لهم أدار ابتلاء وليست جنة الخلد التي جعلها أدار جزاء وفيها على هذا قولان أحدهما انها في السماء لانه أهبطهم منها والقول الثاني انها في الارض لانه امتحنهم فيها بالامر والنهي واختلف في الشجرة التي نهى عن أكلها فقيل انها شجرة الخلد وقيل انها شجرة العلم

وفي هذا العلم قولان أحدهما علم الخير والشر والثاني علم ما لم يعلم وقيل في
 الشجرة غير ذلك من الأقاويل فلما أكل منها بدت لهم أسوأ آتئها بالعصية
 وطفقوا يخلصان عليهما من ورق الجنة قال الله تعالى فأزلهما الشيطان عنها حين
 بعثهما على أكل الشجرة فأخرجهم مما كانوا فيه خوفه تأويلان أحدهما عما كانوا
 فيه من الطاعة إلى ما صار إليهم من العصية والثاني عما كانوا فيه من النعيم في
 الجنة إلى ما صار إليهم من النكد في الأرض فحزن آدم حين أهبط إلى الأرض
 وبقي في حزنه مائة سنة لا يقرب فيه حواء ثم غشيها فولدت له بعد المائة قابيل
 ثم غشيها فولدت له هابيل فقتل قابيل هابيل فحزن آدم لذلك حزنا شديدا وقيل
 أنه جعل حزنه جزاء على معصيته في الأكل وقد يصاب الآباء في أولادهم من أجل
 معاصيهم ثم خف حزنه فغشي حواء فولدت له شيثا وعلم آدم الأسماء كلها كما
 ذكره الله تعالى في كتابه وفيما علمه من الأسماء قولان أحدهما علم النجوم قاله حميد
 الثاني أنها أسماء مسميات وفيها ثلاثة أقاويل أحدها أسماء الملائكة قاله الربيع
 ابن أنس والثاني أسماء جميع ذريته قاله عبد الرحمن بن زيد والثالث أسماء جميع
 الأشياء وفيه على هذا قولان أحدهما أن تعليمه كان مقصورا على الأسماء دون
 معانيها والثاني أنه علمه الأسماء ومعانيها لأنه لا فائدة في علم الأسماء بلا معان لان
 المعاني هي المقصودة والأسماء دلائل عليها

(فصل في) وما هبط آدم إلى الأرض قيل أنه أهبط إلى شرقي أرض الهند
 وحواء بجدة وابل يس على ساحل نهر الأبله والحية في البرية وكانت نبوة آدم
 مقصورة عليه وما نزل عليه من الوحي متوجها إليه فكان من المصطفين دون
 المرسلين واختلف فيه أهل الكتاب هل خلق في ابتدائه قابلا للوثة أو جعل
 الموت عقوبة له على معصيته فقال بعضهم خلق آدم في ابتداء نشأته على الطبيعة
 الباقية والطبيعة الميتة ليكون أن مال إلى الشهوات الجسمانية وأثرها وقع في
 التغاير الجسمانية وناله الموت وإن آثر فضائل النفس الأماراة بالخير نال البقاء
 الذي سعت به الملائكة فلم تمت فلما عصى بأكل الشجرة عدل إلى التغاير فناله
 الموت واستشهدوا عليه من التوراة بما ذكر فيها أنك إن أكلت من الشجرة

يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهُ فَاتَجَبَتِ فَلَمْ يَجْزَأْ أَنْ يَتَوَعَّدَهُ بِالْمَوْتِ عِنْدَ مَعَاقِبَتِهِ وَهُوَ يَمُوتُ لَوْلَمْ
يُعَاقِبْ وَقَالَ آخَرُونَ مِنْهُمْ وَهُوَ أَشْبَهُ بِقَضَى الْعُقُولِ أَنْ يَخْلُقَ فِي ابْتِدَاءِ أَنْشَأَتِهِ
قَابِلًا لِلْمَوْتِ فِي الدُّنْيَا وَإِنْ لَمْ يَعْصِ لَأَنَّهُ أَحْوَجُ إِلَى الْغِذَاءِ كَذَرِيَّتِهِ وَلا يَسْ شَيْءٌ مِنَ
الْجَوَاهِرِ الَّتِي لَا يَنَالُهَا الْمَوْتُ مُحْتَاجَةً إِلَى الْغِذَاءِ وَلَمْ يَفْعَلِ الْمَوْتُ عِقُوبَةً عَلَى الْمَعْصِيَةِ
وَلِذَلِكَ لَمْ يَمُتْ مِنْ عَمِيٍّ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَأَنْ فِي التَّوْرَةِ مَكْتُوبًا أَنْ مَتَّيْدَهُ فِي
الْجَنَّةِ إِلَى شَجَرَةِ الْحَيَاةِ وَأَكَلَ مِنْهَا حَتَّى الْاَهْزَاكَ لَهُ فَهَلْ عَلَى أَنَّهُ مَطْبُوعٌ عَلَى قَبُولِ
الْمَوْتِ وَلَمَّا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى آدَمَ ابْتَدَأَ وَلَمْ يَخْلُقْهُ بِنُتُوسٍ طَبِيعَةٍ كَمَا خَلَقَ نَسْلَهُ كَانَ
عَلَى أَفْضَلِ اعْتِدَالٍ وَأَكْمَلَ عَقْلٍ فَصَارَ قَلْبُهُ مَعْدِنًا لِلْحِكْمَةِ الْإِنْسَانِيَةِ وَجَسَدُهُ مَهِيًا
لِلْأَفْعَالِ الْبَشَرِيَّةِ فَلَمْ يَمْتَنِعْ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا حَتَّى أَحَاطَ بِأَعْلَى وَقُدْرَةِ بِجْمِيْعِهَا وَلِذَلِكَ عَلِمَ
الْأَسْمَاءُ كُلَّهَا وَأَلْهَمَ الْحِكْمَةَ بِأَسْرَافِهَا وَاطَّلَعَ عَلَى أَسْرَارِ النُّجُومِ وَعَمَلُهَا وَعَرَفَ مَنَافِعَ
الْحَيَوَانَ وَالنَّبَاتِ وَمَضَارِّهَا وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمَا قَرَّبَ بَيْنَ الْغِذَاءِ وَالْكَوَاءِ وَلَا بَيْنَ السَّمُومِ
الْقَاتِلَةِ وَالشِّفَاءِ وَلَا اهْتَدَى بِالنُّجُومِ فِي بَرٍّ وَلَا بَحْرٍ وَكَانَ هُوَ الْمَدْبُرُ لَا وَلَادَهُ مَدَّةَ
حَيَاتِهِ حَتَّى مَاتَ بَعْدَ تِسْعِمِائَةِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً مِنْ عَمْرِهِ ثُمَّ قَامَ بِالْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ شَيْثُ
ابْنِ آدَمَ فَبَرَعَ فِي الْحِكْمَةِ وَفَاقَ فِي عِلْمِ النُّجُومِ بِمَا أَخَذَهُ عَنْ أَبِيهِ آدَمَ وَبَعَا السَّيْفَ قَادَهُ
بِالتَّجَرُّبَةِ وَصَرُورِ الزَّمَانِ وَامْتَنَفَ أَهْلُ الْكِتَابِ فِي نُبُوَّةِ شَيْثُ فَادْعَاهُ بَعْضُهُمْ
وَأَنْكَرَهَا آخَرُونَ مِنْهُمْ ثُمَّ وَلَدَ بَعْدَ مِائَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً مِنْ عَمْرِ أَبِيهِ آدَمَ وَمَاتَ
وَلَهُ تِسْعِمِائَةٌ وَاثْنَا عَشْرَ سَنَةً فَكَانَ قِيَامُهُ بِالْأَمْرِ بَعْدَ مَوْتِ آدَمَ مِائَتَيْنِ وَاثْنَى عَشَرَ سَنَةً
وَاتَّفَقَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ شَيْثُ وَادْرِيسَ نَبِيٍّ غَيْرَ اِدْرِيسَ ثُمَّ قَامَ بِالْأَمْرِ
بَعْدَ شَيْثُ وَلَدَهُ أَنْوَشُ بْنُ شَيْثُ وَكَانَ مَوْلَاهُ بَعْدَ مِائَتَيْنِ وَخَمْسِينَ سَنَةً مِنْ عَمْرِ شَيْثُ
وَمَاتَ أَنْوَشُ وَلَهُ تِسْعِمِائَةٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً فَكَانَ قِيَامُهُ بِالْأَمْرِ بَعْدَ شَيْثُ مِائَتَيْنِ
وَعِشْرِينَ سَنَةً ثُمَّ قَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَ أَنْوَشُ وَلَدَهُ قَيْنَانُ بْنُ أَنْوَشُ وَلَدَ بَعْدَ مِائَةِ
وَتِسْعِينَ سَنَةً مِنْ عَمْرِ أَنْوَشُ وَمَاتَ قَيْنَانُ وَلَهُ تِسْعِمِائَةٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً فَكَانَ قِيَامُهُ
بِالْأَمْرِ بَعْدَ أَنْوَشُ مِائَةً وَتِسْعِينَ سَنَةً ثُمَّ قَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَ قَيْنَانُ وَلَدَهُ مَهْلَايِيلُ وَلَدَ
بَعْدَ ثَلَاثِينَ وَخَمْسِينَ سَنَةً فَكَانَ قِيَامُهُ بِالْأَمْرِ بَعْدَ قَيْنَانُ مِائَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً
ثُمَّ قَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَ مَهْلَايِيلُ وَلَدَهُ يَارْدَنُ بْنُ مَهْلَايِيلُ وَلَدَ بَعْدَ مِائَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً

سنة من عمر مهلاييل ومات ياردوله تسعمائة واثنان وستون سنة فكان قيامه
بالامر بعد مهلاييل مائة بن واثنين وخمسين سنة ثم قام بالامر بعد ياردوله
أخنوخ بن ياردوهو ادريس وولد له ادم مائة واثنين وستين سنة من عمر يارد
وهو نبى في قول جميع اهل الملئ واختلاف اهل الكتاب هل هو أول الانبياء
أو ثانيهم فقال من زعم ان شيثاني هو ثاني الانبياء وقال من زعم ان شيثا ليس
بنبي ان ادريس أول الانبياء وهو أول من شرع الاحكام وأول من اتخذ السلاح
وجاهد في سبيل الله تعالى وسبى وقتل بنى قابيل ولبس الثياب وكانوا يلبسون
الجلود وأول من كتب الخط في قول الاكثرين وأول من وضع الاوزان والكيل
ثم رفعه الله تعالى اليه حيا بعد سبع مائة وخمس وثمانين سنة من عمره أقام فيها
داعيا وأبوه حتى على مليقة تضيئه تاريخ هذه المواليد والاعمار المأخوذة من التوراة
المنزلة قال ابن قتيبة وسمى ادريس لكثرة ما كان يدرس من كتب الله تعالى
وسنن الاسلام

(فصل) ثم كثر الناس فاقتروا بعد ادريس وزادوا الى زمن نوح بن ملك بن
متوشلخ بن أخنوخ وهو ادريس وهو آخر نبى بعث قبل الطوفان على قول من
زعم ان شيثاني ونزل الطوفان بعد تسعمائة سنة من عمره وأندرقومه فكذبوه
وصنع السفينة فسخر وامنه وأمره الله تعالى أن يصنعها في طول ثلاثمائة ذراع
وعرض خمسين ذراعا وعلو ثلاثين ذراعا وتكون ثلاث طبقات ليركب فيها هو
وأهله ويأخذ من كل جنس من الحيوان زوجا ذكر وأنثى ليكونوا أصولا لنسلهم
فيحييهم العالم ثم وعده أن يستمطره بعد سبعة أيام أربعين يوما وأربعين ليلة
فلم يبق في الارض ذور روح الا من ركبها وغاض الطوفان بعد مائة وخمسين يوما
فاستوت على الجودي وهو جبل بأرض الجزيرة شهرا وسمى الماء طوفانا لانه
طنا فوق كل شئ واختلاف فيما عاش نوح بعد الطوفان فقال الاكثرون ثلاثمائة
 وخمسين سنة وهو ظاهر ما نزل به القرآن وقال آخرون تسعمائة وخمسون سنة لانه
لم يبق تسعمائة وخمسين سنة داعيا لقومه وكان له قبل دعائه ثلاثمائة سنة
 واختلاف فيما بين هبوط آدم من الجنة الى مجيء الطوفان فقال اثنان وسبعون

حبر من بني اسرائيل نقلوا التوراة الى اليونانية بينهما ألفان ومائتان واثنان
 وأربعون سنة ثم تبابلت الالسن بعد الطوفان بستمائة وسبعين سنة فافترق
 اثنان وسبعون لسانا في اثنين وسبعين أمة قل وهب بن منبه منها في ولد سام بن
 نوح تسعة عشر لسانا وفي ولد حام سبعة عشر لسانا وفي ولد يافث ستة وثلاثون
 لسانا ومن تبابلت الالسن الى مولد ابراهيم الخليل عليه السلام أربع مائة واحد
 عشر سنة ومن مولد ابراهيم الى موسى بن عمران عليه السلام أربع مائة وخمس
 وعشرون سنة وأخرج بني اسرائيل من مصر بعد ثمانين سنة ودبر ابراهيم
 أربعين سنة ومات وله مائة وعشرون سنة فصار من هبوط آدم الى وفاة موسى
 ثلاثة آلاف وثمانمائة وثمانية وستين سنة وقال آخرون من بني اسرائيل
 المقيمين على التوراة العبرانية التي يتداولها جمهور اليهود في وقتنا من هبوط
 آدم من الجنة الى مجي الطوفان ألفا وستمائة وستا وخمسين سنة ومن انقضاء
 الطوفان الى تبابلت الالسن مائة واحد وثلاثين سنة ومن تبابلت الالسن الى
 مولد ابراهيم مائة واحد وستين سنة ومن مولد ابراهيم الى وفاة موسى
 خمسمائة وخمسا وأربعين سنة فصار من هبوط آدم الى وفاة موسى أربعين
 وأربعمائة وثلاثا وتسعين سنة وقالت السامرة من اليهود عن تاريخ توراتهم
 ان من هبوط آدم من الجنة الى مجي الطوفان ألفا ثلثمائة وسبع وستين سنة
 ومن الطوفان الى تبابلت الالسن خمسمائة وستا وعشرين سنة ومن تبابلت
 الالسن الى مولد ابراهيم أربع مائة واحد عشر سنة ومن مولد ابراهيم الى
 وفاة موسى خمسمائة وخمسا وأربعين سنة فصار من هبوط آدم الى وفاة موسى
 ألفين وثمانمائة وتسعا وأربعين سنة وهو أول بني بعد نوح ابراهيم وهو أول
 من قص شاربه واسمته واخوته تن وقلم أظفاره واسمته تالك وتضمض واسمته تنشق
 واستنجى بالماء وأول من أضاف الضيف وأطعم المساكين وثرى الثريد وكان
 داعيا الى عبادة الله تعالى وتوحيد الله ثم ولده اسحق بن ابراهيم ولده عيسو
 ويعقوب توأمين في بطن واحد فخرج عيسو ثم خرج بعده يعقوب وبه عالة

على عقبه فسمى يعقوب * فعيصوا بوالر وم وكان أصغر فلذلك سميت الروم بني
 الاصفر * ويعقوب هو اسرائيل أبو الاسباط * وأيوب بن بولص كان أبوه من آمن
 بابراهيم يوم أحرق وكان في زمن يعقوب وكان صهره زوجه يعقوب بنته لياو هي
 التي ضربها بالضغث * وتول نبى من بني اسرائيل موسى وآخرهم عيسى
 وكانت نبوة يعقوب بن اسحق بن ابراهيم ومن بعده من ولده قبل موسى مقصورة
 على أنفسهم حتى دعا موسى الى نبوته بني اسرائيل ومن وفاة موسى الى ملك
 بختنصر تسعمائة وثمان وسبعون سنة والى ملك الاسكندر ألف وأربعمائة
 وثلاث عشرة سنة * وولد عيسى ليلة الاربعاء الخامس والعشرين من كانون
 الاول لسبعمائة وتسع وثلاثين سنة من ملك بختنصر ولثلاثمائة وأربع سنين
 من ملك الاسكندر ومن ملك بختنصر الى ابتداء الهجرة ألف وثلاثمائة وتسع
 وستون سنة ومن ملك اسكندر الى ابتداء الهجرة ألفان وثلاثمائة وسبع
 وأربعون سنة فكان بين موت موسى وابتداء الهجرة ألفان وثلاثمائة وسبع
 وأربعون سنة ومولد عيسى بعد ألف وسبعمائة وسبع عشرة سنة من موت
 موسى وقيل بعد ستمائة وثلاثين سنة من ابتداء الهجرة

(فصل) فاذا تقرر ما ذكرناه من مدة الدنيا أنها مقدرية في الكتب الالهية بسبعة
 آلاف سنة كان الماضى منها الى ابتداء الهجرة محمولا على ما قدمناه من اختلاف
 أهل التوراة فيكون على القول الاول المأخوذ عن الاحبار النافين لها الى
 اليونانية ستة آلاف ومائتين وست عشرة سنة والباقي من عمر الدنيا على قولهم
 بعد الهجرة سبعمائة وأربعا وثمانين سنة وهو موافق لقول رسول الله صلى الله
 عليه وسلم الدنيا سبعة آلاف سنة بعثت في آخرها ألفا ويكون الماضى منها على
 القول الثانى المأخوذ عن التوراة العبرانية أربعة آلاف وثمانمائة واحد
 وأربعين سنة والباقي من عمر الدنيا على هذا القول بعد الهجرة ألفين ومائة
 وتسع وخمسين سنة وقيل انهم قالوا ذلك ليكون رسول الله صلى الله تعالى عليه
 وسلم فى خامسها ألفا فيدفعوه بنقصان التاريخ عن صفته فى التوراة انه مبعوث
 فى آخر الزمان ويكون الماضى على القول الثالث فى توراة السامرة خمسة

آلاف ومائة وسبعة وثمانون ثلاثين سنة والباقى من عمر الدنيا على هذا القول بعد
 الهجرة ألفا وثمانمائة وثلاثون ثلاثين سنة ليكون الرسول فى سادسها ألفا لما قيل
 من سنه والسمامة قوم نافله من بلاد المشرق فهو بذلك لان تفسيره بالعربية
 الحفظه وهم لا يقبلون من كتب الانبياء الا التوراة وحدها والاول لاجل قول
 الرسول بالاشبه به وان كان قيام الساعة وانقراض مدة الدنيا أو قيام العالم على هذا
 التاريخ الذى أثبتوه والتقدير الذى حققوه مدفوعا عندنا بقول الله تعالى ان الله
 عنده علم الساعة وفيه تأويلان أحدهما ان قيامها مختص بعلمه فامتنع أن
 يشاركه فى علمها أحد من خلقه والثانى أن قيامها موقوف على ارادته فامتنع
 أن يوقف على غير ارادته وقال تعالى هل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة يعنى
 فجأة والبغته غير معلومة فامتنع أن تكون عندهم معلومة ثم قال فقد جاء
 أسراطها فيه وجهان أحدهما نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وهذا يدل على أنه
 مبعوث فى آخرها ألفا والثانى ان أسراطها الآيات المنذرة بها كما قال وما نرسل
 بالآيات الا تخويفا فلا تقوم الساعة الا بعد أن ينذر الله تعالى بآياتها روى
 سفيان بن عيينة عن فرار عن أبى الطفيل عن حذيفة بن أسد الغفارى قال أشرف
 علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من عليقة ونحن ننذاكر أمر الساعة قال
 ما كنتم تذاكرون قلنا قيام الساعة قال ان الساعة لن تقوم حتى يكون قبلها عشر
 آيات قال لا يدري بايها تبدأ طلوع الشمس من مغربها والدجال والدخان ودابة
 الارض ونزول عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج وثلاث خسوف
 خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج
 من قبل اليمن أو من عدن تطرد الناس الى محشرهم وروى برد عن مكحول عن
 أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يخرج الدجال فى الثمانين فان لم
 يخرج فى ثمانين ومائتين فان لم يخرج فى ثلاثمائة وثمانين فان لم يخرج فى
 أربع مائة وثمانين وروى معاذ بن جبل أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر
 الدجال فقال يقيم فيكم أربعين سنة أو سنة كالشهر ثم الثانية كالجمعة ثم الثالثة
 كالיום وسائر سنه كالساعة حتى ينزل عيسى بن مريم فيوجهه بالحربة فيه ذوب

كما يذوب الرصاص وفي هذا دليل على تقدم بأجوج ومأجوج الدجال وآخرها
الذي تقوم به الساعة ظهور النار والله أعلم بمن استأثر بغيبه ثم من أطلعه عليه
من رسله

(فصل) وبين موسى وعيسى عليهما السلام من الأنبياء * شعيا وهو الذي بشر
بنى اسرائيل بنبوته محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ووصفه بعد ان بشر بعيسى فقتله
بنو اسرائيل * ثم خزيه وهو الذي أصاب قومه الطاعون فخرجوا من ديارهم
حذرا الموت فأماهم - ثم الله ثم أحياهم * ومنهم دانيال سباه بختنصر مع العزيز
ونزل من بختنصر أفضل منزل لرؤيا عبره الله وقبره بناحية السوس وجده أبو
موسى الاشعري فأخرجه وكفنه وصلى عليه ودفنه * ومنهم الياس بعث الى أهل
بعلبك وكانوا يعبدون صنما يقال له بعيل وكان ملكهم اسمه أجب وامرأته ازيل
وكان يس - تختلفها على ملكه وهي بنت ملك سبأ وعمرت عمرا طويلا وتزوجها
سبعة من ملوك بني اسرائيل - وهي التي قتلت يحيى بن زكريا عليهما السلام
ثم رفع الله تعالى الياس * ثم اليسع كان تلميذا الياس فدعاه الياس فنبأه الله به - ده
* ثم يونس بن متى * ثم زكريا فقتله بنو اسرائيل في الشجرة * ثم عيسى * ويحيى
فاما يحيى فان أجب الملك قتله بحيلة امرأته ازيل وأما عيسى فان أمه هربت به
من أجب الملك الى مصر وعاد به يوسف النجار مع أمه الى قرية تدعى ناصره فلذلك
قيل لأصحابه نصارى لانهم سموه عيسى الناصري وأصحاب الكهف هم فتية
من الروم دخلوا الكهف قبل المسيح عيسى وضرب الله على آذانهم فيه فلما بعث
المسيح أخبر بخبرهم ثم بعثهم الله تعالى بعد المسيح في الفترة بينه وبين النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم وخرجيس من أهل فلسطين أدرك بعض الحوارين وبعث
الى ملك الموصل * فاما لقمان فكان عبدا حبشيا رجا من بني اسرائيل وكان
في زمن داود واسم أبيه ثاران واختلف في نبوته فزعم الاكثرون انه لم يكن نبيا
وقال سعيد بن المسيب كان نبيا وكان خياطاً * وذوالكفل من بني اسرائيل بعث
الى ملك كان فيهم يقال له كنعان دعاه الى الايمان وكفل له الجنة وكتب له كتابا
وسمى ذالك كذل لذلك (وذكر وهب بن منبه) ان الانبياء كلهم مائة ألف نبى

وأربعة وعشرون ألف نبي الرسل منهم ثلاثمائة نبي وخمسة عشر نبيا * منهم
 خمسة عبرانيون آدم وشيث وادريس ونوح وإبراهيم * وخمسة من العرب
 هود وصالح وإسماعيل وشعيب ومحمد صلوات الله عليهم وروى أبو صالح عن ابن
 عباس قال بعث الله إلى أهل الأس والرس البرزنجيا منهم يقال له حنظلة بن صفوان
 فكذبوه وقتلوه فأوحى الله تعالى إلى نبي كان مع بخت نصر يقال له أرميا بن برخيا
 مر بخت نصر يفتقر والعرب الذين لا أغلاق لميسوتهم فيقتلهم عاصم نعويا بنبيهم وخالد
 ابن هنان روى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم قال ذلك نبي أضاعه قومه
 وذلك أنه قال لقومه ادفتوني فإذا جاءت الطماعة بعد ثلاث فأخرجوني فسانبثكم
 بما أمرت فجاءت الطماعة إلى قبره بعد ثلاث فلم يخرجوه وقالوا اتحدت العرب
 عنا أنا نبينا وتانا وأنت بنته رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم فسمعتهم يقرأ
 قل هو الله أحد فقالت قريكان أبي يقرأ هذا ولا يضبط ذكر من سلف من
 الأنبياء لكثرتهم وقول الله تعالى لنبيه صلى الله تعالى عليه وسلم لم منهم من
 قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص والله تعالى أعلم .

(الباب السادس في اثبات نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم)

الكلام في اثبات نبوته يتقرر مع المعترفين ببعثة الرسل لأن منكريها يعمون
 الجميع بها ويدفعون كل مدع لها والكلام معهم قد قدمناه في اثبات النبوات على
 العموم * فاما نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لم فقد اختلف فيها المخالفوه من
 مثبتى النبوات على أقوال شتى فنعت اليهود من نبوته لامتناعهم من نسخ
 الشرع واختلفوا في المانع من نفعه فمنع منه بعضهم بالحق لا نفي الله
 تعالى عما أمر به وأمره بما نهى عنه اغما يكون لحفاء المصلحة عليه في الابتداء
 وظهوره في الانتهاء والله تعالى عالم بها في الحالين لتباين الضدين ومنع منه
 بعضهم بالشرع وان جوزه في العقل بما نقلوه عن موسى عليه السلام وذكره
 في التوراة انه قال تمسكوا بالسبب أبدا سنة الدهر وكلا الوجهين فاسد من
 وجهين أحدهما أن العقل لا يمنع من الأمر بالشئ في زمان والنهي عنه في غيره
 بحسب المصلحة في قول من اعتبرها أو بالارادة في قول من اعتمدها ولا يكون

مستقبها من فعل حكيم كما يغني من أفقر ويفقر من أغنى اما للمصلحة أو بالارادة
ولا يكون ذلك منه لاستنباط المصلحة وأشكال الارادة والثاني أن موسى قد نسخ
شرع من تقدمه لان آدم زوجه بنيه بناته وجوز يعقوب الجمع بين الاختين ونسخ
ابراهيم بنت أخيه وكل هذا فسد موسى منسوخ بشرعه فجاز أن ينسخ شرعه
بشرع غيره وقال آخرون محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لم ينبي بمبعوث الى قومه
من العرب وليس بنبي لغيرهم وهذا فاسد من وجهين أحدهما انه تخصيص بغير
دليل والثاني ان ثبوت نبوته في قومه هو واجب اصدقه وقد قال انه بعث الى كافة
الخلق وانه خاتم الانبياء فلم يجز رد قوله مع ثبوت صدقه وقال آخرون هو نبي
مبعوث الى من لم يتمسك بشرع من عبدا لاثان وليس بمبعوث الى من تمسك
بشرع من اليهود والنصارى وهذا فاسد من وجهين مع الوجهين المتقدمين
أحدهما أنه يدفع به عن نسخ الشرع وقد دللنا على جوازه والثاني ان من اعترف
بالنبوات كان ألزم له من بحدها وقال آخرون ليس بنبي لانه لم يأت بمعجزة
قاهرة يرضى طر الى صدقه كعجزة موسى وعيسى وان جاز نسخ الشرائع بغيرها من
الشرائع وفي هذا يمين اقامة الدليل على اثبات نبوته وهو معتبر بثلاثة شروط
أحدها وصف المستدل والثاني حكم المدلول عليه والثالث صفة الدليل فاما
الشرط الاول في صفة المستدل فقد اختلف فيه فذكر الجاحظ انه العقل لانه
المميز للحق وقال الاكثرون المستدل هو للعقل والعقل آلة استدلاله ليه وصل به
الى صحة مدلوله وأما الشرط الثاني ففي حكم المدلول عليه فعند فريق انه اثبات
نبوته ليعلم بها صدق قوله وعند الاكثرين انه اثبات صدقه اي لم بقوله صحة
نبوته وأما الشرط الثالث وهو الدليل فجوابه يتنوع أنواعا لان المستدل واحد
والمدلول عليه واحد والدليل يشتمل على أعداد متنوعة وشواهد مختلفة فترق الله
تعالى بينهما المالك كون الحجج متغايرة والبراهين متناظرة بحسب ما علمه من المصلحة
ورآه من أسباب الاجابة كما قال تعالى وكذلك نصرق الآيات أي نخالف بينها في
المعجزات فكان بعضهما حاجة قاطعة وبعضها أمانة لا تحتمل تجري عليها أحكام
ما قاربها فتقوى بعد الضعف وتنج بهد الكشف وان لم تكن للانذار

بانقرادهام من قواطع الحج المغنية عن دليل يحج فهذا القول في نبوة غيره فلا يلزم
 تطابق حججهم كالم يلزم اتساق شرائعهم وقد قدمنا أقسام المعجزات فاذا ظهرت
 احداهن حجت ودلت على صحة النبوة. وقد ظهر في نبوة محمد صلي الله تعالى عليه
 وسلم أكثرها مع ما تقدمها من انذار وظهورها من آثار وتحققها من أخبار
 فصارت أهم النبوات اعجازا وأوضحها طريقة وامتيازاً وأكثرها تأييداً إلهياً
 وتعبداً شرعياً. نفهز شواهدهم من بآين وعائد وتحمج دلائلها من ناكرو جاحد
 لان إلهياً بمنه مطبوع على آتاه ومنقاد الى غايته حتى يتدرج اليه بغير
 تكلف ويسبغ تقريفيه بغير تضيق فلا يشبهه من تعاطاه بمن طبع له فصيح
 التطبيع بشيعة المطبوع ولم تزل أمارات النبوة لائحة في رسول الله صلي الله تعالى
 عليه وسلم حين تدرج اليها وهو غافل عنها وغير متصنع لها فنهض بأعبائها حين آتاه
 وقام بحقوقها حين لزمته غير ذاهل فيها ولا عاجز عنها الى أن تكامل به الشرع
 فتم على أصل مستتتر وقياس مستمر لا يدفعه عقل ولا ياباه قلب ولا تنفر
 منه نفس وهذا هو أسمى لم يقرأ كتابا ولا اكتسب علما فأوضح كل ملتبس
 وبين كل مشتبك حتى رجع كثير من الملل الى شريعته في علم ما قصر واعنه من
 حقوق وعقود استوعب أقسامها وبيّن أحكامها وما ذاك إلا بعون إلهي
 وتأيد لا هو قى وحسبك بهذا شاهد الواقعة صرنا عليه وحججا لوالا كتفينا به ولاكن
 سنذكر من معجزاته الفاخرة وبراهينه الواضحة ما يرتد كل جاحد ويصدق كل
 معاند من أنواع متغايرة وأخبار متواترة وآثار متظاهرة يصدق بعضها
 بعضها ليكون تغايرها جامعاً لكل برهان وتظاهرها دافعاً لكل بهتان فمنها
 ما تدمه من نذير وبشير ومنها ما تعقبه من تغيير وتأثير ومنها ما قارنه من
 أقوال وأفعال صدرت منه واليه فلم يبق من الآيات ما أخل به ولا من الاعلام
 ما قصر فيه * وسنذكرها أبواباً منفصلة وأنواعاً متميزة لتكون أصح بياناً
 وأوضح برهاناً وأحقها بالسابقة والتقديم اعجاز القرآن لانه أصل شرعته
 ومستودع رسالته ثم نتلوه بما يقتضيه وان كان لو ذكرناه أول مباديه على
 سياق ينتهي الى غايته لكان نظاماً ولكن هذا باب حجاج لرسالته وليس بشرح

لسيرته فوجب ابتداءها بخصها ثم ذكر سيرته على ترتيبها

(الباب السابع فيما تضمنه القرآن من أنواع إعجازه)

والقرآن أول معجز دعاه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم إلى نبوته فصعد فيه برسالته
وخص بإعجازه من جميع رسله وإن كان كلاما مملوفا وقولا محفوظا لثلاثة
أسباب صار بها من أخص إعجازه. وأظهر آياته أحدها أن معجز كل رسول
موافق للأغلب من أحوال عصره والشائع المنتشر في ناس دهره لأن موسى
عليه السلام حين بعث في عصر الصحرة خص من فلق البحر يربسا وقلب العصا
حية ما بهر كل ساحر وأذل كل كافر وبعث عيسى عليه السلام في عصر الطب
نخص من أبرأ الزماني وأحياء الموتى بما أدهش كل طيب وأذهل كل أيب
ولما بعث محمد صلى الله تعالى عليه وسلم في عصر الفصاحة والبلاغة نخص بالقرآن
في إعجازه وإعجازه بما عجز عنه الفصحاء وأذعن له البلغاء وتباعد فيه الشعراء
ليكون العجز عنه أقهر والتمتصير فيه أظهر فصارت معجزاتهم وإن اختلفت
متشاكلة المعاني متفقة العمل والثاني أن المعجز في كل قوم بحسب أفهامهم
وعلى قدر عقولهم وأذهانهم وكان في بني إسرائيل من قوم موسى وعيسى بلادة
وغباوة لأنه لم ينقل عنهم ما يدون من كلام مستحسن أو يستغاد من معنى مبتكر
وقالوا النبيهم حين مروا بقوم يعكفون على أصنام لهم اجعل لنا إلها كما لهم آلهة
نخصوا من الإعجاز بما يصلون إليه ببداهة حواسهم والعرب أصح الناس أفهاما
وأحدهم أذهانا قد ابتكروا من الفصاحة أبلغها ومن المعاني أغربها ومن
الآداب أحسنها نخصوا من معجز القرآن بما تجول فيه أفهامهم وتصل إليه
أذهانهم فيدركوه بالفطنة دون البديهة وبالروية دون البادرة لتكون كل
أمة مخصوصة بما يشاكل طبعها ويوافق فهمها والثالث أن معجز القرآن
أبقى على الأعصار وأنشأ في الأقطار من معجز يخضع بحاضره ويندرس
بانقراض عصره ومادام إعجازه فهو أجمع وبالاختصاص أحق
(فصل) وإعجاز القرآن في خروجه عن كلام البشر وإضافته إلى الله تعالى

يكون من عشرين وجهاً أحدها فصاحته وبيانه وذلك معتبر بثلاثة شروط
 أحدها بلاغة ألفاظه والثاني استيفاء معانيه والثالث حسن نظمه فاما
 بلاغة ألفاظه فتكون من وجهين أحدهما جزاؤها حتى لا تأن والثاني انطباعها
 حتى لا تنخبو وأما استيفاء معانيه فيكون من وجهين أحدهما أن يكون المعنى
 لا تخاف مبادي ألفاظه غير متقرر إلى مقاطعه والثاني أن يكون المعنى
 مطابقاً لألفاظه فلا يزيد عليها ولا ينقص عنها فان زاد كان الاختلال في اللفظ
 وان نقص كان الاختلال في المعنى وأما حسن نظمه فيكون من وجهين
 أحدهما أن يكون الكلام متناسلاً لا يتنافر والثاني أن يكون الوزن معتدلاً
 لا يتباين (فان قيل) قد يجمع في كلام البشر ما يستكمل هذه الشروط فبطل به
 الإعجاز فالجواب عنه من وجهين أحدهما أن أسلوب نظمه على هذه الشروط
 معدوم في غيره فافتقراً والثاني أن لنظم ألفاظه بهجة لا توجد في غيره فاختلفا
 لأنك اذا جمعت بين قول الله تعالى ولكم في القصص حياة وبين قولهم القتل
 أنفى للقتل وجدت بينهما فروقاً في اللفظ والمعنى

(فصل) والوجه الثاني من إعجازه إيجازه عن هذا الاكثار واستيفاء معانيه
 في قليل الكلام كقوله تعالى وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء
 وقضى الامر واستوت على الجودي وقيل بعد القوم الظالمين (فان قيل) ليس
 جميعه وجيزاً مختصراً وفيه المبسوط والمكرر وبعضه أفصح من بعض ولو كان
 من عند الله لتماثل ولم ينفاضل لان التفاضل في كلام من يكمل خاطره وتضعف
 قريحته فعنه جوابان أحدهما أن اختلافه في البسط والإيجاز ليس للعجز عن
 تمائله ولكن لاختلاف الناس في تصوره وفهمه وتفاضله في الفصاحة
 بحسب تفاضل معانيه لا للعجز عن تساويه والثاني أنه خالف بين مبسوطه
 ومختصره وبين أفصحه وأسهله ليكون العجز عن أسهله وأبسطه أبلغ في
 الإعجاز من العجز عن أفصحه وأخصره ولذلك فاضل بين خلقه ليعرف به فرق
 ما بين التفاضل والمفضول وقد حكى أبو عبيدة أن اعرابياً سمع رجلاً يقرأ فاصدع
 بما تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام فلما تكرار قصصه وتكرار

وعده ووعيدة فلا سباب مستفاد منها في التكرار أو كد وفي المبالغة أزيد
ومنها انها تتغير ألفاظها فتكون الى القبول أسرع وفي الإعجاز أبلغ ومنها أنها
ان أدخل بالوقوف عليها في موضع أدركها في غيره فلم يخل من رغب ورهب
(فصل) والوجه الثالث من إعجازها ان نظم أسلوبه ووصف اعتداله يخرج
عن منظوم الكلام ومنشوره ولا يدخيل في شعر ولا رجز ولا جمعة ولا خطبة
حتى تجاوز محصور أقسامه وبنان سائر أنواعه بأسلوب لا يشاكل ونظم
لا يماثل فصار وان كان من حروف الكلام خارجا عن أقسام الكلام فقه يقال
أنيس الغفاري وهو أخوا أبي ذر الغفاري وكان من الموصوفين بالتقدم في
البلادة والفصاحة عرضت القرآن على السجع والشعر والنظم والنثر فلم
يوافق شيئا من طرق كلام العرب (وحكى) عن الوليد بن المغيرة المخزومي وكان سيد
عشيرته وأفصح قومه أنه جاء الى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو على كفره فقال اقرأ على شيئا من القرآن فقرأ عليه فقال ليس هذا من كلام
البشر وليس بشعر فضى اليه أبو لهب وقال أفسدت قريشا هذا القول فارجع
عنه فقال أقول انه سحر وقد تعاطاه من الشعراء ما خرج عن أسلوبه الى طريقة
شعره فقال في قصة الفيل

ألا من مهلك الفيل * ومن سار مع الفيل
بطير صلبه الله * عليهم من أبيابيل
رمتهم بجناديل * ترى من طين سميل
فاضحى القوم في القاع * كمنصف غير مأكول

فلم يساعده الطبع عليه مع أخذ معانيه واستعمال ألفاظه حتى عاد الى مطبوع
شعره وضمن آخر من الشعراء شيئا منه في شعره فخرج عن أسلوبه حيث يقول
وقرأ معلنا لصدع قباي * والهوى يصدع الفؤاد السقيما
أرأيت الذي يكذب بالدين * فذلك الذي يدع اليتيما
* فان قيل لو كان لنظم القرآن أسلوب معجز لما طلب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى
عنه عند دمج القرآن من يأتيه بالآية والآية بين شهود أنه سمعه من رسول الله

صلى الله تعالى عليه وسلم ولا كُتِفَ بأسلوب نظمه عن بينة تشهده ولا كان
لا يشبهه على ابن مسعود في المعوذتين حين أخرجهما من القرآن ولا على أبي
ابن كعب في القنوت حين أدخله في القرآن ولا على امرأة ابن رواحة في شعره
حتى توهمته من القرآن فعنه جوابان أخذهما ان عمر التمس الشهادة في الآية
والآيتين معاً لا يكونان قرآناً معجزاً إلا أن لا يعجز عن مقتضى ما وقع به التحدى وأقل
ما يقع به التحدى كما قصرت سورة في القرآن آيات وحروفها وهي سورة الكوثر
وما قصر عنه لا يعجز فيه فكان طلبه للشهادة متوجها اليه والثاني إنه طلب
الشهادة على محلها من أي سورة هي وفي أي موضع منها يوضع وإن كان معلوم
الأسلوب بالمبينة لأن الله تعالى كان يأمر بوضع ما أنزله فيما يراه من السور أقوله
إن علمنا جملته وقرآنه فاما ابن مسعود فلم يشك كل عليه أسلوب المعوذتين أنهما
من القرآن وإنما حكمهما من مصحفه لأنه ظن أن تلاوتهما قد نسخت وأما أبي
ابن كعب فظن أن تلاوة القنوت باقية ولم يدع لم أنها قد نسخت وأما امرأة ابن
رواحه فلم تكن من ذوى الفصاحة والبلاغة فتفرق بين الشعر وأسلوب القرآن
فلم يكن لوهما تأثير

(فصل) والوجه الرابع من اعجازه كثرة معانيه التي لا يحصى كلام البشر
وذلك من وجهين أحدهما ما يحصى قليل الكلام من كثير المعاني كقوله وأوحينا
إلى أم موسى أن أرضعيه فاذا خفت عليه فآلقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني
انارادوه اليك وجاعلوه من المرسلين فجاء مع في آية واحدة بين أمرين ونهيين
وخبرين وبشارتين والثاني أن ألفاظه تحتل معاني متغايرة تحارفها العقول
وتذهل فيها الخواطر وتكل فيها القرائح ثم لا تبلغ أقصاه ولا تدرك منتهاه حتى
اختلفت فيه الوجوه وتقابلت فيه النظائر (فان قيل) فهذا ألغاز ورز هو بالذم
منه أولى بالحمد فعنه جوابان أحدهما أن الألغاز وان ذم فالرئيس بدموم
وليس فيه لغز وان كان فيه رز والثاني أن ما اختلفت معانيه يخرج عن اللغز
والرز لأن اللغز ما أريد به غير معناه والرز ما خفي معناه
(فصل) والوجه الخامس من اعجازه ما جمعه القرآن من علوم لا يحيط

بهم ابشرو ولا تجتمع في مخلوق فلم يكن الا من عنده الله المحيط بكل شيء علما حتى علمه من لم يكن به عالما (فان قيل) فضل العلم لا يكون اعجازا في النبوات لان العلماء قد يتفاضلون ولا يكون الا فضل اعجاز على المفضل ومنه جوابان أحدهما ان التفاضل في العلم موجود والاحاطة بجميع العلوم مفقود والثاني ان ظهور العلم فيمن يتعاطاه ليس بمعجز لظهوره من جهته وظهور العلم فيمن لم يتعاطاه معجزا لظهوره من غير جهته وقد كان أميا من أمة أمية لم يقرأ كتابا ولم يتعاط علما فصار ما أظهر معجزا

(فصل) والوجه السادس من اعجازه ما تضمنه من الحجج والبراهين على التوحيد والرجعة وعلى الدهرية والثنوية حتى قطع بحججه كل محتج وخصم بجده كل خصم ألد (فان قيل) فدلائل التوحيد مستفادة بالمعقول فلم يكن فيها اعجاز من وجهين أحدهما وجودها من ذاتها والثاني مشاركتها فيها لغيره والجواب عنه من وجهين أحدهما أنه لم يكن من أهل الجدل فيقطع كل مجادل والثاني انه احتج للرجعة بما زاد على قضايا العقول فخصم كل عاقل

(فصل) والوجه السابع من اعجازه ما تضمنه من أخبار القرون الخالية وقصص الامم السالفة وما تحدا به أهل الكتاب من قصة أهل الكهف وشأن موسى والخضر وحديث ذي القرنين فكان على ما ذكره أنبياءهم وتضمنته كتبهم (فان قيل) فالأخبار بما كان ليس بمعجز لان علم غير الانبياء به ممكن فعنه جوابان أحدهما انه ممكن فيمن علمها وممتنع فيمن لم يعلمها ولم يكن من أهلها فيعلمها فصار معجزا ممتنعا والثاني انهم اقترحوا تحديه مما لم يكن مبتدئا ولا كان له متناهيان من غوامض أسرار وغرائب أخبار جعلوها حجابا له وعليه ففصح بالجواب عن سرارها وصدع بنعت غوامضها فخرج عن العرف الى ما ليس بعرف فصار معجزا

(فصل) والوجه الثامن من اعجازه ما تضمنه من علم الغيب باخباره تكون فكانت كقوله لهم - ودقل ان كانت ايمكم الدار الاخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ثم قال ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم فما تمناء أحد منهم وكقوله لقريش فان لم تفعلوا ولن تفعلوا ففقطع بانهم لا يفعلون

فلم ينعلموا وكقوله - يهزم الجمع ويولون الدبر وكان ذلك في يوم بدر وكقوله في هجرته من مكة الى المدينة ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد فأعاده الله الى مكة عام الفتح الى غير ذلك من نظائره (فان قيل) فقد يكون ذلك - دسا بشواهد الافعال وفراصة بفضل الابعية وقوة الفطنة فعنه جوابان أحدهما ان الحدس والفراصة وان أصاب بهما نارة فقد يخطئ بهما أخرى وهذا الصابة في الجميع فخرجت عن الحدس والفراصة الى علم من لا تخفى عليه الغيوب والثاني ان الحدس والفراصة توهم غير مقطوع بهما قبل الوجود وهذه الاخبار بأنها مقطوع بها قبل الوجود فافتروا

(فصل - ب) والوجه التاسع من اعجازه ما فيه من الاخبار بضمائر القلوب التي لا يصل اليها الاعلام الغيوب كقوله اذهمت طائفتان منكم ان تفشلا من غير ان يظهر منهم قول أو يوجد منهم فشل وكقوله واذ بعدكم الله احدى الطائفتين انهما لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم فيكون كقوله وان لم يتكلموا به الى غير ذلك من نظائره (فان قيل) فالجمع الكثير يتخلف ضمائرهم في العرف فان وجد ذلك في بعضهم لم يوجد في جميعهم فان لم يخل ان يعقده بعضهم خلا منه بعض - هم فتقابل القولان فيهم وبطلان اعجازه معهم فعنه جوابان أحدهما انهم وجهوا به هذا الخبر على العموم فلم ينكروه فزال - هذا التفصيل فصار معجزا والثاني انه جعله ذنباهم فلم ينتضوا منه ندل على وجوده من جميعهم

(فصل - ج) والوجه العاشر من اعجازه ان ألفاظ القرآن قد تشتمل على الجزل المستغرب والسهل المستقرب فلا يتوعر جزله ولا يستزل سهله ويكونان اذا اجتمعا مطبوعين غير متنافرين ولا تنج - ذلك في غيره من كلام البشر لان جزله يتوعر وسهله يستزل والجمع بينهما يتنافر فصار من هذا الوجه مبيانا وفي الاعجاز دخلا (فان قيل) انما كان القرآن كذلك لانه قد توطا بكثرة التلاوة فاستلذته الاسماع واستحلمته الالسن ولولاه لتباين واختلاف فعنه جوابان أحدهما ان صفة عند أول سماعه لو كانت لما ذكر من العلة لاختلاف في مبادئه وغايته والثاني ان غيره من الكلام المختلف لا يتوطا بكثرة ذكره فبطلت العلة

(فصل — ل) والوجه الحادى عشر من اعجازه ان تلاوته تختص بخمسة
 بواعث عليه لا توجد في غيره أحدها هاشاشة مخرجه والثانى معة رونقه
 والثالث سلاسة نظمه والرابع حسن قبوله والخامس ان قارئه لا يكمل وسامعه
 لا يمل وهذا في غيره من الكلام معدوم (فان قيل) انما وقع في النفوس هذا الموقع
 للتدين بالتزامه والتخصيص باعظامه فعنه جوابان أحدهما ان هذا موجود في
 غيره من كتب الله تعالى كالنوراة والانجيل — ل والزبور وليس يوجد ذلك فيهما مع
 وجود هذا التعليل ولذلك ما سئمان أهلها على استحالة تلاوتها بوضعوها
 من الالخان واستعذبه لها من الاصوات والقرآن مستغن عن هذا بصيغته انظمه
 فلذلك ما راعوه هيج الطباع والثانى التدين لا يسلب العقول تميزها ولا يفسد
 عليها تصورها وهو بان يزيد لها بصيرة أولى ان ينقصها ولو كان لهذه العلة تلحده
 من كفر كما اعترف به من آمن وقول الجميع فيه سواء

(فصل — ل) والوجه الثانى عشر من اعجازه انه منقول بالفاظ منزلة ومعان
 مستودعة وبلغه الملك بافظه وعلى نظمه وأداء الرسول الى الامة عثله فلم ينحرم
 فيه لفظ ولا اختل فيه معنى ولا تغير له ترتيب حتى صار من الزلل مضبوطا ومن
 التبديل محفوظا تستمر به الاعصار على شاكلته وتتداوله الالسن مع اختلاف
 اللغات على نظمه وصفته لا يختلف بتعاقب الازمنة ولا يختل بتباعد الامكنة
 ولا يتغير باختلاف الالسنه وغيره من الكتب مقصورة على حفظ معانيها وان
 غويرت ألفاظها فان التوراة ألقي الله تعالى معانيها الى موسى عليه السلام
 فذكرها بافظه وعبر عنها بكلامه وأما الانجيل فهو ما أخبر به عيسى عليه السلام
 عن ربه وعن نفسه فجمعه تلامذته بالفاظهم وجعلوه كتابا متلوا وأما الزبور
 فأدعية بنحاميد وتسابيح تنسب الى داود عن لفظه ولئن كانت معاني هذه الكتب
 مضافة الى الله تعالى فليست بصيغة لفظه ولا على نظم كلامه كما نزل القرآن جامعا
 لا لفاظه ومعانيه وترتيبه فصار مبينا لجميع كتبه وما هذا الا بمعونة الهية حفظ الله
 تعالى بها اعجازه وأمدبها رسوله كما قال تعالى انا نحن نزلنا الذكروا ناله لحافظون
 (فان قيل) حفظ الكلام على صيغة لفظه واشتمال معانيه لا يكون معجزا كما شعار

الجاهلية القديما وأمثال من سلف من الحكماء فعنه جوابان أحدهما ان
في هذا محولا ومتروكا فلم ينحفظ والثاني انه لا يرد لم حاله فلم ينضببط والقرآن
مخالف لهما في حفظه وضبطه

(فصل) والوجه الثالث عشر من اعجازه اقتوان معانيه المتغيرة واقتران
تطائرها في السور المختلفة فيخرج في السورة من وعد الى وعد ومن ترغيب
الى ترهيب ومن ماض الى مستقبل ومن قصص الى مثل ومن حكم الى
جدل فلا ينبو ولا يتنافر وهي في غيره من الكلام متنافرة فتجانب معانيها
وكذلك هي في غيره من الكتب المنزلة مفصلة لكل نوع سفر فان التوراة
مقسومة على خمسة أسفار وكل سفر منها مفرد بمعنى واحد من المعاني المستودعة
فيها فالسفر الاول لذكر بدء الخلق والسفر الثاني لخروج بني اسرائيل من
مصر والسفر الثالث لامر القرايين والسفر الرابع لاحصاء موسى بني اسرائيل
ومادبرهم به والسفر الخامس لتكرير النواميس وجعل اختلاف معانيها
موجبا لتفاضلها فكان أفضل ما في التوراة عند اليهود العشر الكلمات المشتملة
على الوصايا التي خاطب الله تعالى بها موسى وبها يستخلفون دون غيرها وأفضل
ما في الانجيل الصحف الاربعة المنسوبة الى تلاميذه المسيح الاربعة وهي
المخصوصة بالقراءة في الصلاة والاعمال وأفضل ما في الزبور ما تنفق أهـل
الكتابين على اختياره وما شتمل عليه القرآن من تغايرها أولى من وجهين
أحدهما أن لا يختص قارئه بأحدها فيعدل عن غيره والثاني أن يسـتوعب اذا
أراد جميعها قراءة جميعه في ستة كمل فوائده ويستجزل ثوابه (فان قيل) فالتفصيل
أبلغ في البيان من الامتزاج فالجواب عنه ما ذكرناه من الوجهين

(فصل) والوجه الرابع عشر من اعجازه ان اختلاف آياته في الطول والقصر
لا يخرج عن اسلوبه ولا يزول عن اعتداله وغيره من نظم الكلام ونثره اذا
تفاضلت أجزاءه زال عن وزن منظومه واعتدال منشوره فصار ذلك من
اعجازه (فان قيل) زيادة طوله هذر ونقصان قصره حصر فكيف يكون معجزا
اذا تردد بين هذرو حصر فعنه جوابان أحدهما ان الزيادة تكون هذرا اذا لم تعد

والنقصان يكون حصر اذا لم يقنع والزيادة من طوله مفيدة والنقصان من قصره مقنع فخرج عن الهذر والحصر والثاني ان الطويل لو انفرد لم يكن هذرا والقصير لو انفرد لم يكن حصرًا فلم يكن اجتماعهما موجبا لهذره وحصره كاختلاف السور في القصر والطول فبان أقصر السور سورة الكوثر وتشتمل مع قصرها على أربعة معان اخبار بنعمة وأمر بعبادة وبشرى بمسرة وأسلوب هو معجزة فلم تخرج اذا قرنت بما هو أطول أن تكون معجزة .

(فصل - ل) والوجه الخامس عشر من اعجازه ان مكثرت لآياته لا يزداد به فصاحة وان ازداد بغيره من فصيح الكلام لخروجه عن طبع البشر فارجها فصار أسلوبه معجزا في الحالين وعلى كلا الوجهين (فان قيل) ما لا يؤثر في الطبع ناقص عن الكمال فكيف يوصف بالكمال فعنه جوابان أحدهما ان كماله فيه فلم يلزم تعديه والثاني ان كماله يوجب المنع من تساويه

(فصل - ل) والوجه السادس عشر من اعجازه تيسيره على جميع الاسنة حتى حفظه الاعجمي الابكم ودار به لسان القبطي الالكن ولا يحفظ غيره من الكتب كحفظه ولا تجرى به السنة البكم كجرى به وما ذاك الا بخصوص الميزة فضله بها على سائر كتبه (فان قيل) فقد يحفظ الشعر كحفظه والعلمه فيه اعتدال وزنه الذي يحفظ بعضه بعضا فلم يكن ذلك معجزا فعنه جوابان أحدهما ان ما ندرس من الشعر أكثر مما حفظ وهذ المحفوظ لم يدرس فاختلفا والثاني ما لم تستعذبه الافواه متروك والقرآن مستعذب غير متروك فافترقا

(فصل - ل) والوجه السابع عشر من اعجازه ان الكلام يترتب ثلاث مراتب منشور يدخل في قدرة الخلق وشعره هو أعلى منه يقدر عليه فربق ويحجز عنه فربق وقرآن هو أعلى من جميعها وأفضل من سائرهما تتجاوز رتبة النوعين فخرج عن قدرة الفريقين (فان قيل) لو كان القرآن برهانا معجزا لخرج كثيره وقليله عن القدرة وقليله مقدور عليه وهو ان يجمع بين ثلاث كلمات منه أو أربع فكذلك كثيره لان الشيء اذا دخلت أوائله في جنس الممكن خرجت أو اخره من جنس الممتنع فعنه جوابان أحدهما ان قليله وكثيره خارج عن القدرة

إذا انتظم اعجازه وهو كاقصر سورة منه فبطل هذا الاعتراض والثاني أنه ليس
القدرة على الحكمة والحكمتين منه قدرة على استكمال ما يقع من التحدي
كالمنعم في الشعر لا تكون قدرته على الحكمة والحكمتين من بيت من الشعر
قدرة على نظم بيت كامل من الشعر

(فصل) والوجه الثامن عشر من اعجاز ما ان الزيادة فيه مما تارة وتغيير ألفاظه
منه مفتوحة ولو كان في القدرة لا لبس ولو أمكن لأشبهه (فان قيل) فقد زيد
فيه فالتبس واشتبه وهو ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما نزلت عليه سورة
النجم بكه قرأها في المسجد الحرام حتى بلغ الى قوله تعالى أفرايتم اللات والعزى
ومناة الثالثة الاخرى ألقى الشيطان على لسانه تلك الغرائيق العلى وأن شفاعتهن
لترتجى ثم تم السورة وسجد فسجد معه المسلمون وفرح المشركون فسجدوا
معه ورضيت كفار قريش به وسمع به من هاجر الى أرض الحبشة فعادوا الى أن
أنكر عليه جبريل فشق عليه ونزل فيه قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي الا اذا تخنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله
آياته قالوا ومعلوم ان هذه الزيادة هي في مثل أسلوب السورة وليست من الله
تعالى وقد اشتبهت فلم لا كان ما سواها جاثباتها فعنه جوابان أحدهما ان هذه
زيادة لا تبلغ قدر التحدي فخرجت عن حكمه الثاني انه أنزل فيها التي عندهم
أيها الغرائيق العلى وان شفاعتهن لترتجى فاشتبه على قريش وحذفوا منه قوله
التي عندهم فنسخ الله تعالى لهذا الاشتباه تلاوة هذه الزيادة

(فصل) والوجه التاسع عشر من اعجازه عجزالامم عن معارضته وقد تحداهم
أن يأقوا بسورة مثله فلم تخرجهم انفة التحدي وصبروا على نفص العجز مع شدة
حياتهم وقوة انفتهم وقد سفه أحلامهم وسب أصنامهم ولو وجدوا الى
المعارضة سبيلا وكان في مقدورهم داخلا وقد جعله حجة لهم في رد رسالته
لمعارضوه ولماء ادلوا عنه الى بذل نفوسهم في قتاله وسفك دماهم في محاربتهم
(فان قيل) فليس يمنع أن يكونوا قد عارضوه بمثله فكتم كما كتم ما عجبى به من

الاشعار وقرف به من المعار فعنه جوابان أحدهما أنهم لو عارضوه لظهر ولو
 ظهر لا تنشر لان تكاتم الاستفاضة لا تستطاع لما في الطباع من الاذاعة وفي نفثات
 الصدور من الاشاعة ولقد قيل قد عورض فكم كما قيل هجي فكم ولو جاز هذا
 في معارضة القرآن لجازمه. له في معجزة كل نبي أن يقال قد عورض معجزه فكم
 فيه فضى الى ابطال كل معجزه وهذا مدفوع في معارضة غير القرآن فكان مدفوعا
 في معارضة القرآن والثاني انه قد جعل معارضة حجة لهم في درر رسالته فلو
 عارضوه لاحتجوا عليه بالمعارضة ولما احتاجوا معه الى القتال والمحاربة مع بذل
 النفوس واستهلاك الأموال ولدفعوه بالاهون دون الاصعب وقد نقل ما
 عورض به فظهر فيه العجز وبان فيه النقص حتى فضحته ركاكة لفظه وسخافته
 نظمه **يحيى بن عمار** في قتيبة عن مسيلة أنه قال في معارضة القرآن يا ضفدع نقي كم
 تنقن لا الماء تكدرين ولا الشراب تمنعين فلما سمع هذا أبو بكر رضى الله تعالى
 عنه قال ان هذا الكلام لم يخرج من إل **يحيى** عن غيره **يحيى** وأحسبه العنسى أنه
 قال ألم تركيف فعل ربك بالحبل أخرج من بطنها سممة تسمى من بين شراسيف
 وحشى **يحيى** عن آخر **يحيى** النمل وما القيل له ذنب وثيل ومش فرطويل
 فان ذلك من خلق ربنا القليل * **يحيى** الحكيم عن عكرمة ان النضر بن الحرث وكان
 من فصحاء قريش عارض القرآن فقال والزراعات زرعاً والخاصات حصداً
 والطاحنات طحناً والعاجنات عجناً والخابرات خبزاً فاللاغات لقماً **يحيى** وقال
 آخر **يحيى** قد أفلح من هينم في صلاته وأطعم المسكين من مخلاته وأخرج الواجب من
 زكاته **يحيى** وقال آخر **يحيى** في معارضة سورة النجم والنجم اذا سما والبحر اذا طما ما زاغ
 منه نذكركم وما طغى وما كذب بها وغوى فيما نطق به وروى فأنزل الله تعالى في
 ذلك ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو قال أوحى الى ولم يوح اليه شئ فهذه
 المعارضة وقد احتذوا فيها مثالا عدلوا بها عن طوال السور الى قصارها فاتوا
 بسقيم الكلام دون سليمه وبسخيفه دون جسيمه فكيف يقابل به غاية
 التصوى ويوازي به طبقة العليا وهل ذلك الا كمن عارض فصاحة صعبان
 بعي باول أو تخليط مجنون بحزم عاقل أو قاس الدر بالدر وشاكل بين الصنفين

والكدر ومن تعاطى ما ليس في طبعه افتضح فخر صريحا وهوى سريعا
 (فصل - ل) الوجه العشرون من اعجاز الصرفة عن معارضته واختلاف من
 قال به اهل صرفوا عن القدرة على معارضته أو صرفوا عن معارضته مع دخوله
 في مقدورهم على قولين أحدهما أنهم صرفوا عن القدرة ولو قدر والعارضوا
 والقول الثاني أنهم صرفوا عن المعارضة مع دخوله في مقدورهم * والصرفة اعجاز
 على القولين معاني قول من نقشاها وأثبتها فخرها للعادة فيما دخل في القدرة
 (فان قيل) فان عجزوا عن معارضته بثله لم يعجزوا عن معارضته بماتقاربه وان
 نقص عن رتبته والمعجز ما لم يمكن مقارنته كالا يمكن مماثلته فعنه جوابان
 أحدهما ان مقارنته تكون بما في مثل اسلوبه اذا قصر عن كماله والاسلوب متمتع
 فبطلت المقاربة وثبت الاعجاز والثاني ان المقاربة تمنع من المماثلة والنسبة
 انما كان بالمثل دون المقاربة

(فصل - ل) فاذا ثبت اعجاز القرآن من هذه الوجوه كلها صح أن يكون كل واحد
 منها معجزا فاذا جع القرآن سائر ها كان اعجازه أقهر وحججه أظهر وصار كفلق
 البحر و احياء الموتى لان مدار الحجة في المعجزة ايجاد ما لا يستطيع الخلق مثله
 سواء كان جسمًا مخترعا أو جرمًا مبتدعا أو عرضًا متوهما (فان قيل) أفيعتبرون
 عجز العرب العاربة عنه دون المولدين أو عجز الجميع (قيل) فيه خلاف بين أهل
 العلم على وجهين أحدهما ان الاعتبار فيه عجز الجميع ليهكون أعم والوجه الثاني
 معتبر فيه عجز العرب العاربة دون المولدين ليهكون معتبرا بمن يلجأ الى طبعه ولا
 يعول على تكلفه وتعلمه وهكذا اختلفوا هل يعتبر فيه عجز أهل عصره أو في
 جميع دهره على هذين الوجهين أحدهما يعتبر فيه عجز أهل العصر لانهم حجة
 على أهل كل عصر والوجه الثاني أنه يعتبر فيه عجز أهل كل عصر لعموم التحدى
 فيه لأهل كل عصر (فان قيل) فليس عجز كل الانس عن مثله موجبا لضافته الى
 الله تعالى لجواز أن تكون الشياطين أعانت عليه حتى خرج عن مقدور الانس
 كما أعانت سليمان على ما عجز عنه الانس فعنه أجوبة * أحدها ان هذابتوجه
 على موسى في فلق البحر وعلى عيسى في احياء الموتى ويقدر في جميع النبوات

فلم يجز لمن أثبتنا أن يخص به بعض المعجزات * والجواب الثاني ان الشياطين لم يعرفوا الا من الرسل ولولا هم لما علم الناس ان في الدنيا شيطانا ولا جنا ولا جانا وقد جهر الرسل بلعنهم ودعوا الى معصيتهم ولو كانوا أعوانا لدعوا الى طاعتهم وموالاتهم لان معونة من أطيع وولي أحق من معونة من عصى وعودى * والجواب الثالث ان الشياطين لا يقدر ورون على ذلك الا بمعونة الله تعالى لهم وهو لا يعين كاذبا عليه فان كان عن أمره كان معجزا لانه من فعله وعلى هذا كان تسخير سليمان للجن والله تعالى غني عن الشياطين أن يكونوا أسـفـراء الى رسـلـه وأعوانا لانبيائه وهم ينهون عن طاعته ويدعون الى معصيته هذا القرآن وقد تحدى به الجن كما تحدى به الانس بقوله تعالى (قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا) وحكى عنهم عجزهم عنه بقوله سبحانه انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشاد فآمنابه

(فصل) فاذا تقررت هذه الجملة في اعجاز القرآن فبايجازه يعلم انه من غير كلام البشر ولا يعلم انه من عند الله تعالى الا بقول الرسول فلو أراد الرسول أن يقول مثله لم يقدر عليه لانه من البشر الا أن يمدّه الله تعالى بعون منه فيصير قادرا عليه ومعجزا له لو لم يصف القرآن الى الله تعالى فامامع اضافته اليه فلا يكون معجزا له ويكون مصروفا عنه لان ما أضيف الى الله تعالى يمتنع أن يكون من غيره لدخوله في جملة الكذب ثم يصير القرآن أصلا للشرع ومعجزا للرسول فيجب على الأمة التزام أحكامه وطاعة الرسول * واختلف في لزوم طاعته هل وجبت بعد ثبوت رسالته بالعقل أو بالشرع على وجهين أحدهما بالعقل لان طاعة الرسول طاعة المرسل والوجه الثاني بالشرع بقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم لان الرسول مبلغ * واذا كان القرآن أصلا للشرع فقد اختلف العلماء في حد الأصل والفرع على وجهين أحدهما ان حد الأصل ما دل على غيره وحد الفرع ما دل عليه غيره فعلى هذا يكون القرآن فرعا لعلم الحس لانه الدال على صحته والوجه الثاني ان الأصل ما تفرع عنه غيره والنوع ما تفرع عن غيره فعلى هذا يمتنع أن يكون القرآن فرعا له لم الحس لان الله تعالى تولا

وجعله أصلا دلالة على قله عليه واختلاف العلماء في إبلاغ الرسول هل يكون أمرا أو أملا ما قل بعضهم يكون أمرا لا يلزم الأمة أحكامه لو عرفوه قبل إبلاغه والوجه الثاني يكون أملا ويلزمهم أحكامه لو عرفوه قبل إبلاغه ويجوز أن يعلم جميع الأحكام الشرعية من القرآن ولا يجوز أن يعلم جميعها من الإجماع ولا من القياس لأن ما يفتقدان عن أصل مسموع * واختلاف في جواز العلم بجميعها من سنة الرسول بمقوزة بعضهم لقوله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا وامتنع منه بعضهم لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى والله تعالى أعلم

(الباب الثامن في معجزات عصمته صلى الله تعالى عليه وسلم)

أظهر الله تعالى لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم من أعلام نبوته بعد ثبوتها بعجز القرآن واستغنائه عما سواه من البرهان ما جاء به زيادة استبصار يحجبها من قلة فطنته ويدعن لها من ضعف بصيرته ليكون اعجاز القرآن مدركا بالحواس الثابتة تفكرا واستدلالا واعجازا لعيان معلوما به داية الحواس احتياطاً واستظهاراً فيكون البليد مقهوراً بوجهه وعيانه والليد محجوباً بفهمه وبيانه لأن كل فريق من الناس طريقا هي عليهم أقرب ولهم أجذب فكان ما جمع انقياد الفرق أو وضع سبيلا وأعم دليلا في معجزاته عصمته من أعدائه وهم الجمل الغفير والعدد الكثير وهم على أتم حنق عليه وأشد طاب لنفسه وهو بينهم مسترسل قاهر ولهم مخالط ومكاثر ترمقه أبصارهم شزرا وترتد عنه أيديهم ذعرا وقد هاجر عنه أصحابه حذرا حتى استكمل مدته فيهم ثلاث عشرة سنة ثم خرج عنهم سليما لم يكلم في نفس ولا جسد وما كان ذلك إلا بعصمة إلهية وعده الله تعالى بها فحقها حيث يقول والله يعصمك من الناس فعصمهم

(فصل) وإن قرىشا اجتمعوا في دار الندوة وكان فيهم النضر بن الحرث بن كنانة وكان زعيم القوم وساعده عبد الله بن الزبيري وكان شاعر القوم فخصهم على

قتل محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وقال لهم الموت خيرا لكم من الحياة فقال بعضهم
 كيف نصنع فقال أبو جهل هـ ل محمد إلا رجل واحد وهـ ل بنو هاشم الا قبيلة
 من قبائل قريش فليس فيكم من يزهدي الحياة فيقتل محمد أو يريح قومه وأطرق
 مليا فقالوا من فعل هـ ذا ساء فقال أبو جهل ما محمد بأقوى من رجل منا وإنى
 أقوم اليه فأشدخ رأسه بحجر فان قتلت أرحمت قومي وإن بقيت فذاك الذى أوثر
 نخرجوا على ذلك فلما اجتمعوا فى الخطيم خرج عليهم رسول الله صلى الله تعالى عليه
 وسلم فقالوا قد جاء فتقدم من الركن فقام صلى فنظروا اليه يطيل الركوع والسجود
 فقال أبو جهل فانى أقوم فأريحكم منه فأخدمهوا شاعظيما ودنا من رسول الله
 صلى الله تعالى عليه وسلم لم وهو ساجدا لا يلتفت ولا يهابه وهو يراه فلما دنا منه ارتعد
 وأرسل الحجر على رجله فرجع وقد شدخت أصابعه وهو يرتعد وقد دوخت أوداجه
 ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم ساجدا فقال أبو جهل لأصحابه خذوني اليكم
 فالترموه وقد غشي عليه ساعته فلما أفاق قال له أصحابه ما الذى أصابك قال لما دنوت
 منه أقبل على من رأسه فخل فاغرفاه فحمل على أسنانه فلم أنم لك وإنى أرى محمدا
 محجوبا فقال له بعض أصحابه يا أبا الحكم كم رغبت وأحببت الحياة ورجعت قال
 ما تغرونى عن نفسى قال النضر بن الحرث فان رجعت غدا فأناله قالوا له يا أبا سهم
 لئن فعلت هذا لتسودن فلما كان من الغدا اجتمعوا فى الخطيم منتظرين رسول الله
 صلى الله تعالى عليه وسلم فلما أشرف عليهم قاموا بأجمعهم فوائبوه فاخذ حفنة من
 تراب وقال شأهت الوجوه وقال جرلا يبعثرون فتقرقوا عنه وهذا دفع إلى وثق
 به من الله تعالى فصبر عليه حتى وقاه الله وكان من أقوى شاهد على صدقه وهو من
 أعلامه ثم إن معمر بن يزيد وكان أشجع قومه استعانت به قريش وشكوا اليه أمره
 رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم وكانت بنو كنانة تهاذرون رأيه وتطيع أمره
 فلما شكوا اليه قال لهم انى قادم الى ثلاث وأريحكم منه وعندى عشرون ألف مدحج
 فلا أرى هذا الحى من بنى هاشم يقدر على حربى وإن سألتونى الدية أعطيتها ثم عشر
 ديات فى مالى سعة وكان يتقلد بسيف طوله سبعة أشبار فى عرض شبر وقصته فى
 العرب مشهورة بالشجاعة والبأس فلبس يوم وعده قريش سلاحه وظاهر بين

در عين فوافقتهم بالحطيم ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم في الحجرة صلى وقد
 عرف ذلك فالتفت ولا تزغوع ولا قصر في صلاة فقبل له هذا محمد ساجد فأهوى
 اليه وقد سل سيفه وأقبل نحوه فلما دنا منه رمى بسيفه وعاد فلما صار الى باب الصناعات
 في درعه فسقط فقام وقد أدى وجهه بالحجارة يعمد وكأشد العدو حتى بلغ البطحاء
 ما يلتفت الى خائف فاجتمعوا وغسلوا عينيه وجهه الدم وقالوا ما ذا أصابك قال ويحكم
 المغرور من غيرة ربه قالوا لما شأنك قال ما رأيت كاليوم دعوني ترجع الى نفسي
 فتركوه ساعة وقالوا ما أصابك يا أبا الليث قال اني اصابت من محمد فاردت أن
 أهوى بسيفي اليه أهوى الى حين عند رأسه شجاعان أقرعان ينفخان بالنيران وتلمع
 من أبصارهما فعدوت فا كنت لا عود في شيء من مساءة محمد (ومن أعلامه) أن كادة
 ابن أسد بأباله و كان من القوة بمكان خاطر قريش ما في قتل رسول الله صلى
 الله تعالى عليه وسلم فأعظموا له الخطران هو كفاهم فرأى رسول الله صلى الله تعالى
 عليه وسلم في الطريق يريد المسجد ما بين دار عقيل وعقال فجاء كادة ومعه المزراق
 فرجع المزراق في صدره فرجع فزعا فقالت له قريش مالك يا أبا الاشد فقال ويحكم
 ماترون الفعل خلفي قالوا ما نرى شيئا قال ويحكم فاني أراه فلم يزل يعمدو حتى بلغ
 الطائف فاستهزأت به ثقيف فقال أنا أعذركم لورأيتم ما وأيت لها كتم لهم ومن
 أعلامه ان أبا لهب خرج يوما وقد اجتمعت قريش فقالوا له يا أبا عتبة انك سيدنا
 وأنت أولى بمحمد منا وان أبا طالب هو الحائل بيننا وبينه ولو قتله لم ينكر أبو
 طالب ولا حنزة منك شيئا وأنت برئ من دمه فتوذي نحن الدية وتسود قومك
 فقال فاني أكنيكم ففرحوا بذلك ومدحتهم خطباءهم فلما كان في تلك الليلة وكان
 مشرفا عليه نزل أبو لهب وهو يصلي وتسلفت امرأته أم جميل الحائط حتى وقفت
 على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو ساجد فصاح به أبو لهب فلم يلتفت اليه
 وهما كانا لا ينقلان قدما ولا يقدران على شيء حتى تفجر الصبح وفرغ رسول الله صلى
 الله تعالى عليه وسلم فقال له أبو لهب يا محمد اطلق عنا فقال ما كنت لأطلق عنكما أو
 نضعنا الى انكما لا تؤذيانى قال قد فعلنا فدار به فرجعا لهم ومن أعلامه ان قريشا
 اجتمعوا في الحطيم فخطبهم عتبة بن ربيعة فقال ان هذا ابن عمة المطلب قد نعتنص

علمنا عيشنا وفتق جماعتنا وبدد شملنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل آباءنا
 وكان في القوم الوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام وشيبة بن ربيعة والنضر بن
 الحرث ومنبه ونبية ابننا الحجاج وأمية وأبي ابن خلف في جماعة من صناديد قريش
 فقال له قل ما شئت فانا نطيعك قال سأقوم فأكلمه فان هور جمع عن كلامه وعماد يدعو
 اليه والارأينا فيه رأينا فقالوا له شأنك يا أبا عبد شمس فقام فتقدم الى النبي صلى الله
 تعالى عليه وسلم وهو جالس وحده فقال أنعم صبا حيا يا محمد قال يا عبد شمس ان الله قد
 أبدلنا بهذا السلا من تحية أهل الجنة قال يا ابن أخي اني جئتكم من عند صناديد
 قريش لا أعرض عليكم أمورهم ان أنت قبالتهم باللحظ فيها ولنا فيها الفسحة ثم
 قال يا ابن عبد المطلب اننا نزعيم قريش فيما قالت قال قل يا ابن عبد المطلب انك
 دعوت العرب الى أمر ما يعرفونه فاقبل مني ما أقول لك قال قل قال ان كان ماتدعو
 اليه نطلب به ملكا فانا نعلمك علمنا من غير تعب ونتوجك فارجع عن ذلك فسكت
 ثم قال له وان كان ماتدعو اليه أمر اريد به امرأة حسناء فنحن نزوجك فقال لا قوة
 الا بالله ثم قال له وان كان ماتدعو اليه تريد مالا أعطيناك من الاموال حتى تكون
 أغني رجل في قريش فان ذلك أهون علمنا من تشتت كلمتنا وتفرق جماعتنا وان
 كان ماتدعو اليه جنونا داويناك كما تداوى قيس بن ثعلبة مجنونهم فسكت النبي
 صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا محمد ماتدعو لي وبم أرجع الى قريش فقال النبي صلى
 الله تعالى عليه وسلم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا
 لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فاعرض أكثرهم فهم لا يسمعون حتى بلغ الى قوله فان
 أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود قال عتبة فلما تكلم بهذا
 الكلام فكأن الكعبة مالت حتى خفت أن تمس رأسي من اعجازها وقام فرعا يجتر
 رداءه فرجع الى قريش وهو يتنفض انتفاض العصفور وقام النبي صلى الله تعالى
 عليه وسلم يصلي فقالت قريش لقد ذهبت من عندنا شيطا ورجعت فرعا مرعوبا
 خاورا لك قال ويحكم دعوني انه كلني بكلام لا أدري منه شيئا ولقد رعدت على الرعدة
 حتى خفت على نفسي وقالت الصاعقة قد أخذتني قد موات على ذلك (قال ابن عرفة)
 الصاعقة اسم للعذاب على أي حال كان وانما أهلكت عاد بالريح وثمود بالرجف

فسمى الله تعالى ذلك صاعقة - قال لازهرى الصاعقة صوت الرعد الشديد الذي
 يصعق منه الانسان أى يغشى عليه ^{يؤم} ومن أعلامه ^{يؤم} أنه لما أراد الهجرة خرج من
 مكة ومعه أبو بكر فدخل غار فى جبل ثور ليستخفى من قريش وقد طلبته وبذلت
 لمن جاءه مائة ناقة حراء فاعانته الله تعالى بما خفاء أثره وأثبت على باب الغار غمامة
 وهى شجرة صغيرة وألهمت الغن كبوت فتسجعت على باب الغار تسجسجين فى طرفه
 عين ولدغ أبو بكر هذه الليلة غير لا غنى فترقب ثيابه وجعلها فى الشقوق وسد بعضها
 بقدمه اتقاء لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأقام فيه ثلاثة أيام ثم خرج منه
 فلقبه سراقه بن مالك بن جعشم وهو من جملة من توجه لطلبه فقال له أبو بكر هذا
 سراقه قد قرب فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم اكفنا سراقه فأخذت
 الأرض قوائم فرس - ه إلى ابطها فقال سراقه يا محمد ادع الله أن يطلقنى ولك على أن
 أرد من جاء يطلبك ولا أعين عليك أبدا فقال اللهم ان كان صادقا فاطلق عن فرسه
 فاطلق الله عنه ثم أسلم سراقه وحسن اسلامه ^{يؤم} ومن أعلامه ^{يؤم} أن رسول الله صلى
 الله تعالى عليه وسلم انفردي غزوة ذى امر عن أصحابه واضطجع وحده فوقف عليه
 دعثور فسلب سيفه وقال يا محمد من يمنعك منى فقال الله فسقط السيف من يده
 فأخذ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم ^{يؤم} ثم قال له من يمنعك منى قال لا أحد
 أشهد أن لا إله الا الله وأن محمدا رسول الله وعاد الى قومه يدعوهم الى الاسلام
 وفيه نزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم يبسطوا
 اليكم أيديهم فكف أيديهم عنكم (ومن أعلامه) ان الناس لما نهموا عن رسول الله
 صلى الله تعالى عليه وسلم يوم حنين وهو معتمزل عنهم رآه شيبه بن عثمان بن أبي طلحة
 فقال اليوم أدرك ناري وأقتل محمد الان أباه قتل يوم أحد فى جماعة اخوته وأعمامه
 قال شيبه فلما أردت قتله أقبل شئ حتى تغشى فؤادى فلم أطق ذلك فعلمت انه ممنوع
 (ومن أعلامه) أن عامر بن الطفيل واربد بن قيس وهو أخو ليلى بن ربيعة الشاعر
 لا ثم وفدا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم فى قومه ما من بنى عامر فقال
 عامر لا ربد اذا قد منا على محمد فاني شاغل عنك وجهه فاعله أنت بالسيف حتى
 تقتله قال اربدا فعمل ثم أقبل عامر عيشى وكان رجلا جليلا حتى قام على رأس رسول

الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا محمد ما لي ان أسلمت فقال لك ما لا سلام وعليك
 ما على الاسلام قال ألا تجعلني الوالي من بعدك قال ليس ذلك لك ولا لقومك
 ولا كن لك أعنة الخيل تغزوها قال أو ليست لي اليوم ولكن اجعل لي ولك المدد
 قال ليس ذلك لك فقال قم يا محمد الى ههنا فقام اليه فوضع عامريده بين منكبيه
 ثم أومأ الى أربدان ف ضرب فسلل بأربد سيفه قريبا من ذراع ثم أمسك الله يده فلم
 يستطيع أن يسله ولا يغمده فالتفت بن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى أربد
 فرآه على ما هو عليه فقال اللهم اكفنيهم ما عاشرت اللهم اهد بني عامر واغن الدين
 عن عامر فانطلقا وعامر يقول والله لا أملا ثم اعلمك خيلا دهما ووردا فقال رسول
 الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا بني الله ذاك وأبناء قبيلة يعني الانصار ثم قال عامر
 لا ربد وياك لم أمسكت عنه فقال والله ما هممت به مرة الا رأيتك ولا أرى غيرك
 أفأضربك بالسيف وسارا فأما عامر فطرح الله عليه الطاعون في عنقه فقتله في
 بيت امرأته من بني سلول فجعل يقول * أغدة كندة البكر في بيت امرأته من بني
 سلول * وركب فرسه فركضه حتى مات * وأما أربد فقدم على قومه فقالوا ما وراءك
 يا أربد فقال والله لقد دنا محمد الى عبادة ثني لوددت انه عندي الآن فارميه ببلي
 هذا حتى أقتله ثم خرج بعد مقالته بيوم أو يومين ومعه جماله تتبعه فارس الله
 عليه وعلى جماعته صاعته أحرقتهم وقيل نزل في صاعقه قبل الله تعالى وهو الذي
 يريكم البرق خوفا وطمعا يعني خوفا من الصواعق وطمعا في المطر وفيه يقول
 ليبدن ربيعة وهو أخو أربد لا مه

أخشى على أربد الخسوف ولا * أرهب نوء السماء والاسد
 أجمعني الرعد والصواعق بالقفا * رس يوم الكريمة النجد
 كل بني حرة مصرهم * قل وان اكرت من العدد
 ان يغبطوا به بطوا وان أمروا * يوما يصير والالهالك والنكد

(فان قيل) فهذه أخبار آحاد لا يقطع بثبوتها (قيل) العداوة ظاهرة والطالب معلوم
 والسلامة موجودة فلم تدفع جملة الاخبار ولم يصح في جميعها توهم الكذب
 وان جاز في آحادها توهم الكذب كالحكمي من سخاء حاتم وشجاعة عنزة

(الباب التاسع فيما شوهد من معجزات أفعاله)

ان الله تعالى قدر لعباده أفعالا كما قدر لهم أجساما وآجالا اغتنى الى غاية أعجزهم
عن تجاوزها لئلا تكون أفعالهم مقصورة على معرف مألوف وحدهم معروف
بتوصيلون بها الى مصالحهم فيعلمون ان ما تجاوزوها وخرج عن عرفها من
أفعال الله تعالى فيهم لا من أفعالهم فان أظهرها في أحدهم دل على اختصاصه
بالله تعالى دونهم. فكان بهم امتازا والى الله تعالى منهازا ليخص بطاعة إلهية
كما اختص بأفعال لا هوتية. فلذلك صارت الأفعال المعجزة شاهدة على صحة
النبوة بخلاف أعلامه. ما رواه البخاري عن عبد الواحد بن أيمن عن أبيه قال قلت
لجابر بن عبد الله - رضي الله عنه - حدثني بحديث عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سمعته
منه أرويه عنك. فقال جابر كنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم الخندق
نحفر فلبثنا ثلاثة أيام لم نطعم طعاما ولا نقتدر عليه فعرضت في الخندق كدية
غليظة لا يعمل فيها الفأس فجئت الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت هذه
كدية قد عرضت في الخندق ورششنا عليها الماء فقام وبطنه معصب بالحجر فأخذ
المعول والمصفاة ثم سمي ثلاثا ثم ضرب فعدت كديبا أهبل فلما رأيت ذلك منه
قلت يا رسول الله ائذن لي فأذن لي فجئت الى امرأتى فقلت نكمتك أمك اني رأيت
من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم شيئا لا صبر لي عليه فاعندك قالت عندي
صاع من شعير وعناق قالت فطعمنا الشعيرو ذبحنا العناق وطبخناها وجعلناها في
البرمة وبعجنا البعيرين ثم رجعت الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلبثت
ساعة ثم اسست تأذنت ثانية فأذن لي فجئت فاذا بالبعيرين قد أمكن فأمرتهما بالخبز
وجعلت القدر على الاثافي ثم جئت الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فشاورة
وقلت عندنا طعم انما فان رأيت أن تقوم معي أنت ورجل أو رجلان معك فعلت
فقال ما هووكم هو قلت صاع من شعير وعناق فقال ارجع الى أهالك فقل لها
لا تنزع البرمة من الاثافي ولا يخرج الخبز من التتور حتى آتي ثم قال للناس قوموا
الى بيت جابر فاستحييت حياء لا يعلمه الا الله تعالى فقالت لا امرأتى قد جاء رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم بأصحابه أجمعين فقالت أكان سألوككم الطعام قالت نعم

قالت الله ورسوله أعلم قد أخبرته بما كان عندنا فذهب عني بعض ما أجده وقلت
 لها صدقت وجاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فدخل ثم قال لأصحابه
 لا تضاعطوا ثم برك على التنوير والبرمة فجعلنا نأخذ من التنوير والخبز ونأخذ من
 البرمة اللحم فنتردون نعرف ونقترب اليهم فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
 ليجلس على الصفحة سبعة أو ثمانية فلما أكلوا كشفنا التنوير والبرمة فاذا هما
 قد عادا إلى أملاء كما كانا عليه حتى شبع المسلمون كلهم وبقيت طائفة من الطعام
 فقال لنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إن الناس قد أصابهم محضه فكلوا
 وأطعموا فلم نزل يومنا ثم أكل ونظم قال فأخبرني أنهم كانوا ثمانية أو قال مئتين
 أقل من الثمانمائة وهذا أنما ير معجزة عيسى عليه السلام في المائدة ^{التي} ومن أعلامه ^{في}
 ما رواه مالك بن أنس عن اسحق بن عبد الله بن أبي طلحة أنه سمع أنس بن مالك
 يقول قال أبو طلحة لأم سليم لقد سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم ضعيفا
 أعرف فيه الجوع فهل عندك من شيء قالت نعم فأخرجت أقراصا من شعير ثم
 أخرجت نخارا لها فلففت الخبز ببعضه ثم أرسلني إلى رسول الله صلى الله تعالى
 عليه وسلم فوجدته في المسجد معه الناس فقامت عليهم فقال لرسول الله صلى الله
 تعالى عليه وسلم لم أرسلك أبو طلحة قالت نعم قال للطعام قلت نعم فقال لمن معه
 قوموا فانطلقوا وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته فقال أبو طلحة
 يا أم سليم قد جاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وليس عندنا من الطعام
 ما نطعمهم فقالت الله ورسوله أعلم فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله صلى الله
 تعالى عليه وسلم وأقبل معه حتى دخلا فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
 يا أم سليم هلمي ما عندك فجاءت بذلك الخبز فأمر به ففت وعصرت أم سليم عكة لها
 ثم قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم ماشاء أن يقول ثم قال ائذن لعشرة فاذن
 لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال ائذن لعشرة فاذن لهم فأكلوا حتى
 شبعوا ثم خرجوا ثم قال ائذن لعشرة حتى أكل القوم وشبعوا ثم خرجوا والقوم
 سبعةون أو ثمانون رجلا والمعجز فيه مع أطعام العدد الكثير من الطعام اليسير
 ما أخبر به أنس بن مالك مما جاء فيه ^{في} ومن أعلامه ^{في} ما رواه أنس بن أبي يحيى

عن اسحق بن سالم عن أبي هريرة قال خرج علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فقال لي ادع لي أصحابك يعني أصحاب الصفة قال فجعلت أتبعهم رجلا رجلا
أو قظهم حتى جمعتهم فحسبنا باب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاستأذنا فأذن
لنا ووضع بين أيدينا صحيفة أظن فيها صنية أو قدر مدمن الشربة فوضع رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم يده فقال خذوا بهم الله فأكلنا ما شئنا ثم رفعنا أيدينا
فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خذوا بهم الصحيفة والذي نفس محمد
بيده ما أمسى في آل محمد طعم غير شئ ترونه فقبل لابي هريرة قدر كم كانت حين
فرغتم قال مثلها حين وضعت إلا أن فيها أثر الأصابع وهو من أعلامه فكان
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما حصل بالحديبية وهي جافة قال للناس
انزلوا فقالوا يا رسول الله ما بالو ادى ما نزل عليه فاخرج سهما فدفعه الى البراء بن
عازب وقال اغرز هذا السهم في بعض قلب الحديبية وهي جافة ففعل فجاش
الماء ونادى الناس بعضهم بعضهم من أراد الماء فقال أبو سفيان قد ظهر بالحديبية
قاييب فيه ماء ثم قال اسهم هيل بن عمار ورمي بنا الى ما فعل محمد فاشرف على القلب
والعيون تحت السهم فقالا ما رأينا كاليوم قط وهو ذا من يهجر محمد قليلا فلما
أمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالرحيل قال للناس خذوا حاجتكم من الماء
ثم قال للبراء اذهب فرد السهم فلما فرغوا وارتحلوا أخذ البراء السهم فجذب الماء
كأنه لم يكن هناك ماء وهذا نظير ما أعطى موسى من الحجر الذي انفجرت منه
اثنتا عشرة عينا * ومثله ما روى أنه في غزوة بني المصطلق دأب ركوة جافة ثم تفل
فيها ثم قلبها فتنفجرت من بين أصابعه عيون حتى شرب الخيل والابل وملى كل سقاء
* ومن أعلامه فكان قومنا شكوا اليه صلى الله تعالى عليه وسلم ملوحة ماؤها فقام
بأصحابه حتى أشرف على بئرهم فتفل فيها ثم انصرف فانفجرت بالماء الزلال وكانت
غائرة وأنهم على حالها الى اليوم ويتوارثها أهلها بعددونها من أعظم منافعهم
ولما بلغ ذلك قوم مسيلة سألوه مثلها فتفل فيها فصار ماؤها أجاجا كبول الحمار
وهي الى اليوم على حالها * وجاءته صلى الله تعالى عليه وسلم امرأة بصبي لها قد تعط
شعره فمسح رأسه بيده فاستوى شعره فبلغ ذلك قوم مسيلة فاتوه بصبي مثله فمسح

رأسه فصلع وبقي نسله صلعا إلى وقتنا هذا وهو من أعلامه **محمد** مارواه علي بن أبي
 طالب رضي الله تعالى عنه قال لما غزونا خيبر ومنا من يهود فذكر جماعة فلما أشرفنا
 على القاع إذا نحن بالوادي والماء يقطع الأشجار ويهدد الجبال فقد رنا الماء فإذا هو
 أربع عشرة قامسة فقال بعض الناس يا رسول الله العدة من ورائنا والوادي
 قد آمننا فنزل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فسجد ودعا ثم قال سمعوا على اسم
 الله فعبرت الخيل والابل والرجال فكان الفتح والغلبة له وهذا نظير فلق البحر
 لموسى **محمد** نوع آخر من أعلامه **محمد** روى الحسن أنه جاء إلى النبي صلى الله تعالى
 عليه وسلم فقال اني قدمت من سفر لي فينبأني خماسية تدرج حولي في وصيفها
 وحليها أخذت بيدها فانطلقت به إلى وادي فلان فطرحته فيه فقال النبي صلى
 الله تعالى عليه وسلم انطلق معي فأرني الوادي فانطلق معه إلى الوادي فقال النبي
 صلى الله تعالى عليه وسلم لا تبها ما كان اسمها فقال فلانة فقال النبي يا فلانة أجيبي
 بأذن الله فخرجت الصبية وهي تقول لبيك يا رسول الله وسعديك فقال لها ان
 أبويك قد أساآ فان أحببت ان أردك عليهم ما فقالت لا حاجة لي فيهما وجدت الله
 خير أب منهما * وهذا نظير ما فعله عيسى عليه السلام من احياء الموتى **محمد** ومن
 أعلامه **محمد** ان طفيلا العاصري جاء إلى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لم يشك إليه
 الجذام فدعا بركوة ثم تقبل فيها وأمره ان يغتسل به فاغتسل فقام صحيحا وأتاه
 حسان بن عمرو الخزازي مجذوما فدعاه بآاء فقبل فيه ثم أمره فصبه على نفسه
 فخرج من علته كأن لم تكن به قط فرجع ودعا قومه إلى الاسلام فأسلموا عن آخرهم
 وأتاه قيس اللخمي وهو من سادات قومه وبه برص فتقبل عليه فبقي عليه إلا
 مقدار الحبة * وهذا نظير ما كان من عيسى بن مريم عليه السلام في ابراء آاءه
 والابرص **محمد** ومن أعلامه **محمد** مارواه **محمد** بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة ان
 النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لم انصرف ليلة من العشاء فأضاءت له برقة فنظر إلى
 قتادة بن النعمان فعرفه فقال يا نبي الله كانت ليلة مطيرة فأحبت أن أصلي معك
 فأعطاه عرجونا وقال خذ هذا يسـ تضي لك ليلتك فإذا أتيت بيته فكأن الشيطان
 قد خلفك فانظر في الزاوية على يسارك فدخلت فتطرت حيث قال فإذا أنا بسواد

معلق به حتى سبقني وفي هذا الخبر معجزات من فعله وقول **يؤمن** من اعلامه **يؤمن** أن أبا
 قتادة بن ربعي جاءه يوم أحد - ودوقد انقلعت إحدى عينيه وتعلقت على وجهه - فقال
 يا رسول الله صلى الله تعالى عليك ان لي امرأة وأخشى أن يقضى هذا عندها فرددتها
 رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم - لم إلى موضعها فكانت أحسن عينيه * ومثله
 ما رواه عروة بن الزبير أن زبيرة أسلمت فأصيب بهمها فقالوا لها أصابك اللات
 والعزى فرددته علمها بهمها فقال عظماء قريش لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقتنا
 اليه زبيرة فأنزل الله تعالى وقال الذين كفروا والذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا
 اليه **يؤمن** من اعلامه **يؤمن** أن جر هذا أتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبين يديه
 طبق فأدنى يده الشمال لياً كل وكانت اليمنى مصابة فقال له رسول الله صلى الله
 تعالى عليه وسلم - لم كل باليمن فقال يا رسول الله انه مصابة فنغث عليها فاشتكاها
 بعد إلى ساعته وأبصر رجلاً ياً كل بشماله فقال كل بيمينك فقال لا أستطيع فقال
 لا استطعت فواصلت إلى فيه بعد وكان كلما رفع اللقمة إلى فيه ذهبت في شق آخر
يؤمن من اعلامه **يؤمن** شاة أم معبد الخزاعية وكانت مجهولة بمجاهدة وضراء فسمع رسول
 الله صلى الله تعالى عليه وسلم - لم ضرعها فدرت لبنا وامتلأت **يؤمن** ببيت على حالها
 إلى أن وافاها أجلاها وأهدت له أم شريك عكة فيها **يؤمن** فأخذ منه شيئاً ورد العكة
 عليها فلم تزل العكة تنصب **يؤمن** مدة طويلة إلى أمثال هذا وتطأه (فان قيل - ل)
 لا يثبت اعجاز النبوات بمثل هذا من أخيار الاتحاد فمنه جوابان أحدهما أن
 رواية الاتحاد قد أضافوه إليه في جمع كثير قد شاهدوه وسمعوا رايه فصديقوه
 ولم يكذبوه وفي الممتنع امسالك العدد إلى كثير عن ردالكذب كما يمنع افتعالهم
 للكذب ولئن جاز اتفاهم على الصدق مع الكثرة والافتراق وامتنع اتفاهم
 على الكذب فلان دواعي الصدق عامة متناصرة ودواعي الكذب خاصة
 متنافرة ولذلك كان صدق أكذب الناس أكثر من كذبه لانه لا يجد من الصدق
 بداويج - ومن الكذب بدا والثاني انها أخبار وردت من طرق شتى وأمور
 متغايرة فامتنع أن يكون جميعها كذبا وان كان في أحادها مجوز فصار مجموعها من
 التواتر ومنسقة فامتنع الاتحاد فصار متواتر مجموعها حجة وان قصر مفترق

أحاديثها عن الحجة والله تعالى أعلم

(الباب العاشر فيما سمع من معجزات أقواله)

والمعجزات من القول هو الاخبار عن غائب لا يعلم به غير مخبره فيكون على صدقه دليل لان الخبر ما احتمل الصدق والكذب وخقيقة الخبر ما كان عن ماض فاما المستقبل فيطلق اسم الخبر عليه مجازا فلن أضيف المستقبل الى فعل بل المخبر كان وعدا يصح من نبي وغير نبي وان أضيف الى فعل غيره كان من الغيوب المعجزة لا يصح الا من نبي مبعوث وعن وحى منزل اذا تكبر عاريا عن الاسباب المنذرة ولئن ظهر خبر من غير نبي فهو بالاتفاق عن حدس ان صح في خـ برلم يصح في كل خبر ويصح من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في كل خبر لانه من الله تعالى المحيط بعلم الغيوب كما قال لنبيه قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم اني ملك ان أتبع الامايوحى الى وفي خزائن الله ههنا تأويلان أحدهما خزائن الرزق فاعنى وأفقر والثاني خزائن العذاب فاعجل وادخر وفي قوله ولا أعلم الغيب تأويلان أحدهما علم الخزائن على ماضى من التأويلين والثاني علم ما غاب عن ماض ومستقبل الا أن المستقبل لا يعلمه الا الله تعالى ومن أطلعته عليه من أنبيائه وأما الماضى فقد يعلمه المخلوقون من أحد وجهين اما من مخلوق معين أو من خالق مخبر فكانت الاخبار المستقبلية من آيات الله تعالى المعجزة فاما الماضية فان علمها غير المخبر لم تكن معجزة وان لم يعلمها أحد كانت آية معجزة وفي قوله ولا أقول لكم اني ملك تأويلان أحدهما انه لا يقدر على ما يعجز عنه العباد وان قدرت عليه الملائكة والثاني انه من البشر وليس بملك لينفى عن نفسه غلو النصرارى في المسيح وفي نفسه أن يكون ملكا تأويلان أحدهما انه دفع عن نفسه منزلة الملائكة تفضيلا لهم على الانبياء والثاني انى لست ملكا في السماء فأعلم غيب السماء الذى تشاهد الملائكة ويغيب عن البشر وان كان الانبياء أفضل من الملائكة مع غيبهم عما يشاهد الملائكة وفي قوله ان أتبع الامايوحى الى تأويلان أحدهما ان أخبركم الان بما أطلعني الله عليه والثاني لن أفعل الا ما أمرني الله به قل هل يستوى الاعمى والبصير فيه تأويلان أحدهما العالم

والجاهل - ل والثاني المؤمن واليه كفر ثبت بما قررناه ان في الاقوال معجزة
كالافعال فكانت من اعلام النبوة وآيات الرسل ونحن نذكر منها ما اختص
بقول الرسول دون ما تضمنه القرآن لان القرآن معجز في الخبر وغير الخبر

(فصل - ل) ومجيء الاخبار ينقسم على أربعة أقسام اخبار استفاضة واخبار
تواتر واخبار آحاد بقرائن واخبار آحاد مجردة فأما الاخبار الاستفاضة والتواتر
فقد أطلق أهل العلم ذكرهما ولم يفرقوا بينهما وهما عندي مفترقان لان اختلاف
الاسماء موضوع لاختلاف المسمى فيكون حملها على حقيقة الاختلاف أولى من
حملها على مجاز الاختلاف فاخبار الاستفاضة ما بدأت منتشرة عن كل مخبر من بر
وقاجر عن قصد وغير قصد ويحققها كل سامع من عالم وجهل فلا يختلف فيها الخبر
ولا يتشكك فيها سامع ويستوى طرفاها ووسطها فتكون أوائلها كآواخرها
وتنأيهما وهو أقوى الاخبار ورودا وأبلغها ثبوتا وأما أخبار التواتر فهو
ما أخبر به الواحد بعد الواحد حتى كثروا وبلغوا عددًا ينتفي عن مثلهم المواطأة
على الكذب والاتفاق على الغلط ولا يعرض في خبرهم شك ولا توهم فيكون
من أوله من أخبار الآحاد وفي آخره من أخبار التواتر فيصير مخالفا لأخبار
الاستفاضة في أوله وموافقا لها في آخره ويكون الفرق بين خبر الاستفاضة وخبر
التواتر من ثلاثة أوجه أحدها ما ذكرناه من اختلافها في الابتداء والانهاء
والثاني ان أخبار الاستفاضة قد تكون عن غير قصد وأخبار التواتر لا تكون
الا عن قصد والثالث ان أخبار الاستفاضة لا يعتبر فيها عدد المخبرين ويعتبر
في أخبار التواتر عدد المخبرين ثم يستوى الخبران في انتفاء الشك عنهما ووقوع
العلم بهما ومثال الاستفاضة في أحكام الشرع أعداد الصلوات ومثال التواتر
في أحكام الشرع نصب الزكوات واختلف في وقوع العلم بهما هل هو علم
اضطرار أو علم اكتساب على وجهين أحدهما انه علم اكتساب وقع عن استدلال
وهو قول بعض أصحاب الشافعي وبعض المتكلمين لان العلم بخبرهم يقترن
بصفات تختص بهم فصار طلب الصفات استدلالا يوصل الى العلم بخبرهم واخفاف

القائلون بهذا هل اكتسب العلم به من الخبر أو الخبر على وجهين أحدهما من الخبر
لأنه المقصود والثاني من الخبر لأنه المبلغ فهذا قول من جعله علم استدلال والوجه
الثاني وهو قول الأكثرين من الفقهاء والمتكلمين أنه علم اضطرار أدرك ببداية
العقول لأن العلم بتعديس سبق إلى اليقين من غير نظر ويستقر في القلوب من غير
انتقال واختلاف القائلون بهذا في علمه بالاضطرار هل هو من فعل الخبر أو من
فعل الله تعالى على وجهين أحدهما أنه من فعل الخبر لوصوله إليه بنفسه وهو قول
أكثر الفقهاء والوجه الثاني أنه من فعل الله تعالى لأنه الملقى إليه وهو قول أكثر
المتكلمين واختلف من قال بهذا منهم على وجهين أحدهما أنه من فعل
الله تعالى في الخبر والثاني أنه من فعله في الخبر والذي أراه أولى أن أخبار
الاستفاضة توجب علم الاضطرار وأخبار التواتر توجب علم الاستدلال لاستغناء
الافاضة عن نظر واحتياج التواتر إلى نظر مع وقوع العلم بهما وزعمت الإمامية
أنه لا يقع العلم بأخبار الاستفاضة والتواتر إلا أن يكون في الخبرين إمام معصوم
أو يصدقهم عليه إمام معصوم ويوحى بهم عن ضرار بن عمرو أن حجة الاستفاضة
والتواتر لا تقوم به دلالة الرسل بنقل أقواله وأفعاله إلا بإجماع الأمة على صدقهم
أو صحة نقلهم وكلا القولين مدفوع بقضايا العقول لأنها تضطر إلى العلم بها كعلم
الاضطرار بالمشاهدات ومدركات الحواس لأن الأخبار بالبلد لا بد أن فيها مكة
والصين يعلم بالاضطرار كما يعلم بالمشاهدة وكما يعلم الإنسان أن تحته أرضاً وسماؤه فوقه
لوجود أنفسنا عالمة به على سواء ولم يأت في غرائر الفطر من ذلك قال طيفيل الغنوي
وهو أعرابي بطبع سليم من التكلف وبديهة خلصت من التعسف والتعسف
ما يدل على وقوع العلم بأخبار الاستفاضة والتواتر

تأو بنى هم من الليل منصب * وجاء من الأخبار ما لا يكذب
تظاهرن حتى لم تكن لى ريبة * ولم يك فيما أخبر وامتعقب

(فصل) وأما أخبار الأحاد فضرر بان أحدهما أن يقتربها ما يوجب العلم
بضمونها وقد يكون ذلك من خمسة أوجه أحدها أن يصدق عليه من يقطع
بصدقه كالأصول أو من أخبر الرسول بصدقه فيعلم به صدق الخبر وصحة الخبر

والثاني أن تجتمع الأمة على صدقه فيعلم باجتماعهم أنه صادق في خبره والثالث أن يجمعوا على قبوله والعمل به فيكون دليلا على صدق خبره والرابع أن يكون الخبر مضافا إلى حال قد شاهدناه عدد كثير وسمعوها واثبت الخبر فلم ينكروه على المخبر فيدل على صحة الخبر وصدق المخبر والخامس أن يقترن بالخبر دلائل العقول فإن كان مضافا إليها كان صدقا لا زمالا نساوا وثبتها لا يكون إلا حقا وإن كان مضافا إلى غيرهم لم يدل موافقها على صدق الخبر وإن أوجب صحة ما تضمنه الخبر * والضرب الثاني أن ينفر دخبر الواحد عن قرينة تدل على صدقه فهي أمانة توجب عليه الظن ولا تقتضي العلم لم يقوى إذا تطاول به الزمان فلم يعارض برد ولا مخالفة وإن تكرر في معناه ما يوافقها صار جميعها متواترا وإن كان أفرادها آحادا وإذا استقر هذا الأصل في الأخبار ولم يخرج المروي عن اعلام الرسول عنها وقد ذكرنا ما روى من أفعاله وسند كبر ما روى من أقواله (فيها) ما روى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال زويت لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها وسيلبلغ ملك أمتي ما زوى لي منها فصدق الله خبره وحقق ما ذكره وملك أمته أقطار الأرض حتى دان له بشرعه من في المشرق والمغرب * وقال عليه السلام لعدي بن حاتم لا يجنحك من هذا الدين ما ترى من جهل أهله وضلعف أصحابه فلكأنهم بيضاء المدائن قد فتحت عليهم ولكأنهم بالظعينة تخرج من الحيرة حتى تأتي مكة بغير خفارة لا يخاف إلا الله فأبصر عدي ذلك كله وهذا لا يكون إلا من اطلاع الله تعالى له على غيبه وتحقيقه لوعده في قوله لي ظهره على الدين كله * ومن أعلامه * ما رواه البراء بن عازب قال أمرنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بحفر الخندق فعرضت لنا صخرة عظيمة لا يأخذ فيها المعول فأخذ المعول وقال بسم الله وضرب ضربة فكسر ثلثها وقال الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام ثم ضرب الثانية فقطع ثلثا آخر وقال الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس ثم ضرب الثالثة فقطع بقية الحجر وقال الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن فصصدق الله قوله وأعطاه ما فتح له * وروى كعب بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول إذا فتحت مصر فاستوصوا بالقبط خيرا فإن لهم رحما وذمة يعني لن

أم اسمعيل بن ابراهيم كانت ملهم من علامته فكانه كتب الى كسرى كتابا يدعوه الى الاسلام وبدأ باسمه قبل اسمه فلما قرأه أنف لنفسه من ابتدائه باسمه ففرق كتابه فبلغ ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال تمزق ما كتبه ثم كتب كسرى في الوقت الى عامله باليمن باذان ويكنى أباسهران أن ارجل الى هذا الذي يدكرانه نبي وبدأ باسمه قبل اسمي ودعاني الى ديني فبعث اليه فيزور بن الديلمي مع جماعة من أصحابه وكتب معهم كتابا يدكر فيه ما كتب به كسرى فأثابه فيزور بن معه وقال له ان ربي يعني كسرى أمرني أن أحملك انبه فاستنظره ليلة فلما كان من الغد حضر فيزور صاحبها فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أعلم أخبرني ربي انه قتل ربك البارحة سلط عليه ابنه شيرويه على سبع ساعات من الليل فأقسمك ريثما يأتيك الخبر فرفع ذلك فيزور وهاله وعاد فيزور الى باذان فاخبره فقال له باذان كيف وجدت نفسك حين دخلت اليه فقال والله ما هبت أحدا قط كهيبة هذا الرجل فقال باذان ان كان ما قاله حق فهو نبي فلم يرعه الا ورودا الخبر عليه به بقتله في تلك الليلة من تلك الساعة فأسلم باذان وفيزور ومن معهم من الانبياء وظاهر العنسي بما افتراه من الكذب فارسل الى فيزور أن يقتله قتله الله فقتله وفي هذا الخبر من آيات الغيوب ما لا يعلمه الا الله أو من أطلعهم عليه من علامته فكانه رأى ذراعي سراقته بن مالك بن جعشم دقيقين أشعرين فقال كيف بك اذا ألبست بعدى سوارى كسرى فلما فتحت فارس دعاه عمرو وألبسه سوارى كسرى وقال له قل الحمد لله الذي سلمهم ما كسرى بن هرمز وألبسهم ما سراقته بن جعشم ومن علامته فكانه ما رواه جابر بن عبد الله قال صلى بنار رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قال ان النجاشي أصحمة قد توفي هذه الساعة فاخرجوا بنا الى المصلى نصل عليه فصلي عليه وكبر أربعين مرة فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علي بن أبي طالب لم يره قط فأنزل الله تعالى وان من أهل الكتاب من يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم الآية ثم جاء الخبر بموت النجاشي من تجار ووردوا من المدينة ومثله ما روى أن رجلا هبمت بتبوك فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذا الموت منافق عظيم المنافق قد مات في ذلك الوقت ومن علامته فكانه قال لأصحابه اليوم نصرت

العرب على العجم وبني نصر واجفاء خبر الواقعة بذي قار ما أدا ل الله تعالى فيه العرب
من العجم حين قتلت فيه بنو شيبان وبكر بن وائل من الفرس من قتلوا وكان أول
يوم انتصف فيه العرب من العجم وجاءهم الخبر انه كان في الساعة من اليوم الذي
أخبر به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يوم من أيامه أنه كشف الله تعالى له
ما غاب عنه في جيش مؤتة فقال لأصحابه أخذ الراية زيد بن حارثة وتقدم فقتل
ومضى شهيدا ثم أخذ الراية بعده جعفر بن أبي طالب وتقدم فقتل ومضى شهيدا
ووقف وقفة ثم قال وأخذ الراية بعده عبد الله بن رواحة وتقدم فقتل ومضى
شهيدا الآن عبد الله بن رواحة توقف عن أخذ الراية بعد قتلي جعفر زمانا ثم أخذها
قال ثم ارتضى المسلمون خالد بن الوليد فكشف العدو عنهم حتى خلاصوا ثم قام
إلى بيت جعفر بن أبي طالب فأسس - تخرج ولده ودمعت عيناه ونعى جعفر إلى أهله
وجاءت الأخبار بأنهم قتلوا في ذلك اليوم على ما وصفه يوم من أيامه أنه قوله في
ليلة الأسراء حين أصبح مررت بعير بني فلان فوجدت القوم نياما وإذا أنا فيه ماء
وقد غطوا عليه فكشفت غطاءه وشربت ما فيه وردت الغطاء كما كان وآية ذلك
أن عيرهم الآن تقبل من موضع كذا يقدمها جمل أو رق عليه غرار تان أحدهما
سوداء والآخرى ورقاء فابتدر القوم الثانية فوجدوا ما وصف وسألهم عن الاناء
فوجدوا الأمر كما قال يوم من أيامه أنه رأى عليا كرم الله وجهه في غزاة
العشيرة على التراب ومعه عمار فقال لهما ألا أخبركما بأشقى الناس قالوا بلى قال أشقى
الناس أحرثو دواقر الناقة والذي يخضب نيا على هذه من هذه وأشار إلى لحية
من رأسه وقال لعمار تقتلك الفئة الباغية وأخر زادك من الدنيا صاع من لبن
فكان من قتل ابن ملجم لعنه الله لعلى كرم الله وجهه ما كان وقتل عمار يوم صفين
فلما ذكر الخبر لمعاوية لم يذكره ودفعه عن نفسه بان قال انما قتله من جاء به ومثله
ما روى أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ذكر زيد بن صوحان فقال زيد وما زيد
يسبته عضومنه إلى الجنة فقطعت يده يوم نهاوند في سبيل الله وقال الخ - لافة
بعدي ثلاثون وما بعد ذلك ملك يوم نوع آخر من أيامه صلى الله تعالى عليه وسلم
أنه نزل بجيشه في غزوة تبوك على غيراء وهم نحو من ثلاثين ألفا فغطشوا

وشكوا ذلك اليه فبعث أبا الهيثم وأبا طلحة وسماك بن خرشة وسعد بن عبادة
 يلتمسون الماء فغابوا الى قائم الهميرة ثم رجعوا ولم يجدوا شيئا وبلغ العطش من
 الناس والخيل والدواب فصلى باصحابه متيمما فلما فرغ شكوا اليه العطش فبعث
 أسيد بن حضير وأسامة يلتمسون الماء من الاعراب فقال المنافقون ان محمد لا يخبر
 باخبار السماء وهو لا يدرى الطريق الى الماء فأناه جبريل عليه السلام فاخبره
 بقولهم وسماهم له فشكى ذلك الى سعد بن عبادة فقال سعد ان شئت ضربت
 أعناقهم فقال لا يتحدث الناس ان محمد يقتل أصحابه ولو كن نحسن صحبتهم ما
 أقاموا معنا ثم قال لابي الهيثم بن التيهان وأبي قتادة وسهيل بن بيضاء يستعرضون
 الطريق ويأخذون على الكتيب فتقف ساعة فان عجوزا من الاعراب تمر بكم على
 ناقه لها معها سقاء من ماء فاطعموها واشترىوا منها بعاذروها ونجوا بهم مع الماء
 فخصوا حتى بلغوا الموضع الذي وصف لهم فاذا بالمرأة فقالوا اتبعينا هذا الماء قالت
 أنا وأهلي أحوج الى الماء منكم فطلبوا اليها أن تأتى رسول الله صلى الله تعالى
 عليه وسلم مع الماء فأبى وقالت ان هذا الساحر خير الاشياء أن لا أراه ولا يرانى
 فشدوها وناقاه حتى جاؤا بها مع الماء فلما وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال خلوا عنها وقال لها اتبعين هذا الماء قالت ان أهلي أحوج اليه منكم قال
 فائذنى لنافيه وليصيرن ذلك كما جئت به قالت شأنكم فقال لابي قتادة هات الميضة
 فقربت اليه فحل السقاء وتفضل فيه وصب في الميضة ماء قليلا ظننا أن يكون
 نصف الميضة فوضع يده فيه ثم قال ادنوا فخذوا فجعل الماء يزيد والناس يأخذون
 حتى ما أبقوا معهم سقاء الا ملؤه وأرووا خيولهم وابلهم والميضة ملأت ثم زاد
 رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في السقاء حتى ملأه وبقي في الميضة ثلثاه
 ثم توضؤا كلهم حين أصبحوا وهو يزيد ولا ينقص ويوم من اعلامه صلى الله تعالى
 عليه وسلم ان ناقه له ضلت في توجهه الى تبوك فتفرق الناس في طلبها وكان
 عنده عمار بن خزم وفي رحل عمار زيد بن اللصيت وكان يهوديا قد أسلم ونافق
 فقال زيد في رحل عمار يزعم محمد انه نبي يخبركم خبر السماء وهو لا يدرى أين
 ناقته فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان منافقا يقول أليس محمد يزعم

انه نبي ويخبركم بخبر السماء ولا يدري أين ناقتة والله لا أعلم الا ما علمني ربي وقد أعلمني
 انها في الوادي في شعب كذا حبسها مرة بزمانها فنادر الناس فوجدوها كذلك
 فانتهوا فخرج عمر بن حزم الى رحله وقال لقد عجبتم بما ذكره رسول الله صلى
 الله تعالى عليه وسلم فقال رجل كان في رحله مع زيد بن اللصيت ان زيدا قال هذا
 قبل ان تطلع بجايها فوجأ عمر زيدا في عنقه وقال انك لداهيته في رحلي اخرج
 يا عدو الله منه ولا جل ما لقيه في غزاة تبوك من الجهد قال لا صحابه الا أسركم
 قالوا بل يارسول الله قال ان الله تعالى أعطاني الله الصلوة التي في فارس والروم
 وأمدني بالملوك ملوك حيرة يجاهدون في سبيل الله ويأكلون في الله فكان ذلك
 يوم من اعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم انه بعث خالد بن الوليد من تبوك في
 أربع مئة وعشرين فارسا الى أكيدر بن عبد الملك بدو حة الجندل من كندة فقال
 خالد يارسول الله كيف لي به وسط بلاد كلب وانما أنا في عديد يصير فقال سجدته
 يصيد البقر فتأخذها فخرج خالد حتى اذا كان من حصنه بمنظر العين في ليلة قراء
 صائفة وهو على سطح له من شدة الحر مع امرأته فأقبلت البقر تحك بقرونها باب
 الحصن فقال أكيدر والله ما رأيت بقر اجاءتنا ليلا غير هذه الليلة لقد كنت أضمر
 لها الخيل اذا أردتها شهر أو أكثر ثم نزل فركب بالرجال والالفة فلما فصلوا من
 الحصن وخيل خالد تنظر اليهم لا يصهل منها فارس ولا يتحرك فساعة فصل أخذته
 الخيل فاستؤسرا أكيدر يوم من اعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم انه لما قاضى
 سهيل بن عمرو بالحديبية حين صدته قريش عن العمرة وكتب بينه وبينه
 القضية قال لعلي كرم الله تعالى وجهها كتب هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله
 سهيل بن عمرو فقال سهيل لو أعلم انك رسول الله ما صدتك ولا كن أقدمك
 لشرفك اكتب محمد بن عبد الله فقال يا علي ارح رسول الله فقال علي لا أستطيع
 أن أمحو اسمك من النبوة فذكر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يده الى الموضع
 فجاء وقال لعلي ستسام مثلها فتجيب فقبل له مثلها يوم الحكمين حين ذكر في
 كتاب الحكمين هذا ما اتحاكم عليه علي أمير المؤمنين فقال له عمرو لو سلمنا انك
 أمير المؤمنين ما نازعناك فحما أمير المؤمنين ولما قال سهيل ذلك قال عمر يارسول

الله دعني أنزع ثوبي سهيل لنأمنع نساؤه فلا يقوم علينا خطيبا أبدا * وكان سهيل أعلم
 الشفة السفلى فكان خطيبا بينهم فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم دعه
 يا عمر فعمى أن يقوم لك مقاماتكم هذه فكان من حسن قيامه بمكة حين هاج
 أهلها بموت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم واستخفى عتاب بن أسيد ما جد أثره
 من اعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم لم يهاجكاه السدي إن رسول الله صلى الله
 تعالى عليه وسلم قال لا صحابه يدخل اليوم عليكم رجل من ربيعة يتكلم بلسان
 شيطان فأناه الخطم بن هذيل البكري وحده وخلف خيله خارجة من المدينة
 فدعاه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال الى ما تدعو فأخبره فقال انظرنى فلى من
 أشاوره فخرج من عنده فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لقد دخل بوجه
 كافر وخرج بعقب غادر فترسرح من سرح المدينة فاستاقه وانطلق فمر بجزا
 يقول

لقد لفها الليل * سواق حطم ليس براعى ابل * ولا غـم
 ولا بجـزار * على ظهر وضم باقوانيه اما * وابن هذيل لم ينم
 باتت يناسها * غلام كالزم مدالج الساقين * ممسوح القدم
 ثم أقبل عام قابل حاجا قد قلد الهدى فاراد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن
 يبعث اليه فنزل عليه قوله تعالى (لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى
 ولا القلائد ولا آمين البيت الحرام) فقال له ناس من أصحابه هذا صاحبنا دخل بيننا
 وبينه فقال انه قد قلد بنوع آخر من اعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم فمراروى
 عامر بن عمرو عن قتادة قال لما رجع المشركون الى مكة من بدر قال عمر بن وهب
 الجمحي لصـفوان بن أمية قبح الله العيش بعد قتلى بدر والله لو لا دين على لا أجد
 له قضاء وعيال لا أدع لهم شيئا رحات الى محمد حتى أقتله ان ملأت عيني منه
 قتلته فانه باقنى انه يطوف فى الاسواق فقال له صفوان دينك على وعيالك اسوة
 عيالى فاعمد لسألك فجهزه ووجهه على بعير فشجذ عمر سيفه وسمه وسار الى المدينة
 فدخلها متقلدا سيفه فبصر به عمر رضى الله تعالى عنه فوثب اليه ووضع جمائل
 سيفه فى عنقه وأدخله على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقال هذا عدو الله

عمير بن وهب فقال تأخر عنه يا عمر ثم قال له ما أقدمك قال لفداء أسيري عندكم قال
 فإبال السيف قال فبحمها الله وهل أغنت من شيء وإنما نسيت به حين نزلت وهو في
 رقبتي فقال له فما شرطت لصقوان بن أمية في الحجر ففرغ عمير وقال ماذا شرطت
 له قال تحملت له بقتلي على أن يقضى دينك ويعول عيالك والله تعالى حائل بينك
 وبين ذلك فقال عمير أشهد أنك لرسول الله وإنك صادق وأشهد أن لا إله إلا الله
 كننا كذبتك بالوحى من السماء وهذا الحديث كان سرًا بيني وبين صفوان كما قلت
 لم يطلع عليه أحد غيري فقال عمر والله لخزير كان أحب إلىّ منه حين طلع وهو
 الساعة أحب إلىّ من بعض ولدي فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم علموا
 أحاكم القرآن وأظلمقوا له أسيريه فقال عمير انى كنت جاهدانى اطفاء نور الله وقد
 هدىنى الله فله الحمد فاذن لى فألقى قريشاً فادعواهم الى الله والى الاسلام فأذن
 له فلقى بمكة ودعاهم فاسلم معه بشركته يروحان صفوان أن لا يكاهمه أبدا
 ويؤمن بعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم ما حكاه شيبه بن عثمان بن أبى طلحة قال
 ما كان أحد أبغض إلىّ من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكيف لا يكون
 كذلك وقد قتل من ثمانية كل منهم يحمل اللواء فلما فتح الله تعالى مكة بثبت
 ما كنت أتمناه من قتله وقلت فى نفسى قد دخلت العرب فى دينه ففى أدركت نارى
 منه فلما اجتمعت هوازى بجنين قصدتهم لا جدم من لغرة فاقتله فلما انهزم الناس
 عنه وبقي مع من ثبت معه جئت من وراءه فرفعت السيف حتى كدت أحطه
 غشى فوادى ورفع لى شـ واط من نار فلم أطق ذلك وعلمت انه ممنوع فالتفت الىّ
 وقال ادن يا شيب فقاتل ووضع يده فى صدرى فصار أحب الناس إلىّ وتقدمت
 فقاتلت بين يديه ولو عرض لى أبى لقتلته فى نصرته فلما انقضى القتال دخلت عليه
 فقال لى الذى أراد الله بك خير مما أردته لنفسك وحدثني بجميع ما زورته فى نفسى
 فقلت ما اطلع على هذا أحد الا الله فاسلمت ويؤمن بعلامه صلى الله تعالى عليه
 وسلم ما رواه محمد بن ابراهيم بن شرحبيل عن أبيه قال كان النضر بن الحرث بن
 كلدة يصف شدة عداوته كانت لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يقتله لاختيه
 النضر بن الحرث قال وكنت شـ مهدت بدرا فرايت قلة المسلمين وكثرة قريش فلما

نسب القتال رأيت المسلمين أظلم عاف قريش فانهم زمت قريش ورأيت يومئذ
 رجالا على خيل يلق بين السماء والارض معلمين بأسرون ويقتلون فهربت
 مذعورا ثم خرجت معه بعد الفتح الى هوازن لاصيب منه غرة فلما انهم زمت المسلمون
 صعدت لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا هو في وجه العدو واقف على بغلة
 شهباء حوله رجال بيض الوجوه فاقبلت عامدا اليه فصاحوا بي لبيك اليك
 فرعب فتوادي وأرعدت جوارحي فقبلت هذا مثل يوم بدر ان الرجل لعلى حق
 وانه معصوم فادخل الله في قلبي الاسلام ثم التقيت برسول الله صلى الله تعالى عليه
 وسلم بعد رجوعه من الطائف فحين رأيته قال الله لي لبيك قال هذا خير لك
 مما أردت يوم حنين ما حال الله بينك وبينه ^{يوم} ومن أعلامه صلى الله تعالى عليه
 وسلم ^{يوم} انه قال لعمة العباس وقد أسرى يوم بدر افد نفسك وابني أخيك عقيل او نوفلا
 وحليفك فانك ذو مال فقال يا رسول الله اني كنت مسلما وأخرجت مكرها فقال الله
 أعلم باسلامك فأين المال الذي وضعته بمكة عند أم الفضل حين خرجت وليس معك
 أحد فقلت ان أصبت في سفري فللفضل كذا ولعبد الله كذا ولعثم كذا فقال والذي
 بعثك بالحق ما علم بهذا أحد غيري وغيرها واني لأعلم انك رسول الله ففدى نفسه
 وابني أخيه وحليفه فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله سيغفر لك
 خيرا ان كان ما قلت من اسلامك حقا فعوضه الله تعالى مالا جبارا ومن أعلامه
 صلى الله تعالى عليه وسلم ^{يوم} ما روى أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا أراد
 الذهاب الى أم فروة الانصارية قال لا صحابه انطلقوا بنا الى الشهيدة فنزورها
 وأمر أن يؤذن لها ويقام وان تؤم أهل دارها في الفرائض فقتلها في أيام عمر رضي
 الله تعالى عنه غلام وجارية كانا لها فصلهما عمر رضي الله تعالى عنه فكانا أول من
 صلب في الاسلام فقال عمر صدق رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان يقول
 انطلقوا نزور الشهيدة ^{يوم} ومن أعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم ^{يوم} ما رواه عاصم بن
 عبد الله بن الزبير عن أبيه قال أتيت النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يحتجم فلما
 فرغ قال يا عبد الله اذهب بهذا الدم فاهرقه حيث لا يراك أحد فلما برز عنه حمد الى
 الدم فحساه فلما رجع قال يا عبد الله ما صنعت قال جعلته في أخفى مكان ظننت انه

خاف عن الناس قال اعلك شربت الدم قال نعم قال ويل للناس منك وويل لك من
الناس الى أمثال ذلك من تطائره التي يطول الكتاب بذكوه حتى كان المنافقون
لا يخوضون في شيء من أمره الا أطلعه الله عليه فكان يخبرهم به حتى كان بعضهم
يقول لصاحبه أسكت وكف فوالله لو لم يكن عنده الا الحجارة لا تخبرته بحجارة
البطحاء (فان قيل) فليس في ذكر ما كان ويكون اعجاز نبوة يقهر ولا آية رسالة
تظهر لان المنجمين يختبرون بذلك ولا يكون من اعجاز الانبياء وآيات الرسل
فعنه ثلاثة أجوبة أحدها ان المنجم يعمل على حساب ويرجع على استدلال
ولا يستكرقولا الابد هما وأخبار الرسل عن بديهة تخلو من سبب وتعرى عن
استدلال والثاني ان من خلا من علم النجوم لم يصح الاخبار عنها ولم يتعاط محمد
صلى الله عليه وسلم علم النجوم ولا خالط أهلها فيكون مخبرا عنها فبطل أن يخبرها
الا عن علام الغيوب المطاع على ضمائر القلوب والثالث ان المنجم يصيب في
الاقول ويخطئ في الاكثرو يستحسن منه الصواب ولا يستقبح منه الخطأ
وأخبار الرسل كلها صدق لا يتخلله كذب وصواب ولا يعتبره زلل

(الباب الحادي عشر فيما أكرم به صلى الله تعالى عليه وسلم من اجابة ادعيته)

ان الله تعالى لما فضل الانبياء على جميع خلقه مما فوض اليهم من القيام بحقه
تميزوا بطالب المصلحة فخصوا باجابة الادعية ليكون عوناً على ما كلفهم وآية على من
أنكرهم فدخل بهم هذا الامتياز في أقسام الاعجاز فوفى اعلامه صلى الله عليه
وسلم في الاجابة ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما تلا والنجم اذا هوى قال عتبة
ابن أبي لهب كفرت بالذي دنا فتدلى فقال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم اللهم سلط
عليه كلام من كلابك يعني الاسد فخرج عتبة مع أصحابه في عير الى الشام حتى
اذا كانوا في طريقهم زار الاسد فجعلت فرائص عتبة ترعد فقال أصحابه من أي
شيء ترعد فوالله ما نحن وأنت الاسد فقال ان محمداً ادعاني وما تردله دعوة
ولا أصدق منه لهجة فوضعوا العشاء فلم يدخل يده فيه وحاط القوم أنفسهم
بمناعمهم وجعلوه وسطهم وناموا فجاء الاسد يستشهم رؤسهم رجلاً رجلاً حتى

انتهى اليه فهشمه هشمة كانت اياها فقال وهو باخر رmq ألم أقل لكم ان محمدا
أصدق الناس لهجة **ومن أعاد** الله تعالى عليه وسلم **ان المستهزئين به**
من قريش وهم سبعة الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل السهمي والاسود
ابن عبد يغوث الزهري وفكهة بن عامر القهري والحارث بن الطلائمة والاسود
ابن الحرث وابن عيطلة كانوا يكثر من منه الاسهزاء ويواصلون عليه الاذاء
وكان لا يقرأ الا مستسرا ولا يدعو الا مستخفيا فنزل عليه قوله تعالى ولا تجهر
بصلواتك ولا تخافت بهما ولا تبغ بين ذلك سبيلا أي لا تجهر بهما فيؤذوك ولا تخافت
بهما عن أصحابك فلا يسمعونك ولا تبغ بين الجهر والاسرار سبيلا فأذن لاصحابه حين
اشبهتهم الاذى في الهجرة الى أرض الحبشة لان ملكها كان منصفاً ورغب
الى الله تعالى أن يكفيه أمرهم فنزل عليه قوله تعالى فاصدع بما تؤمر وأعرض
عن المشركين انا كفييناك المستهزئين * وفي قوله فاصدع بما تؤمر تأويلان
أحدهما امض لما تؤمر به من ابطال الشرك والثاني أظهر ما تؤمر به من الحق
* وفي قوله وأعرض عن المشركين تأويلان أحدهما استهزئ بهم والثاني لانهم
باستهزائهم انا كفييناك المستهزئين يعني بما عجله من اهلاكهم فاما الوليد بن
المغيرة فانه ارتدى فعلق برذائه شوك فذهب يجلس عليه فقطع أكله فتزف
ذات لوقتته وأما العاص بن وائل فوطئ على شوكه فتساقط لحمه من عظامه
ذات من يومه وأما الاسود بن عبد يغوث فقد كان رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم دعا عليه بالعمى وثكل ولده فأتى بغصن فيه شوك فأصاب عينه فسالت
حدقتاه على وجهه وقتل ولده زمعة يوم بدر فاعمى الله بصره وأثكله ولده وأما
فكهة بن عامر فخرج يريد الطائف ففقد ولم يوجد وأما الحرث بن الطلائمة
فانه خرج لبعض حوائجه فضر به السموم في الطريق فاسود منه ومات وأما
الاسود بن الحرث فأكل حوتاً ملوحاً فاصابه عطش فلم يتمالك من شرب الماء حتى
انشق بطنه ومات وأما ابن عيطلة فاستسقى ذات * ومثله ما رواه ابن مسعود
قال كنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نصلي في ظل الكعبة وناس من
قريش وأبوجهل قد نحر واخروا في ناحية مكة فبعثوا فجاءوا بسلاها وطرحوه

بين كنفه وهو ساجد فجاءت فاطمة فطرحته عنه فلما انصرف قال اللهم عليك
 بقريش وبابي جهل وعتبة وشيبة والوليد بن عتبة وأممية بن خلف وعقبة بن أبي
 معيط قال عبد الله بن مسعود فلقد رأيتهم قتلني في قليب بدر ^و ومن أعلامه
 صلى الله تعالى عليه وسلم ^ع أن خباب بن الارت أتاه حين اشتد الاذى من قريش
 فقال يا رسول الله ادع لنا ربك أن يستنصر لنا على مضر فقال أنكم تعجلون لقد كان
 الرجل من قبل من قبلكم يشق بالمنشار فلا يردده ذلك عن دينه وإنكم تعجلون والله ليمضي هذا
 الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على
 غنمه ثم دعا عليهم فقال اللهم أشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني
 يوسف فقطع الله عنهم المطر حتى مات الشجر وذهب الثمر وأجهدت الأرض
 وماتت المواشي واشتوا والقدوا وكلا العلمز فلما انتهت بهم الموعظة استعطفوه
 فعطف ورغب إلى الله تعالى فطروا ^و ومن أعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم ^ع
 ما رواه ابن عباس قال قيل لعمر حذيث عن شأن جيش العسرة فقال عمر رضي
 الله تعالى عنه خرجنا مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في قبط شديد فنزلنا
 منزلا أصابنا فيه عطش حتى خشينا أن تنقطع رقابنا فـ ^{كان} الرجل يذهب
 ليلتمس الماء فلا يرجع حتى تظن أن رقبتك ستنقطع وحتى كان الرجل ينخر بعيره
 فيعصر فرثه فيشربه ثم يجعل ما بقي على صدره فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه
 يا رسول الله أن الله قد عودك في الدعاء خير أفادع الله لنا قال أتحب ذلك قال نعم
 فرفع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يده فلم يرجعها حتى مالت السحاب فأظلت
 وأمطرت حتى رروا وملؤا ما معهم من الاوعية فذهبنا ننظر فلم نجد لها جاوزت
 العسكر ^و ومن أعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم ^ع ما رواه مسلم الملاي عن أنس
 ابن مالك قال أتى اعرابي إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا رسول الله
 لقد أتيتناك وما لنا بغيري شط ولا صبي يصطح ثم أنشد

أتيتناك والعداء يدعي لبانها * وقد شغلت أم الصبي عن الطفل
 وأتني بكفيه الصبي استكاته * من الجوع ضعفا ما يرو ولا يحلي

ولا تثنى عما يأتى كل الناس عندنا * سوى الخنظل العامى والعلهر الفسلى
 وليس لنا إلا إليك فإرنا * وأين فسرار الناس إلا إلى الرسل
 فقام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يجتر داءه حتى صعد المنبر فحمد الله تعالى
 وأثنى عليه ثم قال اللهم اسقنا غيثا مغينا صها طبقا غير رايت تنبت به الزرع وتملأ
 به الضرع وتحيى به الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون فبالستم الدعاء حتى
 انفت السماء باروقها فجاء أهل البطانة يصحبون يا رسول الله الغرق فقال حوالينا
 ولا علينا فانجاب السحاب عن المدينة كالا كليل فضحك رسول الله صلى الله تعالى
 عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال لله در أبى طالب لو كان حيا لقرت عيناه من
 الذى ينشده نشعره فقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه يا رسول الله كأنك
 أردت قوله

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * شمال اليتامى عصمة لا لأرامل
 يعوزبه الهلاك من آل هاشم * فهم عنده فى نعمة وفواضل
 كذبتم وبيت الله نبرى محمدا * ولما نقاتل دونه ونناضل
 ونسلمه حتى نصرع حوله * ونذهل عن أبنائنا والحوائل
 وقام رجل من كنانة وأنشد

للك الحمد والحمد من شكر * سقينا بوجه النبي المطر
 دعا الله خالق — دعوة * وأنتخص معها إليه البصر
 فلم يك إلا كالقواء الردى * وأسرع حتى رأينا الدرر
 وفاق العزالي جم البعاق * أغاث به الله عليا مضر
 وكان كما قاله عمه * أبوطالب أبيض ذو غرر
 به الله يسقى صوب الغمام * وهذا العيان لذلك الخبر

فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان بك شاعر يحسن فقد أحسنت ومن
 اعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم ما أظهره الله تعالى من كرامته فى عمه العباس
 حين استسقى به عمر رضى الله تعالى عنه متوسلا إليه به — فخرج يستسقى به
 وقد أجذب الناس فقال اللهم ان انت تقرب اليك بعم نبيك وبقية آباءه وكبير رجاله

فاحفظ اللهم نبيك في عمه فقد دلونا به اليك مهتشفعين اليك مستغفرين فقال
العباس وعيناه يتفحان اللهم أنت الراعي لانهم لم يمل الضالة فقد ضرع الصغير
ورق الكبير وارتفعت الشكوى وأنت تعلم السر وأخفى اللهم فأغنهم بغيانك
من قبل أن يقنطوا فيها كوافانه لا يأس من روحك الا القوم الكافرون فنشأت
السحاب وهطلت السماء فطفق الناس بالعباس يحسبون أمركانه ويقولون هنيأ
لك ساقى الحرمين فقال حسان بن ثابت . .

• سأل الامام وقد تتابع جدبنا * فسقى الغمام بغرة العباس
عم النبي وصنوا الله الذي * ورث النبي بذلك دون الناس
أحيا الالهة البلاد فأصبحت * مخضرة الاجناب بعد الياس

فقال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب يفخر بذلك

بعمى سقى الله الحجاز وأهله * عشيبة يستسقى بشيئته عمر
توجه بالعباس في الجذب راغبا * فما كتر حتى جاد بالديعة المطر

يروى من اعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم * ما روى ان أسماء بنت عميس قالت
لفاطمة ان علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه ما كان عند رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم وقد أوحى اليه فجلاه بثوبه فلم يزل كذلك حتى أدبرت الشمس أو
كادت تغيب ثم انه سرى عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال أصليت يا علي
قال لا فقال اللهم رد علي علي الشمس فرجعت الشمس حتى بلغت نصف المسجد
يروى من اعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم * ما روى عن علي بن أبي طالب كرم الله
تعالى وجهه قال بعثني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى اليمن فقلت يا رسول
الله تبعثني وأنا حدث السن لاعلم لي بالقضاء قال انطلق فان الله تعالى سيهدي قلبك
ويثبت لسانك قال علي رضى الله تعالى عنه فاشككت في قضاء بين اثنين
ولذلك قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أفضاكم علي ومثله قوله لابن
عباس وهو يومئذ غلام اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فخرج أفقه الناس
في الدين وأعلمهم بالتأويل حتى سمى البحر لسعة علمه يروى من اعلامه صلى الله
تعالى عليه وسلم * ما رواه أبو العالية عن أبي هريرة قال أتيت رسول الله صلى الله

تعالى عليه وسلم لم يتميرات فقللى ادع الله لي بالبركة فيهن فصـ فهن على يدي ثم دعا
 بالبركة فيهن ثم قال اجعلهن في المذور فاذا أردت شيئا فادخل يدك فيه ولا تنثره
 قال أبو هريرة فلقدهمات من ذلك التمر كذا وكذا وسقاني سبيل الله وكننا نأكل منه
 ونظم وـ كان لا يفارق حقوى فلما كان يوم قتل عثمان انقطع فذهب ^{بهم} ومن
 اعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم لم ^{يكن} ماروا جميعيل الا شجعي قال غزوت مع رسول
 الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم في بعض غزواته فقال سرياً صاحب الفرس فقلت
 يا رسول الله هي عجفاء ضعيفة فرفع مخنقة معه فضرب بها وقال اللهم بارك له فيها
 قال فلقـ درأيتني مأمسث رأسيها أن تقدم الناس ولقد بعثت من بطنها باثني عشر
 ألفاً ^{بهم} ومن اعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم ^{يكن} ماروت عائشة رضي الله تعالى عنها
 قالت قدم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم المدينة وهي أوبأ أرض فيه فقال
 اللهم حبيب الينا المدينة كما حبيت الينا مكة وصححها لنا وبارك لنا في ضاعها
 ومدها وانقل جماها الى الحفة فصارت كذلك ^{بهم} ومن اعلامه صلى الله تعالى عليه
 وسلم ^{يكن} انه أخذ يوم بدر كفنا من حصي وتراب ورمى به في وجوه القوم وقال شأهت
 الوجوه فتفرق الحصى في المشركين ولم يصل ذلك الحصى والتراب أحدا الا قتل
 أو أسر وفيه نزل قول الله تعالى فلم تقتلوهم ولا كن الله قتلهم وما رميت اذ رميت
 ولا كن الله رمى ^{بهم} ومن اعلامه صلى الله تعالى عليه وسلم ^{يكن} ان الطفيل بن عمرو
 الدوسي قدم مكة وكان شاعرا المبياف قال قريش له احذر محمد فان قوله كالسحر
 يفرق بين المرء وبين زوجته فأناه في بيته وقال يا محمد اعرض أمرك فعرض عليه
 الاسلام وتلا عليه القرآن فأسـ لم وقال يا رسول الله اني امرؤ مطاع في قومي واني
 راجع اليهم وداعهم الى الاسلام فادع الله أن يجعل لي آية تكون عوناً عليهم فقال
 اللهم اجعل له آية فخرجت حتى اذا كنت بشنية وقع نور بين عيني مثل المصباح
 فقلت اللهم في غير وجهي أخشى أن يظنوا بي انها مثله فتحوّل فوقع في رأس
 سوطي فجعل الحاضرون يرون ذلك النور في سوطي كالقنديل المعلق وأنا أهبط
 من الثنية ثم دعوت رؤساء قومي الى الاسلام فأبطلوا فحث رسول الله صلى الله
 تعالى عليه وسلم فقلت يا رسول الله انهم قد غلبوني على دوس فادع الله عليهم فقال

اللهم اهددوسا رجع الى قومك فادعهم الى الله والرفق بهم فرجعت اليهم فلم ازل بارض دوس ادعوهم حتى اسلموا ^{يؤمنون} من اعلامهم صلى الله تعالى عليه وسلم ^{عليه} ما رواه ابو نعيم - ك الازدي عن عمرو بن اخطب قال استسقى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ماء فاتيمته باناء فيه ماء وفيه شعرة فرفعت اثم ناولته فقال اللهم جلله قال فرأيت بعد ثلاث وتسعين ما في رأسه ولحيته شعرة بيضاء * ونهى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن ينقى الرجل شعره في الصلوة فرأى رجلا ينقى شعره في الصلوة فقال فبح الله شعرك فصاع مكانه (فان قيل) فاجابة الادعية لا تكون معجزة للنبوة لانه قد تجاب دعوة غير الانبياء (قيل) ادعية الانبياء مجابة على العموم في جميعها وادعية غيرهم ان اجيبت فعلى الخصوص في بعضها لان الانبياء منطلقون بالحق فاذا نطقوا بالسنتهم بالدعاء صادف ما أمروا به فاجيبوا اليه وغيرهم قد ينطق بالحق وبغيره فان اجيبت ادعيتهم فهو تنقض ليقف على مشيئة الله تعالى

(الباب الثاني عشر في انذاره صلى الله تعالى عليه وسلم بما سيحدث بعده)

روى فضالة بن أبي فضالة الانصاري قال خرجت مع أبي الى ينبع عائد العلي بن أبي طالب عليه السلام وكان بها مريضاً فقال له أبي يا أبا الحسن ما يقيمك بهذا البلد لا آمن أن يصيبك أجلك فلا يكن أحد يدريك الا أعراب جهينة فلو احتمات الى المدينة فان أصابك أجلك وأهلك أصحابك وصلوا عليك فقال يا أبا فضالة أخبرني حبيبي وابن عمي رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لا أموت حتى أوامر ولا أموت حتى أقتل الفئة الباغية ولا أموت حتى تخشب هذه من هذه وضرب بيده على لحيته وهامته قضاء مقضيا وعهدا معهودا وقد خاب من افترى ^{يؤمنون} من انذاره صلى الله تعالى عليه وسلم ^{عليه} ما رواه ابو سلمة عن أبي هريرة قال دخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بمارية القبطية في بيت حفصة بنت عمر فوجدتها معه تضاحكه فقالت يا رسول الله في بيتي من دون بيوت نساءك قال فانها على حرام ان أمسها ثم قال لها يا حفصة ألا أبشرك قلت بلى يا أبي أنت وأمي قال يلي هذا الامر

من بعدى أبو بكر ثم يليه بعد أبي بكر أبو بكر الكمي هذا على نخرجت حتى دخلت
 على عائشة فقالت لها ألا أبشرك يا ابنة أبي بكر قالت بماذا فذكرت ذلك لها
 وقالت قد استكتفى فاكتميه فأنزل الله تعالى يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك
 تبتهغي مرضاة أزواجك الآية فممن أنذره صلى الله تعالى عليه وسلم في ما رواه
 معاذ بن جبل قال بعثني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى اليمن فخرج معي
 يوصيني فلما فرغ قال يا معاذ إنك عسى أن لا تلقاني بعد هذا ولعلك تتربص بي جدي
 ومنبري فبكي معاذ ثم التفت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم يقبل بوجهه
 نحو المدينة وقال إن أهل بيتي هؤلاء يرون أنفسهم أولى الناس بي وليس كذلك
 إن أولى الناس بي المتقون من كانوا أو حيثما كانوا اللهم إني لأحسبهم فساد
 ما أصححت ممن أنذره صلى الله تعالى عليه وسلم في ما رواه عبد الله بن عباس
 قال كنت قاعدا عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إذ أقبل عثمان فلما دنا منه
 قال يا عثمان تقتل وأنت تقر أسورة البقرة تقع فطرة من دمك على نفسك فيكفهم
 الله يغبطك أهل المشرق والمغرب وتبعث يوم القيامة أميرا على كل مخدول وممن
 أنذره صلى الله تعالى عليه وسلم في ما رواه جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى
 الله تعالى عليه وسلم من أحب أن ينظر إلى شهيد يمسي على وجه الأرض فليتنظر
 إلى طلحة بن عبيد الله وممن أنذره صلى الله تعالى عليه وسلم في ما روى أنه قال
 لفاطمة رضي الله تعالى عنها إنك أول أهل بيتي لحاقا بي ونعم السلف أنا لك
 فكانت أول من مات بعده من أهل بيته صلى الله تعالى عليه وسلم وممن أنذره
 صلى الله تعالى عليه وسلم في ما رواه عبد الله بن عباس قال قال رسول الله صلى الله
 تعالى عليه وسلم لنسائه ليت شعري أيت كن صاحبة الجمل الأدب تخرج فتنبجها
 كلاب الحووب يقتل عن عينها ويسارها قتلى كثير وتنجو بعد ما كادت تقتل
 فقيمتل إن عائشة رضي الله تعالى عنها لما وصلت إلى مياه بني عامر ليل أنصتها
 الكلاب فقالت ما هذا قالوا الحووب قالت ما أظنتني إلا راجعة إن رسول الله صلى
 الله تعالى عليه وسلم قال لنا ذات يوم كيف باحدا كن إذا نبج عليها كلاب الحووب
 وممن أنذره صلى الله تعالى عليه وسلم في ما رواه ثابت عن الحسن البصري قال

كان الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما يجي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ساجدا فيجاس على عنقه فاذا أراد أن يرفع رأسه أخذه فوضعه في حجره ثم قال ان ابني هذا سيد وان الله تعالى سيصلح به بين قمتين عظيمتين من المسلمين ~~يؤمن~~ ومن انذاره صلى الله تعالى عليه وسلم ~~لم~~ ما رواه عروة عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت دخل الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو يوحى اليه فبرك على ظهره وهو منكب ولعب على ظهره فقال جبريل يا محمد ان أمتك ستفتن بعلي ويقتل ابنك هذا من بعدك ومديده فأنابه بترية بيضاء وقال في هذه الارض يقتل ابنك اسمها الطف فلما ذهب جبريل خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى أصحابه والتوبة في يده وفيهم أبو بكر وعمر ورو علي وحذيفة وعمار وأبو ذر وهو يبكي فقالوا ما يبكيك يا رسول الله فقال أخبرني جبريل أن ابني الحسين يقتل بعدى بأرض الطف وجاءني بهذه التربة فأخبرني أن فيها مضجعه ~~يؤمن~~ ومن انذاره صلى الله تعالى عليه وسلم ~~لم~~ ان الحجاج لما قتل عبد الله بن الزبير دخل على أمه أسماء بنت أبي بكر فقال لها ان أمير المؤمنين أوصاني بك فهل لك من حاجة قالت مالي من حاجة ولكن انتظر حتى أحدثك شيئا سمعته من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يقول يخرج من ثقيف كذاب ومبير أما الكذاب فقد رأيته تعني المختار وأما المبير فانت فقال الحجاج أنا مبير المذافقين ~~يؤمن~~ ومن انذاره صلى الله تعالى عليه وسلم ~~لم~~ ما رواه عبد الملك بن عمير قال قال معاوية رضي الله تعالى عنه والله ما جئني على الخـ لافاة الا قول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لي يا معاوية ان وليت فأحسن ~~يؤمن~~ ومن انذاره صلى الله تعالى عليه وسلم ~~لم~~ ما رواه عبد الله بن عباس عن أبيه ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم نظر اليه مقبلا فقال هذا عي أبو الخلفاء الاربعين أجود قريش كفا وان من ولده السفاح والمنصور والمهدي يا عبي ففتح الله هذا الامر وبرجل من ولدك يختم الى كثير من تظار هذا

(الباب الثالث عشر في معجزه صلى الله تعالى عليه وسلم بما ظهر من البهائم)

اذا كان الامام غازي قالا عادة لم يمتنع فيه ظهور ما خالفها واذا كانت البهائم مسلوطة

الا فهام مفعودة الكلام فليس بمستنكر اذا اراد الله تعالى به اظهار معجزات
 يعطيها من المعرفة ان تنطق بما ألهمها وتخبر بما أعلمها ثم ساءلها ذلك فترد الى
 طبعها كما حصل في الشجرة كلاما معه موسى وفي العصا ان صارت حية تسعى
 لتكون من باهر الايات وقاهر المعجزات ^{في} من آياته صلى الله تعالى عليه وسلم ^{في}
 ان رجلا كان في غنمه يرعاها فاعقلها ساعة من نهاره فخالفه ذئب فاخذ منها شاة
 فاقبل يلحف فطرح الذئب الشاة ثم كلمه بكلام فصيح فقال ويحك لم تغني رزقا
 رزقنيه الله تعالى فجعل أهابان يصفق بيديه ويقول تالله ما رأيت كاليوم ذئب
 يتكلم فقال الذئب انتم عجب وفي شأنكم عبرة هذا محمد يدعو الى الحق بطن مكة
 وانتم لاهون عنه فهدي الرجل لرشده واقبل حتى أسلم وحدث القوم بقصته
 وبقي لعقبه شرف يفخرون به على العرب ويقولون منخرهم * أنا ابن مكلم الذئب
^{في} ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم ^{في} ما رواه أبو سعيد الخدري قال بينما راع
 يرعى في الحرة غنما اذ جاء ذئب الى شاة من غنمه فانهزها فحال الراعي بين الذئب
 والشاة فاوقى الذئب على عريضة ذنبه وقال الراعي ألا تتقي الله تحول بيني وبين
 رزق ساقه الله الى فقال الراعي العجب من ذئب يقعي على ذنبه يكامني بكلام
 الانس فقال له الذئب ألا أخذت بك باعجب من هذا هذا رسول الله صلى الله تعالى
 عليه وسلم بين الحرتين يحدث الناس بانباء ما قد سبق فأخذ الراعي الشاة فأتى بها
 المدينة وأتى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فخرج الى الناس فقال للراعي قم فحدثهم
 فقام يحدثهم فقال صدق الراعي وكان اسمه عميرا الطائي فسمى مكلم الذئب ^{في} ومن
 آياته صلى الله تعالى عليه وسلم ^{في} ما روى ابن عمر عن أبيه عمر رضي الله تعالى عنهما
 أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان في محفل من أصحابه اذ جاء اعرابي قد
 صا دضبا وجعله في كفه ليذهب به فيأكله فلما رأى الجماعة قال ما هذا قالوا النبي
 صلى الله تعالى عليه وسلم فجاء يشق الناس وقال واللات والعزى ما أحد أبغض
 الى منك ولولا أن تسميني قومي عجولا لجلت بقتلك فقال عمر رضي الله تعالى عنه
 يا رسول الله دعني أقوم فأقتله فقال يا عمر أعا علمت ان الحليم كاد أن يكون نبيا ثم قال
 لا أصبر ابى ما حملك على ما قلت فقال واللات والعزى لا آمنت أو يؤمن بك هذا

الضرب وأخرج الضرب من كفه فطرحه بين يدي النبي صلى الله تعالى عليه وسلم
فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يا ضرب فاجابه الضرب باسان عربي مبين
يسمعه القوم جميعا البيك وسعديك يازين من ثواني القيامة قال من تعبد قال
الذي في السماء عرشه وفي الارض سلطانه وفي الجنة رحمة وفي النار عقابه قال
فمن أنا يا ضرب قال رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد أفلح من صدقك
وقد خاب من كذبتك فقال الاعرابي لا تبسع أثرا بعد عين والله لقد جئتكم وما على
ظهر الارض أحد أبغض الي منكم وانك اليوم أحب الي من نفسي ومن والدي
واني لا أحبك بداخلي وخارجي ومن ترى وعلا نيتي أشهد أن لا إله الا الله وأنت محمد
رسول الله فقال صلى الله تعالى عليه وسلم الحمد لله الذي هدانا لهذا ان هذا الدين يعلمو
ولا يعلمي فرجع الاعرابي الى قومه فأخبرهم بالقصة وكل من بنى سليم فأتى رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم ألف انسان منهم فأمرهم أن يكونوا تحت راية خالد
ابن الوليد رجة الله عليه ولم يؤمن من العرب ألف في وقت واحد غيرهم يوم من
آياته صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ما رواه أنس بن مالك قال دخل رسول الله صلى
الله عليه وسلم حائط الانصار ومعه أبو بكر رضى الله تعالى عنه وفي الحائط عنز
فصعدت له فقال أبو بكر يا رسول الله كنا نحن أحق بالسجود لك من هذه العنز
فقال انه لا ينبغي أن يسجد أحد لا حول لو كان ينبغي أن يسجد أحد لا حول لا حول
المرأة أن تسجد لزوجها يوم من آياته صلى الله تعالى عليه وسلم ثم ما رواه عبد الله
ابن أبي أوفى قال بينما نحن قعود عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اذا تأهأت
فقال يا رسول الله ناضح بنى فلان قد دبر عليهم قال فنهض ونهضنا معه فقلنا يا رسول
الله لا تقرب به فاننا نخافه عليك فدنا من البعير فلما رآه البعير يسجد له فوضع يده على
رأس البعير وقال هات السكبان فوضعه في رأسه وأوصى به خيرا يوم من آياته صلى
الله تعالى عليه وسلم ثم ما رواه جبير بن مطعم قال كنا جلوسا عند مصم لنا قبل أن
يبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بشهر ففخرنا جزورا فسمعنا صائحا يصيح
اسمعوا الى العجب ذهب استراق السمع انبي بكمه اسمعوا أحدمهاجر الى يثرب فكان
هذا من الآيات المنذرة والآثار المبشرة يوم من آياته صلى الله تعالى عليه

وسلم ﷺ أنه بينما هو جالس في أصحابه اذ هو يجمل قد أقبل له رغاء فوقف فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أندرون ما يقول هذا انه ليقول اني لا آل فلان الحى من الخرزج استعملوني وكذوني حتى كبرت وضعفت فلما لم يجدوا في حيلة يريدون ذبحي فأنا أستغيث بك منهم فأوقته رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وبعث اليهم فاستوهبه منهم فوهبوه له وخلاه في الحى ومن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم ما رواه برد عن مكحول قال بينما أهل دريخ من عرب اليمن في مجلسهم اذ أقبل عجل وسلم فسألهم وقال أهل دريخ أمر نجيح بطن مكة يصيح بالسان فضيح بشهادة أن لا إله الا الله فأجيبوه وقال وفيه نزل قول الله تعالى ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنوا (فان قيل) فيجوز أن يكون ما سمع من كلام البهاثم كالصدي يحكى كلام المتكلم فيظنه السامع كلام الصدى وهو كلام المتكلم ويكون ذلك بقوة يحدثه الله تعالى في المنتهى لذلك يخفى عن السامع والابصار فعنه جوابان أحدهما ان الصدى يحكى كلاما مسموعا اذا قبله قبل صوته فكاه وليس كلام البهية مقابلا لكلام يحكى به فامتنع التشاكل والثانى ان القوة المهيأة لذلك ليست من جنس قوى البشر فلا يكون في التفاضل اعجاز وانما هي خارجة عن جنس قواهم فخرج عن قدرتهم وما خرج عن قدرة البشر كان معجزا الوصح هذا الاعتراض لبطل به الاعتراض

(الباب الرابع عشر في ظهور معجزه صلى الله تعالى عليه وسلم من الشجر والجماد)

ولئن كانت المعارف من الجمادات أبعدا والكلام منها أغرب فليس يستبعد ولا مستغرب أن يحدث الله تعالى فيها من الآيات الخارجة عن العادة ما يحجج الله تعالى به من استبصر ويعتبه من استنصر يؤمن آياته صلى الله تعالى عليه وسلم ما حكاه أهل النقل عن علي بن أبي طالب كرم الله تعالى وجهه أنه خطب على الناس خطبته المعروفة بالناصحة فقال فيها الحمد لله الذى هو العالم بمضمرة القلوب ومحجوبات الغيوب أيها الناس اتقوا الله ولا تكونوا النعمه عليكم أضدادا ولا لنفضله عندكم حسادا ولا تطيعوا أساس الفسوق وأجلاس

العقوق فان الله تعالى يختبر عباده المستكبرين في انفسهم باولياته المستضعفين
 في أعينهم ألا ترون انه اختبر الاولين من لدن آدم الى الآخرين من هذا
 العالم بانواع الشدائد وتعبدتهم بألوان المجاهد ليجعل ذلك أبوابا فتحا الى فضله
 وأسبابا للدلالة عليه فاحذروا ما نزل بالامم قبلكم من المثلالات بسوء الافعال
 وذمهم الاعمال أن تكونوا أمثالهم فلقد ضلوا على أحوال مضطربة وأيد
 مختلفة وجماعة متفرقة في بلاء أزل ولطابق جهل من بنات موودة وأصنام
 معبودة وأرحام مقطوعة وغارات مشنونة فانظروا الى مواقع نعم الله عليهم
 حين بعث اليهم رسولا كيف نشرت النعمة عليهم جناح كرامتها وأسالت لهم
 جداول نعميها فهم يحكم على العالمين وملوك في أطراف الارضين بما يكون
 الامور على من كان على كها عليهم ويمضون الاحكام على من كان على كها فيهم
 ولقد كنت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقد أتاه الملائكة من قريش
 فقالوا يا محمد انك قد ادعيت عظيم المبدء آياؤك ولا أحد من أهل بيتك ونحن
 نسألك أمر ان أجبتنا اليه وأرئيتنا علمنا أنك نبي ورسول وان لم تنعل علمنا أنك
 ساحر كذاب قال لهم وما نسألون قالوا ندعولنا هذه الشجرة حتى تنقلع بعروقها
 وتقف بين يديك فقال صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله على كل شئ قدير فان فعل
 الله ذلك أنكم أتؤمنون وتشهدون بالحق قالوا نعم قل فاني سأريكم ما تطالبون
 واني لأعلم انكم لا تقيمون الى خير ولبن منكم من يطرح في القليب ومن يحزب
 الاخراب ثم قال يا أيها الشجرة ان كنت تؤمنين بالله واليوم الآخر وتعلمين اني
 رسول الله فانقلعي بعروقك حتى تقفي بين يدي بأذن الله تعالى قال على رضى الله
 تعالى عنه فوالذي بعثه بالحق لا نقلعت بعروقها وجاءت ولها دوى شديد وقصف
 كقصيف أجنحة الطير حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
 مرفرفة وألقت بعضها الاعلى عليه وبيعض أغصانها على منكبي وكنت عن
 يمينه فلما نظر القوم الى ذلك قالوا علوا واستكبارا فخرها فليأتك نصيبها وينقي
 نصيبها فامرها بذلك فقبل نصيبها كما عجب اقبال وأشده دوياف كادت تلتف
 برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا اكفرا وعثوا فخر هذا النصف فليرجع الى نصيبه

كما كان فأمره فرجع فتأت أنالايه الا الله فانا أول مؤمن بك يا رسول الله وأول
من أقربان الشجرة مرة فعلت ما فعلت بأمر الله تعالى تصديقاً بالنبوتك واجبالا
لكامتك فقال القوم كلهم بل ساحر كذاب عجيب السحر خفيف فيه وهل
يصدقك في أمرك هذا الا مثل هذا يعنوثنى وهذا حكاية خطيباً على الاشهاد
وقلى أن يخلو جمع مثله ممن يعرف حق ذلك من باطله فكانوا بالموافقة تجمعين على
صحته ولولاه لظهر الرثوان ندر وهذا من أبلغ آية وأظهر اعجاز له وهو من آياته
صلى الله تعالى عليه وسلم. ما رواه محمد بن بريدة عن أبيه قال جاء أعرابي الى
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال يا محمد هل من آية فيماتدعو اليه قال نعم
اثبت تلك الشجرة فقل لها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يدعوك فإلت عن
يمينها ويسارها وبين يديها فتقطع عروقها ثم جاءت تحت الأرض حتى وقفت
بين يديه فقال الأعرابي مرها لترجع الى منبتها فأمرها فرجعت الى منبتها فقال
الأعرابي ائذن لي أسجد لك فقال لو أمرت أحدا أن يسجد لأحد لا أمرت المرأة أن
تسجد لزوجها قال فائذن لي أن أقبل يديك ورجليك فاذن له وهو من آياته صلى الله
تعالى عليه وسلم. ما رواه يعلى بن شبابة قال كنت مع رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم في مسير فأراد أن يقضى حاجته فأمروديتين فأنضمت احدهما الى الاخرى
ثم أمرهما بدقضاء حاجته أن يرجعا الى منبتهما فارجعتا وهو من آياته صلى الله
تعالى عليه وسلم. ما رواه علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه قال كنا مع رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم في مكة فخرج في بعض نواحيها فاستقبله شجرو ولا
جبل الا قال السلام عليكم يا رسول الله وهو من آياته صلى الله تعالى عليه وسلم. انه
متر في غزوة الطائف في كثيف من طلع فشى وهو وسن من النوم فاعترضته
سدرة فانفجرت السدرة له بنصفين فخر بين نصفيهما وبقيت السدرة منفرجة على
ساقين الى قريب من أعصا رنا هذه وكانت معروفة بذلك في مكانها يتبرك بها كل
مار ويسموناه سدره النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو من آياته صلى الله تعالى
عليه وسلم. ما رواه سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال صعد النبي
صلى الله تعالى عليه وسلم حراء ومعه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن والزبير

وطلحة وسعيد فتحرك الجبل فقال انبي صلى الله تعالى عليه وسلم اسكن حرافيس
 عليك الانبي اوصديق اوشهيد فسكر الجبل **وومن آياته صلى الى الله تعالى عليه**
 وسلم **لم يكره** مارواه جابر بن عبد الله قال كان في رسول الله صلى الى الله تعالى عليه وسلم
 خصال لم يكن يمر في طريق فيتبعه أحد الا عرف انه قد سلمه من طيب عرفه
 ولم يكن يمر بجحر ولا شجر الا سبحانه **وومن آياته صلى الى الله تعالى عليه وسلم** **لم يكره** مارواه
 ثابت عن أنس قال كنا عند رسول الله صلى الى الله تعالى عليه وسلم لم فأخذ كنانا من
 حصا فسجن في يده حتى سمعنا التسبيح ثم ضربه في يدي أبي بكر فسجن في يده حتى
 سمعنا التسبيح ثم ضربه في أيدينا فسجن في أيدينا **وومن آياته صلى الى الله تعالى**
 عليه وسلم **لم يكره** مارواه جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الى الله تعالى عليه وسلم
 اني لا عرف حجر من مكة كان يسلم على **وومن آياته صلى الى الله تعالى عليه وسلم** **لم يكره**
 ان عكاشة بن محصن انقطع سيفه بيده يوم بدر فدفع اليه رسول الله صلى الى الله تعالى عليه وسلم
 وسلم قطعة من خشب وقال قاتل بها الكفار يا عكاشة فتحوّلت سيفي في يده فكان
 يقاتل به حتى قتله طليحة في الردة **وومن آياته صلى الى الله تعالى عليه وسلم** **لم يكره** انه كان
 يخطب الى جده كان يستند اليه فلما اتخذ منبر اتحوّل عن الجذع اليه فحن اليه
 الجذع حتى ضمه اليه فسكر **وومن آياته صلى الى الله تعالى عليه وسلم** **لم يكره** ان مكرزا
 العامري أتاه فقال هل عندك من برهان نعرف به انك رسول الله صلى الى الله تعالى عليه وسلم
 عليه وسلم فدعا بتسع حصيات فسجن في يده فسمع نغماتها من جودتها وهذا بلغ
 من احياء عيسى للموتى **وومن آياته صلى الى الله تعالى عليه وسلم** **لم يكره** انه لما حاصر
 الطائف سموا له جذعة فكاه منها الذراع فقالت لا تأكلني فاني مسومة وهذا
 نظير احياء الموتى **وومن آياته صلى الى الله تعالى عليه وسلم** **لم يكره** انه أول ما وحي اليه
 لم يمر بجحر ولا مدر الاسلام عليه بالنبوة وهذا نظير قول الله تعالى لا اوديا جبمال أو بي
 معه والطير **وومن آياته صلى الى الله تعالى عليه وسلم** **لم يكره** مارواه حمزة بن عمرو الاسلمي
 قال نذرنا مع رسول الله صلى الى الله تعالى عليه وسلم لم في ليلة ظلماء فاضاءت أصابعه
وومن آياته صلى الى الله تعالى عليه وسلم **لم يكره** مارواه ابراهيم بن علقمة عن عبد الله بن
 مسعود قال انكم تعدون الآيات عذابا وانا كنا نعدّها على عهد رسول الله صلى الى الله

تعالى عليه وسلم بركة لقد كننا كل مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الطعام
ونحن نسمع تسبيح الطعام (فان قيل) فقد يجوز أن يتخيل ذلك لاناظر كما يتخيل
راكب السفينة سير النخل والشجر * فمنه جوابان أحدهما انه وان تخيل ذلك
راكب السفينة فهو غير متخيل لغيره من قائم وقاعد وهذا متحقق عند كل
مشاهد على اختلاف أحواله والثاني إن ركب السفينة يعلم انه تخيل له غير
معلوم وهذا معلوم غير متخيل (وان قيل) فقد يجوز أن يكون في خواص الجواهر
ما يجذب النخل والشجر كما في خاص حجر المغناطيس أن يجذب الحديد (فعنه)
جوابان أحدهما انه قد علم خاصية حجر المغناطيس وظهور ولم يعلم ذلك في غيره فلم
يوجد ولو كان ذلك موجودا لكان الملوك عليه أقدر ولما كان منه خورافي
خزائنهم كاذخار كل مستغرب ومستظرف ولما زاد دعاء مثله في قلب الايمان
وابطال الحقائق والثاني انه لو كان ذلك لخاصية الجوهر جاذبا كان بظهوره
جاذبا وبإلاقته للنخل والشجر فاعلا ولا ينقل اليه عن غيره وعنه الى غيره وكل هذا
فيه معدوم وان كان في حجر المغناطيس موجودا

(الباب الخامس عشر في بشارت الانبياء عليهم السلام بنبوته
صلى الله تعالى عليه وسلم)

ان الله تعالى عوننا على أوامره واغناء عن نواهيه فكان أنبياء الله تعالى معانين
على تأسيس النبوة بما تقدمه من بشارتها وتبديده من أعلامها وشعارها
ليكون السابق مبشرا ونذيرا واللاحق مصدقا وظهيرا فتدوم بهم طاعة الخلق
وينتظم بهم استمرار الحق وقد تدهمت بشارت من سلم من الانبياء بنبوة محمد
صلى الله تعالى عليه وسلم بما هو حجة على أممهم ومعجزة تدل على صدقه عند غيرهم
بما أطلعه الله تعالى على غيبه ليكون عوننا للرسول وحناء على القبول في ذلك
بشارت موسى عليه السلام في التوراة بما أولها في الفصل التاسع من السفر الاول لما
هربت هاجر من سارة تراى لها ملاك وقال يا هاجر أمة سارة ارجعي الى سيدتك
فاخضعي لها فان الله سيكثر زرعك وذريتك حتى لا يحصون كثرة وهما أنت تحبلين
وتلدن ابنا وتسميه اسمعيل لان الله تعالى قد سمع خشوعك وهو يكون عين الناس

وتكون يده فوق الجميع ويد الجميع هبسوطة اليه بالخضوع) وهذا الم يكن في ولد
 اسمعيل الارسل الله صلى الله تعالى عليه وسلم لانهم كانوا قبله مقهورين فصاروا به
 قاهرين * ومنها قوله في هذا السفر لابراهيم حين دعاه في اسمعيل (وباركت عليه
 وكثرته وعظمته جدا جدا وسيلد اثني عشر عظيما واجعله لامة عظيمة) وليس في
 ولد اسمعيل من جعله لامة عظيمة غير محمد صلى الله تعالى عليه وسلم * ومنها في الفصل
 الحادي عشر من السفر الخامس عن موسى عليه السلام (ان الرب الهكم قال اني
 اقيم لهم نبيا مثلك من بين اخوتهم اجعله كالراي علي فقه فليارجل لم يسمع كلامي
 التي يؤتيها عن ذلك الرجل باسمي فانا انتقم منه) ومعلوم ان اخا بني اسرائيل
 هم بنو اسمعيل وليس منهم من ظهر كلام الله تعالى علي فقه غير محمد صلى الله تعالى
 عليه وسلم * ومنها في الفصل العشرين من هذا السفر (ان الرب جاء من طور سيناء
 واشرق من ساعير واستعلى من جبال فاران ومعه عن يمينه ربات جيش
 القديسين فتحهم الى الشعوب ودعا الجميع قديسين به بالبركة) فبحي الله تعالى من
 طور سيناء هو انزاله التوراة علي موسى واشراقة من سباء يرازاله الانجيل علي
 عيسى لانه كان سكن في ساعير ارض الخليل في قرية ناصره واستعلاؤه من جبال
 فاران انزاله القرآن علي محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وفاران هي جبال مكة في
 قول الجميع فاننا كروا كان دفع الماني التوراة ولانه لم يستعمل الدين كاستعلائه
 منها فاندفع الانكار بالبيان

(فصل من البشائر به) كان بين موسى وعيسى من الانبياء الذين اوتوا الكتاب
 باتفاق اهل الكتابين عليهم ستة عشر نبيا ظهرت كتبهم في بني اسرائيل فبشر كثير
 منهم بنبوته محمد صلى الله تعالى عليه وسلم * فمنهم شعبان اموص قال في الفصل الثاني
 والعشرين (قومي فازهري مصباحك) يعني مكة (فقد دنا وقتك وكرامة الله طالمة
 عليك فقد تجال الارض الظلام وغطى على الامم الضباب والرب يشرق عليك
 اشراقا ويظهر كرامته عليك فتسير الامم الي نورك والملوك الي ضوء طلعك
 ارفعني بعرك الي ما حولك وتأملني فانهم يسبحون عندك ويحجونك
 ويأتونك ولدك من بلد بعيد وتسيرين وتبتهجين من اجل انه يميل اليك ذخائر

البحر ويحج اليك عسا كرا الام حتى تعمرك الابل المؤبلة وتضيق أرضك
 عن القطرات التي تجمع اليك ويساق اليك كباش مدين ويأتبك أهل سبا
 يحدون بنعم الله ويمجدونه وتسير اليك أغنام قاذار) يعني غنم العرب لانهم من
 ولد قاذار بن اسمعيل (ويرتفع الى مديحي ما يرضيني وأحدث حينئذ لبيت محمد
 جدا) وهذه الصفات كلها موجودة بمكة فكان مادعا اليها هو الحق ومن قام بها
 هو الحق * وفي فصل آخر من كتابه (قال لي الرب قامض فأقم على المنطرة تخبرك
 بما ترى فرأى راكبين أحدهما راكب حمار) يعني عيسى (والآخر راكب جلا)
 يعني محمدا (فبينما هو كذلك اذا قبل أحدا راكبين وهو يقول هوت بابل وتكسرت
 آلهتها المنجورة على الارض فهذا الذي سمعت الرب إليه اسرائيل قد أنبأتم) وفي
 الفصل السادس عشر منه (لتنزع أرض البادية العطشى جنتها حج البراري
 والقلوات ولتسرو تزهو مثل الوعل فانها ستعطى باحسان لمحاسن لبنان ويكمل
 حسن الدسا كروالرياض وسترون جلال الله تعالى بها) قال شعيا واسطاطانه على
 كتفه يريد علامة نبوته على كتفه * وهذه صفة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وبادية
 الحجاز * وفي الفصل التاسع عشر منه (هتفها تنف من البدو فقال خلوا الطريق
 للرب وسهلوا سبيل المنافي القفر قستملى الاودية مياها وتفيض فيضا
 وتخفض الجبال والروابي انخفاضا وتصير الاكام دكا دكا والارض الوعرة منذلة
 ملسا وتظهر كرامات الرب ويراه كل أحد) وفي الفصل العشرين منه وهو
 مذكور في ثلاث وخمسين ومائة من مرامير داود (لترتاح البوادي وقراها ولنصير
 أرض قاذار مر وجاويس جميع سكان الكهوف وليتم تقوا من قلال الجبال بمحمد
 الرب وليرفعوا نسابحه فان الرب يأتي كالجبار الملتطى المتكبر وهو يزحزح ويقتل
 أعداءه وأرض قاذار هي أرض العرب لانهم ولد قاذار والمروج ما صار حول
 مكة من النخل والشجر والعيون * وفي الفصل الحادي والعشرين منه أيضا (ان
 الضعفاء والمساكين يستسقون ماء ولا ماء لهم فقد جفت ألسنتهم من الظمأ
 وأنا الرب أجيب يومئذ دعوتهم ولن أهملهم بل أجفر لهم في الجبال الانهار وأجرى
 بين القفار العيون وأحدث في البدو أجساما وأجرى في الارض العطشى ماء

معينا وأنبت في البلاقع القفار الصثور والاس والزيتون وأغرس في القاع
الصفصاف البرليروها جميعا ثم يتدبروا ويعلموا ان يد الله صنعت ذلك وقدوس
اسرائيل ابتهدعه (وهذه صفات بلاد العرب) فيما أحدث الله تعالى لهم فيها
باسلامهم

(فصل ومن بشارتو نوال بن نوتال من أنبياء بني اسرائيل) (ومثل الصبح المساط
على الجبال شعب عظيم يم عزيز لم يكن مثله قط ولا يكون بعده مثله الى ابد الابد
أمامه نال تتأجج وخلفه لهيب وتاتهب الارض بين يديه مثل فردوس عدن فاذا
جاز فيها وعبرها تراكها برية خاوية زوينة كروية الجبل رجالته فرسراع مثل
الفرسان أصواتهم كصوت لهب النار الذي يحرق الهشيم رجفت الارض
أمامهم وترعزت السماء وأظلمت الشمس وغاب نور المنجوم والرب أسمع صوتا
بين يدي أجناده لان عسكره كثير جدا وعمل قوله عزيز لان نور الرب عظيم
سرهوب جدا) وهذا نعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

(فصل من بشارتو عويديا من أنبياء بني اسرائيل) وفي كتابه (قد سمعنا خبرا من
قبل الرب وأرسل رسولا الى الشعوب ثم يتقدم اليه بالحرب أيها الساكن في
بحر الكهف ومحمد في الموضع الاعلى لان يوم الرب قريب من جميع الشعوب)
فهذا امر موز في نبوته

(فصل من بشارتو ميخاء من أنبياء بني اسرائيل في كتابه) (فاما الآن فسيستسلم
الى الوقت الذي تلد فيه الوالدة ويقوم فيرعاهم) يعني الرب (وبكرامة اسم الله ربه
ويقبلون بهم الى من سيعظم سلطانه الى أقطار الارض ويكون على عهده الاسلام)
(فصل من بشارتو حبقوق من أنبياء بني اسرائيل) (جاء الله من طور سيناء
واسمعت اهل القديس من جبال فاران وانكسفت لهما محمد وانخسفت من شعاع
المجود وامتلائت الارض من محامده لان شعاع منظره مثل النور يحفظ بلده
بعده وتسير المنيا أمامه وتحجب سباع الطير أجناده قام فسخ الارض وقابل
الامم وبحث عنهم فتصفه صفت الجبال القديمة واتضعت الروابي الدهرية وترعزع
سور أرض مدين ولقد جاز المساعي القديمة قطع الرأس من حب الاثيم ودمغت

رؤس - لا طينه بعضه) ومعلوم ان محمداً واحمد ومحمود اصريح في اسمه وهما يتوجهان الى من انطلق عليه اسم الحمد وهو بالسريانية موشيحاً أي محمداً ومحمود ولذا اذا اراد السرياني أن يحمده الله تعالى قال شريحاً لالهنا

(فصل من بشارت خزيال من أنبياء بني اسرائيل) في كتابه (ان الذي يظهر من البادية فيكون فيه خنف اليهود كالكرمة أخرجت ثمارها وأغصانها عن مياه كثيرة وتفرعت منها أغصان مشرقة على أغصان الاكابر والسادات وبسقت فلم تلبث تلك الكرمة ان قامت بالسحطة وضرب بها على الارض فأخرجت ثمارها وأتت نارفاً كل هذا كذلك غرس غرس في البادية وفي الارض المهيمة المعطلة المطشي وخرج من أغصانه الفاضلة نارفاً كلت ثمار تلك حتى لم يبق منها عصا قوية ولا قضيب ينض بأمر السلطان

(فصل من بشارت يرفينا من أنبياء بني اسرائيل) في كتابه أيها الناس ترجوا اليوم الذي أقوم فيه للشهادة فقد حان أن أظهر حكمي بحشر الامم وجميع الملوك لأصب عليهم سخطي وتكبري هناك أجد دلالة اللغة المختارة ليرفعوا اسم الرب جميعاً وليعبدوه في ربة واحدة معا وليأتون بالذبايح من مغاراتها تكون) ومعلوم ان اللغة العربية هي المختارة لانها طبقت الارض وانتقلت أكثر اللغات اليها حتى صار ما عداها نادراً

(فصل من بشارت زكريا بن يوحنا من أنبياء بني اسرائيل) في كتابه (رجع الملك الذي ينطق على لساني وأيقظني كالرجل الذي يستيقظ من نومه وقال لي ما الذي رأيت فقلت منارة من ذهب وكنة على رأسها ورأيت على الكفة سبعة سراج لكل سراج منها سبعة أفواه وفوق الكنة شجرة تازيتون احداها عن يمين الكفة والاخرى عن يسارها فقلت للملك الذي ينطق على لساني ما هذه يا سيدي فردد الملك علي وقال لي أمانع لم ما هذه فقلت ما أعلم فقال لي هـذا قول الرب في زكريا يا بني محمداً وهويدعوباً مني وأنا أستجيب له للنصح والتطهير وأصرف عن الارض أنبياء الزور والارواح النجسة لا بقوة ولا بعز ولا كن بروحي بقول الرب القوي ويعني بشجرتي الزيتون والدين والملك وزر بابايل هو محمد صلى الله تعالى

عليه وسلم

(فصل من بشائر دانيال من أنبياء بني اسرائيل) في كتابه (رأيت على سحاب السماء المسمى كهية انسان جاء فانتفى الى عتيق الامام وقد دموه بين يديه فخوله الملك والسلطان والكرامة أن تعبد له جميع الشعوب والامم والممغات سلطانه دائم الى الابد له يتعبد كل سلطان ويمضي ألفان وثلاثمائة ينقض عقاب الذنوب يقوم ملك منيع الوجه في سلطانه عزيز القوة لا يكون غوته تلك بقوة نفسه وينجح فيما يريد ويجوز في شعب الاطهار ويملك الاعزاء ويؤتي بالحق الذي لم يزل قبل العالمين) وفيه ذادليل على أمرين أحدهما صدق الخبر بل وجوده على حقه والثاني صحة نبوته لظهور الخير في صحته

(فصل من بشائره في رؤيا مختصر) وهو ان يختصر رأى في السنة الثانية من ملكه رؤيا ارتاع منها ونسيها فاخبر من في ممالكه من الملكة والمنجسين وكان قد ملك الاقاليم السبعة وسألهم عن الرؤيا وتأويلها فقالوا له اذكرها لنا حتى نذكر تأويلها لك فأمر بقتلهم ان لم يذكروها وتأويلها وكان دانيال النبي قد ساء من اليهود فاسمهم في أمرهم ورغب الى الله تعالى في اطلاعه على الرؤيا وتأويلها فاطلمه الله تعالى على ذلك فأتى بختنصر وقال أيها الملك انك كانت هؤلاء مالا يعلمه الا الله وقد رغبت اليه فأطعنى عليه ورؤياك التي رأيتها ان قلبك جاش واختلج بما يحدث بعدك في آخر الزمان فيعرفك مبعدي السراير ما يكون انك أيها الملك رأيت صنما عظيما قائما قبالة لك له منظر رائع رأسه من الذهب الابريز وصدره وذراعا من فضة ونخذه من نحاس وساقاه من حديد وبعض رجليه من حديد وبعضها من خزف ورأيت حجر انقطع من جبل عظيم بغير يد انسان فضرب ذلك الصنم فهشمه حتى صار كل ما دألت به ربح عاصف حتى لم يعرف له مكان ثم عظم الحجر الصلد الذي صدك الصنم حتى صار جبلا عظيما امتلأت منه الارض كلها فهذه الرؤيا وانام عبرها أما الصنم فهم الملوك فأنت الرأس الذهب ويقوم من بعدك من هو دونك ألين منك فأما الممكة الثالثة التي هي مثل النحاس فتسلط على الارض كلها وأما الممكة الرابعة التي هي مثل الحديد فتكون

عزيزة كما ان الحديد يهشم الجميع فكذلك هذه تسحق وتغلب الكل وأما الارجل
والاصابع التي رايت لمن منها من خرف الفخار ومنها من حديد فان المملكة
تكون مختلفة ومتفرقة يكون منها أصل من جوهر الحديد وخلق من خرف
الفخار فيكون بعض المملكة قوي وبعضها لاهيا كسير لا يأتلف ببعضها ببعض
كما يختلط الحديد بالفخار وأما الحجر الواقع من الجبل فان إله السماء يرسل بمملكة
من عنده لانه لم تقطع الحجر يدا نسان في زمان هذه المملكة بل كها ويبقى الى آخر
الدهر ولا يكون لامه أخرى بمملكة ولا سلطان الادقه كما يدق الحجر الحديد والنحاس
والفضة والذهب فمرفك الله العظيم ما يكون بعد ذلك في آخر الايام فهو ذر وياك
وتأويلها * فخر بختنصر على وجهه ساجد الانبيال وقال ان إلهكم هـ ذاهوا إله
الالهة ورب الاملاك حقا وهو مبدى السموات وجعل دانيال رأسا ومؤمرا على
أرض بابل ومعلوم انه لم يرسل الله تعالى سلطانا أزال به المملكة وملائه الارض
ودام له الامر الابنوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم

(فصل من بشارت ارميا بن برخنا من أنبياء بني اسرائيل في أيام بختنصر) لما قتل
أهل الرس نبهم قال ابن عباس أمر الله تعالى أن يأمر بختنصر أن يغزو العرب
الذين لا اغلاق لبيوتهم فيقتلهم بمصنوع وانبهم فأمر وبذلك فدخل بختنصر
بلاد العرب فقتل وسبي حتى انتهى الى تهامة فأتى بمدين عدنان فأمر بقتله فقال له
النبي لا تفعل فان في صلب هـ ذانبياء يعثر في آخر الزمان يختم الله به الانبياء فحلى
سبيله وحمله معه حتى أتى حصونا باليمن فهدمها وقتل أهلها وزوج معدا باجل
امرأة منهم في زمانها وخلفه بتهامة حتى نسل بها قال ابن عباس وفي ذلك نزل قوله
تعالى وكم قصصنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدهم اقواما آخرين

(فصل من بشارت داود في الزبور) سبحانه الذي هيكله الصالحون يفرح
اسرائيل بخالفه وبيوت صيولون من أجل ان الله اصطفى له أئمة وأعطاه النصر
وسدد الصالحين منه بالكرامة يسبحونه على مضاجعهم ويكبرون الله بأصوات
مرتفعة بأيديهم سيوف ذوات شفرتين لينتقموا من الامم الذين لا يعبدونه
يوثقون ملوكهم بالقيود وأشرفهم بالاغلال ومعلوم ان سيوف العرب هي

ذوات الشفرتين ومحمد هو المنتقم بهامن الامم * وفيه ان الله أظهر من صيغون
 اكليلا محمودا وصيغون العرب والا كليل النبوة ومحمد هو محمد صلى الله تعالى
 عليه وسلم * وفي من مور آخر منه انه يجوز من بحر الى بحر ومن لدن الانهار الى
 الانهار الى منقطع الارض وان تخرأهل الجزائر بيريديه على ركبهم وتلحس
 أعداؤه التراب تأتيه الملوك بالقرابين وتسجد وتدين له الامم بالطاعة والانقياد
 لانه يخاص المضطهد البائس ممن هو أقوى منه وينقذ الضعيف الذي لاناصر له
 ويرأف بالضعفاء والمساكين وانه يعطى من ذهب بلاد سبا ويصلى عليه في كل
 وقت ويبارك عليه في كل يوم ويوم ذكره الى الابد * ومعلوم انه لم يكن هذا الحمد
 صلى الله تعالى عليه وسلم * وفي من مور آخر قال داود اللهم ابعث جاعل السنة حتى
 يعلم الناس انه بشر أى ابعث نبيا يعلم الناس أن المسيح بشر لعلم داود ان قوما
 سيدعون في المسيح ما ادعوه وهذا هو محمد صلى الله تعالى عليه وسلم

(فصل من بشارت المسيح به في الانجيل) قال المسيح عليه السلام للحواريين (أنا
 ذاهب وسيأتيكم البارقليط روح الحق الذي لا يتكلم من قبل نفسه الا كما يقال له
 وهو يشهد على وأنتم تشهدون لانكم معي من قبل الناس وكل شيء أعدّه الله لكم
 يخبركم به) وفي نقل يوحنا عنه (ان البارقليط لا يجيئكم مالم أذهب فاذا جاء وبخ
 العالم على الخطيئة ولا يقول من تلقاء نفسه شيئا ولكن كما يسمع به يكلمكم
 ويسوسكم بالحق ويخبركم بالحوادث والغيوب * وفي نقل آخر عنه (ان البارقليط
 روح الحق الذي يرسله باسمي هو يعلمكم كل شيء اني سائل أن يبعث اليكم بارقليط
 آخر يكون معكم الى الابد وهو يعلمكم كل شيء) وفي نقل آخر عنه (ان البشير ذاهب
 والبارقليط بعده يحييكم الاسرار ويقيم لكم كل شيء وهو يشهد لي كما شهدت له
 فاني لاجيئكم بالامثال وهو يأتيكم بالتأويل) والبارقليط بلانتم لفظ من الحمد
 وقد قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وأنا أحمد وأنا محمود وأنا محمد (فهذه من بشارت
 الانبياء) عن الكتب الالهية المتناصرة بصحة نبوته المتواترة الاخبار بانتشار
 دعوته وتأيد شريعته ولعل مالم يصل اليها منها أكثر ففهم من عينه باسمه

ومنهم من ذكره بصفته ومنهم من عزاه الى قومه ومنهم من اضافه الى بلده
 ومنهم من خصه بافعاله ومنهم من ميزه بظهوره وانتشاره وقد حقق الله تعالى
 جميعها فيه حتى صار جليلا بعد الاحتمال ويقينا بعد الارتياب (فان قيل) مجيء
 الانبياء موضوع لمصالح الدائم وهم مأثورون بالرأفة والرحمة ومحمد جاء بالسيف
 وسفك الدماء وقتل النفوس فصار منافي لما جاء به موسى وعيسى فزال عن
 حكمهما في النبوة لمخالفتهم في السيرة فعنه ثلاثة أجوبة أحدها ان الله تعالى
 بعث كل نبي بحسب زمانه فمنهم من بعثه بالسيف لان السيف أنجع ومنهم من
 بعثه باللطف لان اللطف أنفع كما خالف بين مجزاتهم بحسب أزمانهم فبعث
 موسى بالعصا في زمان السحر وبعث عيسى باحياء الموتى في زمان الطب وبعث
 محمد بالقرآن في زمان الفصاحة لان الناس في بدء أمرهم يتعاطفون مع القليلة
 ثم يتنافرون ويتحاسدون مع الكثرة ولذلك قال رسول الله صلى الله تعالى عليه
 وسلم نجبا أول هذه الامة باليقين والزهديم لك آخرها بالبخل والامل والجواب
 الثاني ان السيف اذا كان لطلب الحق كان خيرا واللطف اذا كان مع اقرار الباطل
 كان شرا لان الشرع موضوع لاقرار الفضائل الالهية والحقوق الدينية ولذلك
 جاء الشرع بالقتل والحدود ليس تقربه الخير وينتفي به الشر لان النفوس الاشارة
 لا يكفها الا الرهبة فكان القهر لها أبلغ في انقيادها من الرغبة وكانت العرب أكثر
 الناس شرا وعتوا لكثرة عددهم وقوة شجاعتهم فذلك كان السيف فيهم أنفع
 من اللطف والجواب الثالث أنه لم يكن في جهاده بالسيف بدعا من الرسل ولا أول
 من أنخن في أعداء الله تعالى وقبل هذا ابراهيم عليه السلام جاهد الملوك الاربعة
 الذين ساروا الى بلاد الجزيرة للغزاة على أهلها وحاربهم حتى هزمهم بأحزابه
 وأتباعه وهذا يوشع بن نون قتل نيفا وثلاثين ملكا من ملوك الشام وأباد من
 مدنها ما لم يبق له أثر ولا من أهلها ما صفر من غير أن يدعوهم الى دين أو يطلب
 منهم اتاوة وساق الغنائم وغزاد اود من بلاد الشام ما لم يدع فيها رجلا ولا امرأة
 الا قتلهم وهو موجود في كتبهم ومحمد صلى الله تعالى عليه وسلم بدأ بالاستدعاء
 وحارب بعد الالباء روى ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضي الله تعالى عنها

قالت ما رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم منتصرا من مظلمة ظلمها قاط
 ما لم ينتهك من محارم الله تعالى شيء فاذا انتهك من محارم الله تعالى شيء كان أشدهم
 في ذلك غضبا وما خير بين أمرين الا اختار أيسرهما ما لم يكن مأثما وقد كان
 صلى الله تعالى عليه وسلم أحث الناس على الصلح والتعاطف روى أسيد بن عبد
 الرحمن عن فروة بن مجاهد عن عتبة بن عامر قال لقيت رسول الله صلى الله تعالى
 عليه وسلم فقال لي يا عتبة صل من قطعك وامن من حرمك واعف عن ظلمك
 فهل يكون أخنى على الخلق ممن يأمرهم بمثل هذا وانما تطلبت المصلحة بمثل هذا
 الاعتراض القدح في النبوات فانهم لم يعفوا نبيا من القدح في معجزاته والطعن
 على سيرته حتى قال منهم في عصرنا ما طعن به على موسى وعيسى ومحمد صلى الله
 تعالى وسلم عليهم بشعر نظمه فقال

وفالقي البحر لم يفاق جوانبه * اذ ضاع فيه ضياع الحرف في السفل
 ومدع يدعي الاشياء خلقته * مما باله زال والاشياء لم تزل
 وآخر يدعي بالسيف حجة * هل حجة السيف الا حجة البطل
 فخرني حين وردت هذه الابيات الى بعض أهل العلم فاجاب عنها فقال
 قل للذي جاء بالكذب للرسول * ورد معجزهم بالزيغ والدغل
 وقال في ذلك أيبا نافر خرفة * ليوقع الناس في شك من الملل
 ضياع موسى دليل من أدلته * من بعد ما صار فرق البحر كالجلجل
 ليعلم الناس أن الله فالقه * وان موسى ضعيف تاه في السبل
 والمجمل الحق في فلق المياه له * وجهه له البر ما يحتاط بالحيل
 وابن البتول فان الله نزهه * عما ذكر من الدعوى على الجمل
 ما كان منه سوى طريقتي * طيننا وربى أحياء ولم يزل
 وقال اني باذن الله فاعله * واذن ربي يحيي الخلق لاعمله
 وصاحب السيف كان السيف حجة * بعد البيان عن الإعجاز والمثل
 وجاء مبتديا بالنصح مجتهدا * بمعجزات لها عارت أولو النحل
 منها كتاب مبين نظامه عجب * فيه من الغيب ما أوحى الى الرسل

فأفحم الشعراء المفاقيين به * لما تحمداهم بالرفق في مهمل
 وأنبع الماء عذبا من أنامله * من غير ما صخرة كانت ولا وشل
 وشارف القوم ووافاداه وكله * وقال أنى من قتلى على وجل
 والذئب قد أخبر الراعي ببعثه * فجاء يشهد بالأسلام في عجل
 والجذع حق اليه حين فارقه * حين ذات جوار ساعة الهبل
 وأخبر الناس عما في ضمائرهم * مفصلا بجواب غير محتمل
 ونبا الروم عن نصر يكون لها * من بعد سبعة أعوام على جدل
 والفرس أخبرها عن قتل صاحبها * برويا ذجاءه فيروز في شغل
 وإن تقصيت ما جاء النسيبي به * طال النشيد ولم آمن من المثل

(الباب السادس عشر في هتوف الجن بنبوته صلى الله تعالى عليه وسلم)

والجن من العالم الناطق الميزيا **ك**لون ويتنا ككون ويتناسلون ويعوتون
 وأشخاصهم محبوبة عن الأبصار وإن تميزوا بأفعال وآثار إلا أن يخص الله تعالى
 برؤيتهم من يشاء وانما عرفهم الانس من الكتب الالهية وما تخيلوه من
 آثارهم الخفية قال الله تعالى فيما وصفه من انشاء الخلق ولقد خلقنا الانسان
 من صلصال من حمأ مشنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم يريد بقوله
 ولقد خلقنا الانسان من صلصال آدم أب البشر عليه السلام وفي الصلصال وجهان
 أحدهما انه الطين النبات والثاني انه الطين الذي لم تسمه النار والجمع جاء
 وفيها وجهان أحدهما انه المنسوب القائم فيكون صفة للانسان والثاني انه
 المنسوب فيكون تمييز للجنس وقوله والجان خلقناه من قبل يعنى من قبل آدم
 لان آدم خلق آخر الخلق وفي الجان وجهان أحدهما انه ابليس والثاني انه أبو
 الجن فآدم أبو البشر والجان أبو الجن وابليس أبو الشياطين وفي قوله من نار
 السموم وجهان أحدهما من نار الشمس والثاني نار الصواعق بين السماء وبين
 حجاب دونها فلم يختلفوا في ان الجن يتناسلون ويعوتون ومنهم مؤمن ومنهم كافر
 واختلاف في الشياطين فزعم قوم انهم **ك**فار الجن يتناسلون ويعوتون وزعم
 آخرون انهم غير الجن وانهم من ولد ابليس واختلاف من قال به ذافي تناسلهم

وموتهم فذهب فريق الى انهم يتناسلون ويموتون وذهب آخرون الى انهم
 كالبليس لا يموتون الا معه وان تناسلهم انقطع بانظار ابليس الى يوم يبعثون فان
 أنكر قوم خلق الجن ولم يؤمنوا بالكتب الالهية قهرتهم براهين العـقول وحجج
 القياس لان الله تعالى أنشأ خلق العالم من أربعة اجرام جعلها أصولا لخلق من
 العالم الحى وهى الارض والماء والهواء والنار والعالم نوعان اتفاقا لعلوى وسـفلى
 فالعالم السـفلى نوعان خلقهما من جرمين أحدهما من الارض وهو ماء عليها من
 الحيوان والثانى من الماء وهو ما فيه من العموك وهما باطنان لهبوط الارض
 والماء وظاهران لظهور أصلهما واستمر القياس فيهما * وبقي العالم العلوى
 جرمين الهواء والنار وقد استقر خلق الملائكة من الهواء فاقضى معقول
 القياس أن يكون خلق الجن من النار لكون الاجرام الاربعة أصولا لخلق
 أجناس أربعة وعلو الهواء كان عالمه من الملائكة علويا ونحفاؤه كان خنيا
 لا يهبط الا عن أمر الهى ولا يعان الا بعمونة إلهية وعلو النار فى أصلها يهبط
 كان لعالمه من الجن علو وهبوط ونحفاء كما هو خفي عالمها عن العيان الا
 بعمونة إلهية فصار أصلان من الاربعة محسوسين بالعيان وهما على الارض وفى
 الماء وأصلان معقولين بالقياس وهما الملائكة والجن ولولا ان دافع ذلك عادل
 عن الدلائل الشرعية لما عدلنا عنها الى هذا الاستدلال الخارج عن البراهين
 الشرعية

(فصل) فاذا ثبت خلق الجن بما دللنا عليه من شرع ومعقول فهم مكلفون لان
 رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تحداهم بالقرآن بقوله تعالى قل لئن اجتمعت
 الانس والجن على أن يأثابنك هـذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض
 ظهيرا وقال تعالى واذ صرنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن وفى صر فهم
 وجهان * أحدهما أنهم صر فوا عن استراق سمع السماء برجوم الشهب ولم يصرفوا
 عنه بعد عسى الا بعد بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقالوا ما هذا الحادث
 فى السماء الا لحادث فى الارض وتخيلوا به تجديد النبوة فجاؤا الارض حتى وقفوا
 على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ببطن مكة عاكفا وهو يصلى

الفجر فاستمعوا القرآن ورأوه كيف يصلى ويقتدى به أصحابه فعملوا أنه لهذا الحادث
 صرفوا عن استراق السمع برجوم الشهب وهذا قول ابن عباس رضى الله تعالى عنه
 * وحيكى عكرمة ان السورة التي كان يقرأها قرأ باسم ربك الذي خلق والوجه
 الثاني أنهم صرفوا عن بلادهم بالتوفيق هـ داية من الله تعالى حتى أتوا بي الله
 بطن نخلة فنزل عليه جبريل بهذه الآية وأخبره بوفود الجن وأمره بالخروج اليهم
 فخرج ومعه ابن مسعود حتى جاء الجحون عند شعب أبي ذر قال ابن مسعود فخط
 على خطا وقال لا تجارزه ومضى الى الجحون فانحدر واعليه أمثال الخجل حتى لم أره
 فعلى الوجه الاول لم يعلم بهم حتى أتوه وعلى الوجه الثاني أعلمه جبريل قبل آتيانهم
 واختاف أهل العلم في رؤيته لهم وقراءته عليهم فحكى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس
 أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يقرأ عليهم وإنما سمعوا قراءته حين
 مروا به مصليا * وحيكى عن ابن مسعود أنه رآهم وقرأ عليهم القرآن وفي قوله فلما
 حضروه قالوا أنصتوا وجهان أحدهما فلما حضروا قراءته القرآن قالوا أنصتوا
 لسماعه والوجه الثاني فلما حضروا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قالوا
 أنصتوا لسماع قوله فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين وفيه وجهان أحدهما فلما
 فرغ من الصلاة ولوا الى قومهم منذرين به والثاني لما فرغ من قراءته القرآن
 ولوا الى قومهم منذرين وقالوا ما حكاه الله تعالى عنهم أنا سمعنا قرآنا عجبا في
 فصاحته وبلاغته والثاني عجبا في حسن مواعظه * وفي قوله يهدي الى الرشـد
 فامنا به وجهان أحدهما الى مرشد الامور والثاني الى معرفة الله تعالى فثبت
 ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان عام الرسالة الى الانس والجن فلم يختلف
 أهل العلم انه يجوز أن يبعث اليهم رسولا من الانس واختلفوا في جواز بعثة
 رسول منهم فجوزوه قوم لقول الله تعالى يامعشر الجن والانس أليأتكم رسل منكم
 ومنع آخرون منه وهذا قول من جعلهم من ولد ابليس وحملوا قوله أليأتكم رسل
 منكم على الذين لما سمعوا القرآن ولوا الى قومهم منذرين فاما كفارهم فيدخلون
 النار وأما مؤمنوهم فقد اختلفوا في دخولهم الجنة ثوابا على ايمانهم فقال الضحالك
 ومن جوز أن يكون رسالهم منهم يدخلون الجنة وحي سفيان عن ليث أنهم

يثابون على الايمان بان يجازوا على النار خلاصا منها ثم يقال لهم كونوا ترابا كالبهائم
 * فاما استراقهم للسمع فقد كانوا في الجاهلية قبل بعث الرسول يسترقونه ولذلك
 كانت الكهانة في الانس لالقاء الجن اليهم ما استرقوه من السمع في مقاعد كانت
 لهم يقربون فيها من السماء كما قال الله تعالى وانا كننا نعد لهم مقاعد للسمع
 ليستمعوا من الملائكة اخبار السماء فيلقونها الى الكهنة فن يسمع الا ان يجده
 شهابا رصدا يعني بالشهب الكواكب المحرقة وبالرصد الملائكة فاما استراقهم
 للسمع بعد بعث الرسول فقد اختلف فيه اهل العلم على قوانين أحدهما أنه زال
 استراقهم للسمع ولذلك زالت الكهانة والثاني ان استراقهم باق بعد بعث الرسول
 وكان قبل عمل الرسول لا تأخذهم الشهب لقول الله تعالى فن يسمع الا ان يجده
 شهابا رصدا والذي يستمعونه اخبار الارض دون الوحي لان الله تعالى قد حفظ
 وحيه منهم لقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون واختلف على هذا
 في أخذ الشهب لهم هل يكون قبل استراقهم للسمع أو بعده فذهب بعض اهل
 العلم الى ان الشهب تأخذهم قبل استراق السمع حتى لا يصل اليهم لانقطاع
 الكهانة بهم وتكون الشهب منعاعن استراقه * وذهب آخرون منهم الى ان
 الشهب تأخذهم بعد استراقه وتكون الشهب عقابا على استراقه * وفيها اذا
 أخذتهم قولان أحدهما انها تقتلهم ولذلك انقطعت الكهانة بهم والثاني انها
 تجرح وتحرق ولا تقتل ولذلك عاد والاستراق بعد الاحتراق ولولا بقاؤهم لانقطع
 الاستراق بعد الاحتراق ويكون ما يقونه من السمع الى الجن دون الانس
 لانقطاع الكهانة عن الانس وفي الشهاب الذي يأخذهم قولان أحدهما
 انه نور يمتد لشدة ضيائه ثم يعود والقول الثاني انه نار تحرقهم ولا تعود فهو هذا
 خطب الجن فيما هم عليه من نعت وحكم

(فصل) فاما هتوفهم برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فهو من آيات
 نبوته فان كان قبل مبعثه كان من نذر آياته الصادرة عن الهام فن هتوفهم بنبوته
 ما حكاه ابراهيم بن سلامة عن اسمعيل بن زياد عن ابن جريج عن ابن عباس رضي
 الله عنهما أنه كان يحدث عن رجل من خثعم قال كانت خثعم لا تحبل حلالا ولا

تحرم حراما وكانت تعبد أصناما فينا نحن عند صنم منها ذات ليلة فتقاضى اليه في
أمر قد شجر بيننا اذ صاح من جوف الصنم صائح يقول
يا أيها الركب ذوو الأحكام * ما أنتم وطائش الاحلام
ومسند والحكم الى الاصنام
هـ ذاني سيد الانام * يصدع بالحق وبالإسلام
أعدل ذي حكم من الأحكام
ويتبع النور على الاظلام * سبري معان في البلد الحرام
قد طهر الناس من الآثام

قال الخثعمي ففرغنا منه وخرجت الى مكة وأسلمت مع النبي صلى الله تعالى عليه
وسلم وهو من بشارته هتوفهم ما رواه عثمان بن عبد الرحمن عن محمد بن كعب قال
بينما عمر بن الخطاب رضوان الله عليه ذات يوم جالسا اذ مر به رجل فقيل له أتعرف
هذا المار يا أمير المؤمنين قال ومن هو قالوا هذا سواد بن قارب رجل من أهل
اليمن وكان له رثى من الجن فأسل اليه عمر فقال أنت سواد بن قارب قال نعم يا أمير
المؤمنين فقال أنت الذي أتاك رثيك بظهور النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال نعم
يا أمير المؤمنين بيننا أنا ذات ليلة بين انائم واليقظان اذ أتاني رثى من الجن فضر بني
برجله وقال قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالي واعقل ان كنت تعقل انه قد بعث
رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من لؤي بن غالب يدعو الى الله تعالى والى عبادته
وأنشأ يقول

عجبت للجن وتطـلابها * وشدها العيس باقتابها
تهوى الى مكة تبغى الهدى * ما صادق الجن ككذابها
فارحل الى الصفوة من هاشم * ليس قدامها كاذنابها
فقلت له دعني فاني أمست ناعسا ولم أرفع عما قال رأسا فلما كانت الليلة الثانية
أتاني فضر بني برجله وقال قم يا سواد بن قارب فاسمع مقالي واعقل ان كنت تعقل
انه قد بعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من لؤي بن غالب يدعو الى الله تعالى
والى عبادته وأنشأ يقول

عجبت للبحر وتخبأها * وشدها العيس باكوها
 تهوى الى مكة تبغى الهدى * مامو منو الجن ككفارها
 فارحل الى الصفوة من هاشم * بين روايها وأجارها
 فقلت دعني فقد أمسيت ناعسا ولم أرفع بما قال رأسا فلما كانت الليلة الثالثة
 أتاني فضر بني برجله وقال قم يا سواد بن قارب فانه مع مقالتي وانقل ان كنت تعقل
 قد بعث رسول من لؤي بن غالب يدعوا الى الله تعالى والى عبادته وأنشأ يقول
 عجبت للبحر وتخبأها * وشدها العيس باحلاسها
 تهوى الى مكة تبغى الهدى * ما خير الجن كأنجاسها
 فارحل الى الصفوة من هاشم * واسم بعينيك الى راسها
 قال فأصبحت وقد امتحن الله تعالى قلبي للإسلام فرحلت ناقتي وأتيت المدينة فاذا
 رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه فقلت اسمع مقالتي يا رسول الله قال هات
 فأنشأت

أتاني نجي بين هدو ورقدة * ولم أك فيما قد نجوت بكاذب
 ثلاث ليال قوله كل ليلة * أتاك رسول من لؤي بن غالب
 فشمرت من ذيل الزمار ووسطت * بي الذعلب الوجناء بين السباب
 فأشبهه أن الله لا شيء غيره * وانك مأمون على كل غائب
 وانك أدنى المرسلين وسيلة * إلى الله يا ابن الأكرمين الاطايب
 فربما يأتيتك يا خير من مشى * وان كان فيما جاء شيب الذوايب
 وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة * سوالك بمن عن سواد بن قارب
 ففرح رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأصحابه بمقالتي فرحاشد يد احتي روى
 الفرح في وجوههم قال فوثب اليه عمر فالتزمه وقال قد كنت أحب أن أسمع
 منك هذا الحديث فهل يأتيتك رثيلك اليوم فقال مذكرات القرآن فلا ونعم
 العوض كتاب الله من الجن ومن بشرهم بشارتهم فهم بشارواهم بن سلامة عن
 اسمعيل بن زياد عن ابن جريح عن ابن عباس أن عمر بن الخطاب حدث يوم في
 مجلس بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال خرجنا قبل مظهر النبي صلى

الله تعالى عليه وسلم بشهرين الى الابطح **عنه** معنا عجل نريد ذبحه ونحن نفر فلما
 ذبحناه وتصاب دمه ومات اذ صاح من جوفه صائح يقول يا ذريح يا ذريح صائح
 يصيح بصوت فصيح نبي يظهر الحق يفيح يقول لا اله الا الله فصاح كذلك ثلاث
 مرات ثم هدا صوته وتترقنا ورعبنا منه فلم يلبث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ان
 ظهر فقال رجل من القوم لا تجب يا أمير المؤمنين من خرجت واتصاف لي في
 تجارة لنا ونحن أربعة نفر تريد الشام حتى اذا كنا ببعض أودية الشام قرمنا الى
 اللحم قرمنا شديدا قبل مظهر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فاذا بطيبة قد عرضت
 لنا مكسورة القرن فلم نزل بها حتى أخذنا ما قال فوالله اننا آثمريد ذبحها اذ هتف
 هاتف فقال

يا أيها الركب السراع الاربعة * خلوا سبيل الطيبة المروعة
 فانها الطفة لمة ذات دعه * خلوا عن العصبان فقد ادى سعه

ثم قال خلوا عنها فوالله لقد رأيت هذا الوادي وما يترفه أقل من نخسين رجلا حتى
 كنتم به قال فأرسلناها فلما أمسينا أخذنا زهرة واحلنا حتى أتى بنا الى حاضر لجب
 كثير الاهل فأطعمهمنا من الثريد ما أذهب قرمنا ثم خرجنا حتى قضى الله تجارتنا
 فصحبنا رجل من يهود فلما كنا بذلك الوادي هتف هاتف فقال

اياك الانجمل وخذها موبقه * فان شر السير سيرا الحققة
 قد لاح نجم فاستوى في مشرقه * يكشف عن ظلماء عبوس موبقه
 يدعو الى ظل جنان موبقه

فقال اليهودي تدرون ما يقول هذا الصارخ قلنا ما يقول قال يخبر أن نبيا قد ظهر
 خلافتكم بمكة فقد منافو جدنا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم بمكة **هو** ومن بشارت
 هتوفهم **هو** ما حكاه أبو عيسى قال سمعت قريش في الليل هاتفا على أبي قبيس
 يقول فان يسلم السعدان يصبح محمد * بمكة لا يخشى خلاف مخالف
 فلما أصبحوا قال أبوسفيان من السعدان سعد بكر وسعدتيم فلما كان في الليلة
 الثانية سمعوه يقول

أياسعد سعد الاوس كن أنت ناصرا * وياسعد سعد الخزرجين الغطارف

أجيبا إلى داعي الهدي وتغنيا * على الله في الفردوس منية عارف
فإن ثواب الله للطالب الهدي * جنان من الفردوس ذات زخارف
فلما أصبحوا قال أبو سفيان هما والله سعد بن معاذ وسعد بن عباد * ومن بشار
هتوفهم * مرواه ابن عباس رضي الله تعالى عنه - ما عن أسماء بنت أبي بكر قالت
ما علم المشركون من أهل مكة أين توجه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين
هاجر إلى المدينة حتى هتف هاتف بعد ذلك بأيام فقال

جزي الله خيرا والجزاء فريضة * رفيقين خلاخيتي أم معبد
هما دخلاها بالهدى وأهتدي به * فأفلح من أمسى رفيق محمد
لهم بنى كعب محل فتاتهم * ومقعداه للمسلمين بمرصد
وقالت أسماء ما علم المشركون من أهل مكة بوقعة بدر حتى هتف هاتف من جبال
مكة وقتين يشمرون بمكة فقال

أزال الحنيفيون بدر بوقعة * سينقض منها ملك كسرى وقيصرا
أصاب رجالا من لؤي وجردت * حرائر يضربن الترائب حسرا
ألا ويح من أمسى عدو محمد * لقد ذاق خزنا في الحياة وحسرا
وأصبح في هامى العجاج معفرا * تناوبه الطير الجياع وتنفرا
فعلموا بذلك وظهر الظاهر من الغد ولئن كانت هذه المتوف أخبار آحاد عن لا يرى
شخصه ولا يحج قوله نخر وجهه عن العادة نذير وتأثيره في النفوس بشير وقد
قبلها السامعون وقبول الأخبار يؤكدها ويؤكد حجتها (فان قيل) ان كانت
هتوف الجن من دلائل النبوة جاز أن تكون دليلا على صحة الكهانة فعنه جوابان
أحدهما أن دلائل النبوة غيرها وانما هي من البشائر وافرقة بين الدلالة والبشارة
أخبارا والثاني أن الكهانة عن مغيب والبشارة عن معين فالعيان معلوم
والغائب موهوم

(الباب السابع عشر فيما هجست به النفوس من إلهام العقول بنبوته عليه السلام)
العقل إلهي ركه الله تعالى في النفوس الناطقة فهو ينذر بالخواص الكائنة

حدسا ويعلم بعد الوجود حسا فقل حادث لا تقدم نذيره وبحسب خاطره
 يكون تأثيره ولا حادث أعظم مما جده الله تعالى بنبوته محمد صلى الله تعالى عليه
 وسلم فاقضى أن يكون بشائر نبوته أشهر وشواهد آياته أظهر (فن هو اجس
 بنبوته) ان كعب بن لؤي بن غالب كان يجتمع اليه الناس في كل جمعة وكان يوم الجمعة
 يسمى في الجاهلية يوم العروبة فسماه كعب يوم الجمعة وكان يخطب فيه الناس
 ويقول بعد خطبته حرمكم عظموه وتمسكوا به فسيأتى له نبأ عظيم وسيخرج به نبي
 كريم والله لو كنت فيه ذاسم وبصر ويد ورجل لتنصبت تنصب الخيل ولا رقلت
 ارقال الفعل ثم يقول

يا ليتني شاهد فحواء دعوته * حين العشرة تبغى الحق خذلانا
 (ومن هو اجس الالهام) ما حكاه ابن قتيبة ان أبا كريب بن أسعد الحميري آمن
 بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم قبل أن يبعث بسبع مائة سنة وقال

شهدت على أحمد أنه * رسول من الله باري النسم

فلو مد عمرى الى عمره * لكنت وزيره وابن عم

(ومن هو اجس الالهام) ما حكاه عبيد الجرمي وكان كبير السن عالما بأخبار الاعم
 أن تبعا الاصغر وهو تبع بن حسان بن تبع سائر يثرب فنزل في سقم أحد وذهب
 الى اليهود فقتل منهم ثلاثمائة وخمسين رجلا صبرا وأراد خرابهم فقام اليه رجل من
 اليهود كبير السن فقال أيها الملك مثلك لا يقتل على الغضب ولا يقبل قول الزور
 أمرك أعظم من أن يطير بك برق أو تسرع بك لجأج فانك لا تستطيع أن تخرب
 هذه القرية قال ولم قال لانهم مهاجرني من ولد اسمعيل يخرج من هذه الشنة يعنى
 البيت الحرام فكف تبع ومضى الى مكة ومعه هذا اليهودي ورجل آخر عالم من
 اليهود فكسا البيت ونحرقه ستة آلاف جزور وأطم الناس وقال

قد كسونا البيت الذي حرم الله * ملاء معضدا وبرودا

وقيل انه ملك ثلاثمائة وعشرين سنة (ومن هو اجس الالهام) ما روى هشام بن
 عروة عن أبيه عن عائشة قالت كان يهودى يسكن مكة فلما كانت الليلة التي ولد
 فيها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حضر مجلس قريش فقال يا معاشر قريش

هل ولد فيكم اليه - له مولود فقال القوم والله ما نعلم قال الله أكبر ما اذأخطأكم فلا
 بأس انظروا واحفظوا ما أقول لكم ولد في هذه الليلة نبي بين كتفيه علامة فيها
 شعرات متواترات كأنها عرف وثني فتصارع القوم عن مجلسهم وهم متعجبون
 من قوله فلما صاروا الى منازلهم أخبر كل انسان منهم أهله فقالوا ولد لعبد الله بن
 عبد المطلب غلام سموه محمدا فانطلق القوم الى اليهودي فأنخبروه فقال اذهبوا بي
 حتى أنظر اليه فادخلوه على آمنه وقالوا أخرجنا لينا ابنك فأخرجته وكشفوا عن
 ظهره فرأى اليهودي تلك الشامة فوق مغشياً عليه فلما أفاق قالوا له مالك قال
 ذهبت والله النبوة من بني إسرائيل يامعشر قريش والله ليس طون بك سطوة
 يخرج خبرها من المشرق الى المغرب وكان في القوم الذين أخبرهم اليهودي
 بذلك هشام بن المغيرة والوليد بن المغيرة وعبيدة بن الحرث بن عبد المطلب وعتبة بن
 ربيعة فعصمهم الله تعالى منهم (ومثله) انه كان لقريش في الجاهلية عيد يجتمع فيه
 النساء دون الرجال فاجتمعوا فيه فوقف عليهم يهودي وفيهم خديجة فقال لهم
 يامعشر نساء قريش يوشك أن يبعث فيكم نبي فايتكن استطاعت أن تكون له
 أرضا فلتعمل فخصبته ووقر ذلك في نفس خديجة حتى حققه الله لها فكانت أول
 من آمن به (ومثله) ان جماعة من النصارى قدموا من الشام تجارا الى مكة فترزوا
 بين الصفا والمروة قرأوه وهو ابن سبع سنين فعرفه بعضهم بصفته في كتبهم وسمته
 في فراستهم فقال له من أنت وابن من أنت فقال أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب
 فقال له من رب هذه وأشار الى الجبال فقال الله ربها لا شريك له فقال له من رب
 هذه وأشار الى السماء فقال الله ربها لا شريك له فقال له النصراني فهل له رب غيره
 فقال لا تشككني في الله ما له شريك ولا ضد فقام بالتوحيد في صغره وفصح
 النصراني بخبره وأنذر بنبوته (ومثله) انه كان في كفالة جده عبد المطلب وكان
 أحب اليه من جميع أولاده فلما حضرته الوفاة وصى به الى عمه أبي طالب لانه كان
 أخا عبد الله لا بيه وأمه وأنشأ يقول

وصيت من كنيته بطالب • عبد مناف وهو ذو تجارب
 يا ابن الحبيب أكرم الأقارب • يا ابن الذي مذغاب غير آيب

فتقبل أبوطالب الوصية وكان قد سمع من راهب انذارا فأنشأ يقول
لا توصين بل لازم وواجب * فلست بالأنس غير الراغب
بان حمد الله قول الراهب * اني سمعت أعجب العجائب
من كل حبر عالم وكاتب

ومات عبد المطالب بعد ثمان سنين من مولده فتكفله عمه أبوطالب وخرج به الى
الشام في تجارة له وهو ابن تسع سنين فنزل تحت صومعة بالشام عند بصرى وكان
في الصومعة راهب يقلل له بحيرا فقرأ كتب أهل الكتاب وعرف ما فيها من الانباء
والامارات فرأى بحيرا من صومعته غمامة قد أظلمت رسول الله صلى الله تعالى
عليه وسلم من الشمس فنزل اليه وجعل يتفقد جسده حتى رأى خاتم النبوة بين
كفيه وسأله عن حاله في منامه ويقظته فأخبره بما فوافقت ما عنده في الكتب
وسأل أباطالب عنه فقال ابني فقال كلا فقال ابن أخي مات أبوه وهو حبل قال
صدقت وعمل لهم ولمن معهم طعاما لم يكن يعمل له لهم من قبل وقال احفظوا هـ ذا
من اليهود والنصارى فانه سيد العالمين وسيبعث نبيا اليهم أجمعين وان عرفوه
معكم قتلوه فقالوا كيف عرفت هـ ذا قال الصحابة التي أظلمت ورأيت خاتم النبوة
أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة على النعت المذكور ورأيت المدر
والشجر يسجدان له ولا يسجدان الا لنبى وجاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وكان في رعيه الابل قد سبقه القوم الى ظلي شجرة فلما جلس مال ظل الشجرة عليه
فقال لهم هـ ذا من آيات نبوته وان الروم ان رأوه عرفوه بصفته فقتلوه ثم التفت
فاذا هو بسبعة نفر قد أقبلوا من الروم فاستقبلهم وقال ما جاءكم قالوا جئنا لان هذا
النبى خارج في هـ ذا الشهر فلم يبق طريق الا بعت فيه ناس ونحن آخر من بعث الى
طريقك هـ ذا فقال لهم هل خلفتم خلفكم أحدا هو خير منكم قالوا لا قال أفرأيت
أمر أرا الله أن يقضيه هـ بل يستطيع أحد من الناس رده قالوا لا قال فارجعوا
فتابعوه على الرجوع وزودهم الراهب حتى أسرع به أبوطالب فكانت هذه
البشارة من رهبان النصارى ومات قدم من أخبار اليهود وقد تواردها عليهم جميعهم
مع اختلاف معتقدتهم وتغاير كتبهم من أوائل الشهود على تعيين النبوة فيه اما عن

كتب نعت فيها فاصابوه على النعمة فكان انذارا لاهلها تواردت عليه الخواطر لان
ما هجست به النفوس من امر كان وما تخيلته العقول ظهورا بان لان القلوب
طلائع الاقدار والعقول مرآيا الاسرار (ومن هو اجس الالهام) ما حدثنا أبو
الحسن محمد بن علي بن محفل رحمه الله قال حدثنا عمر بن حماد الفقيه قال حدثنا عمر
ابن محمد بن بحير السمرقندي قال حدثنا أحمد بن عبد ربه الضبي قال أخذ برنا عبد
الرحمن بن نوح بن غيبة قال حدثنا محمد بن بكير قال حدثني أحمد بن القاسم عن
الكافي عن أبي صالح عن ابن عباس رحمه الله عليه قال لما ظفر سيف بن ذي يزن
بالجبهة وذلك بعد مولد النبي صلى الله تعالى عليه وسلم لم يسنين أقي وفود العرب
وأشرافها وشعر أوهالتهنئة ومدحه وذكروا ما كان من بلائه وطلبه بشار قومهم
فأتاه وفد قريش وفيهم عبد المطالب بن هاشم وأمية بن عبد شمس وعبد الله بن
جدعان وأسدي بن خويلد بن عبد العزى في ناس من أشراف قريش فلما قدموا
عليه اذاهو في رأس قصر يقال له غمدان وهو الذي يقول فيه أمية بن أبي الصلت
اشرب هنئنا عليك التاج مرتفعاً * في رأس غمدان دار منك محلال

قال فاستأذنوا عليه فأذن لهم فدخلوا عليه فاذا الملك مضمخ بالعنبر يرى وبيص
الطيب من مفرقه عليه بردان متزرباً أحدهما مرتد بالآخر سيفه بين يديه وعن
يمينه وعن يساره الملوكة وأبناء الملوك والمقاول قال فدنا عبد المطالب واستأذن في
الكلام فقال ان كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك فتكلم فقد أذنالك فقال عبد
المطلب ان الله أحلك أيها الملك محلاً رفيحاً صعباً منيعاً شامخاً باذخاً وأنتك منبتا
طابت أرومته وعزت جرومته وثبت أصله وبسق فرعته في أكرم موطن
وأطيب معدن وأنت أبيت اللعن ملك العرب وربيها الذي يخصب به وأنت
أيها الملك رأس العرب الذي إليه تنقاد وعمودها الذي عليه العماد ومعقلها
الذي تلجأ إليه العباد سلفك خير سلف وأنت لنا منهم خير خلف فلن نخمل
ذكركم أنت سلفه ولن يهلك من أنت خلفه ونحن أيها الملك أهل حرم الله
وسنة بيته أشخصنا إليك الذي أبهجتنا لكشف الكرب الذي فدحنا فحن وفد
التهنئة لا وفد التعزية فقال ابن يزن فأفهم أنت أيها المتكلم فقال أنا عبد

المطلب بن هاشم قال ابن اختنا قال نعم ابن اختكم قال ادن فأدناه على القوم
وعليه فقال مرحبا وأهلا وناقة ورحلا ومستنسا خاسهلا وملاك ربحلا يعطى
عطاء جزلا قد سمع الملك مقالتيكم وعرف قرابتكم وقبل وسيلتكم فأنتم أهل
الليل وأهل النهار لكم الكرامة ما أقتم والحباء اذا طعنتم قال ثم استنهضوا الى
دار الضيافة والوفود فأقاموا شهرا لا يصلون اليه ولا يأذن لهم بالاصراف قال
ثم انتبه انتباهة فأرسل الى عبد المطلب فأعلمه وأدنى مجلسه وقال يا عبد المطلب
انى مفقوض اليك من سرى على ما لو كان غيرك لم أبح له ولكن رأيتك مع مدنه
وأطاعتك عليه فليكن عندك مطوي احتى يأذن الله فيه فان الله بالغ فيه أمره
انى أجدي الكتاب المكنون والعلم المخزون الذى اخترناه لا نفلسنا واحتجبتناه
دون غيره خبرا عظيما وخطرا جسيما فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة للناس
عامة ولرهلك كافة ولك خاصة قال عبد المطلب أيها الملك فمثلك من سرور
فاهو فذاك أهل الوبر زمر ابعد زمر قال اذا ولدته تهامة غلام بين كتفيه شامة
كانت له الامامة ولا يحبه الزعامة الى يوم القيامة فقال له عبد المطلب أبيت
اللعن لقد أتيت بخبر ما أتى بمثله وافد فلو لا هيبة الملك واجلاله واعظامه لسألته
من بشارته اياى ما ازداد به سرورا قال ابن ذى يزن هذا حينه الذى يولد فيه أو قد
ولد اسمه أحمد يموت أبوه وأمه وكفله جده وعمه قد ولدناه مرارا والله باعته
جهارا وجاعل مناله أنصارا يعزبهم أوليائه ويذل بهم أعداءه يضرب بهم
الناس عن عرض ويستفتح بهم كرائم الارض يكسر الاوثان ويخمد النيران
ويعبد الرحمن ويدحر الشيطان قوله فصل وحكمه عدل يأمر بالمعروف
وينهى عن المنكر ويبطله قال عبد المطلب أيها الملك عزج ذلك وعلا
عقبك وطاب ما لك وطال عمرك فهل الملك سارى بافصاح فقد أوضح بعد
الايضاح فقال ابن ذى يزن والبيت ذى الحجب والعلامات على النصب انك
يا عبد المطلب بلده غير الكذب قال فخر عبد المطلب ساجدا فقال ابن ذى يزن
ارفع رأسك تلج صدرك وعلا أمرك فهل أحسست شيئا مما ذكرت لك فقال
نعم أيها الملك كلنى ابن وكنت به معجبار فيقاأ ورقيقا فزوجته كريمة من كرائم

قوى آمنه بنت وهب بن عبد منساف أتت بنه - لام - سميت محمد امات أبوه وأمه
وكفلته أنا وعمه بين كتفيه شامة وفيه كلما ذكر من علامة قال ابن ذريز
ان الذي قلت لك - كما قلت لك - فاحفظ بابتك واحذر عليه من اليهود فانهم سم له
أعداء ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا فاطوم ما ذكرته دون هؤلاء الرهط الذين
معك فاني استأمن أن يداخلهم النفاسة من أن تكون لك الرياسة فيبغون له
الغوائل وينصبون له الحبال وهم فاعلون وأبناؤهم ولولا اني أعلم ان الموت
يحتاجني قبل مبعثه لسرت بخيلي ورجلي حتى أصير يشرب دارم لكي فاني أجد
في الكتاب الناطق والعلم السابق ان يشرب استحككم أمره وأهل نصرته
وموضع قبره ولولا اني أقيه الآيات وأحذر عليه العاهات لأعلنت على
حدثه سنه ذكره وأوطيت اسنان العرب عقبه ولكني صارف ذلك اليك بغير
تقصير عن معك ثم أمر لي كل رجل من القوم بعشرة أعبد وعشرة اماء سود
وحاتين من حلال البرود وخمسة أرطال ذهب وعشرة أرطال فضة وكرش مملوءة
عنبرا ولعبد المطلب بعشرة أضمة عاف ذلك وقال له اذا حال الحول فائتني بأمره
وما يكون من خبره قال فأت ابن ذريز قبل أن يحول الحول قال فكان
عبد المطلب كثير يقول يا معشر قريش لا يغبطني رجل منكم بجزيل عطاء الملك
وان كان كثيرا فانه الى نفاقوا لكن لا يغبطني بما يبقى لي ولعقبى ذكره وفخره وشرفه
فاذا قيل له وما ذاك قال سمعون ما أقول لكم ولو بعد حين ثم هو من هواجس
الالهام انه نشأ في قريش على أحسن هدى وطريقة وأشرف خلق وطبيعة
وأصدق لسان ولهجة حتى سمته قريش في حديثه الامين تأسيسا لما سيكون
وكانت خديجة بنت خويلد ذات شرف ويسار وكان لها متاجر ومضاربات
فلما عرفت أمانة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وصدق لهجته أبضته مالا
يتجربه الى الشام مضاربا وأنفذت معه مولاها ميسرة ليجد مه في طريقه فنزل
ذات يوم تحت صومعة راهب فرأى الراهب من ظهور كرامة الله تعالى له ما علم
انه لا يكون الا النبي فقال لميسرة من هذا فقال رجل من قريش من أهل الحرم

فقال انه نبي فكان ميسرة يراه اذا ركب نطله غمامة تقيه حر الشمس فلما قدم
 على خديجة قص ميسرة عليها حديث اراغب وما شاهده من ظل الغمامة
 وما تضاعف من ربح التجارة فتبنت به على عظم شأنه وشواهد دبره انه فرغت
 خديجة في نكاحه وكان قد خطبها اشرف قريش فامتنعت وسفر بينه ما في
 النكاح ميسرة وقيل مولاه بولده وخاف امتناع أبيها عليه فبعقرب له ذبيحة
 وأبسه ته حبرة وغلقته بطيب وعمير وسقته خمر حتى سكر وحضر رسول الله
 صلى الله تعالى عليه وسلم ومعه عمه حمزة بن عبد المطلب واختاف في حضور عمه
 أبي طالب فقال الا كثرون حضر مع حمزة وخطبهم من أبيها فأجابهم بوجه وهو
 ابن خمسة وعشرين سنة وخديجة ابنة أربعين سنة ودخل بها من ليلته فلما أصبح
 خويلد وصحار أي آثار ما عليه فقال ما هذا العقير والعبير والحبر فقبل زوجته
 خديجة بمحمد قال ما فعلت قبيلا فبيع بك هذا وقد دخل بها فرضي ولاجل ذلك
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرفع الي نكاح نشوان الا أجرته وقامت خديجة
 رضى الله تعالى عنها بأمره حتى كفته أم ولد نباه فكان ذلك عوناً من الله تعالى
 ولطفات فضل به عليه منا واسعا فافهم من هو اجس الالهام في ما حكاه عامر بن ربيعة
 قال سمعت زيد بن عمرو بن نفيل يقول أنا أنظر نبيا من ولد اسمعيل من بني عبد
 المطلب ولا أراني أدركه وأنا أو من به وأصدقه وأشهد انه نبي فان طالت بك مدة
 فرأيت فافهم مني السلام وسأخبرك ما نعتته حتى لا يخفى عليك فأتها لم قال هو
 رجل ليس بالقصير ولا بالطويل ولا بكثير الشعر ولا بقليله وليس يمارق عينيه
 حمرة وخاتم النبوة بين كتفيه واسمه أحمد وهذا البلد مولده ثم يخرج قومه منها
 ويكرهون ما جاء به حتى يهاجر الى يثرب فيظهر أمره فإياك أن تخدع عنه فاني
 طفت بالبلد كلها أطلب دين ابراهيم فكل من أسأله عنه من اليهود والنصارى
 والمجوس يقولون هذا الدين ورائك وينعتونه من مثل ما نعت لاث ويقولون لم يبق
 نبي غيره قال عامر فلما أسلمت أخبر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بقول
 زيد وأقرته منه السلام فرد عليه السلام ورحم عليه وقل قدر أيتته في الجنة
 يسحب الذيل وهو من هو اجس الالهام في ما رواه الزهري عن أبي سلمة بن عبد

الرحمن بن غوف قال بعث الله تعالى الى كسرى ملكا وهو في بيت ابوانه الذي
لا يدخل عليه فيه فلم يرعه الا به قائما على رأسه في يده عصا لها جرة من ساعته
التي كان يتقبل فيها فقال يا كسرى انبسم أو أكسر هـ هذه العصا فقال بهل بهل
فانصرف عنه فدعا حراسه وحجابه فتغيظ عليهم فقال من أدخل هذا الرجل فقالوا
ما دخل عليك أحد ولا رأيناك حتى إذا كان العام القابل أتاه في الساعة التي أتاه
فيها فقال له كما قال ثم قال أنبسم أو أكسر هـ هذه العصا فقال بهل بهل ثلاثا
نخرج عنه فدعا كسرى حراسه وحجابه فتغيظ وقال لهم كما قال لهم أول مرة فقالوا
مارأينا أحدا دخل عليك حتى إذا كان في العام الثالث أتاه في الساعة التي أتاه
فيها فقال له كما قال ثم قال أنبسم أو أكسر هـ هذه العصا فقال بهل بهل فكسر هاشم
خرج فلم يكن الا ثم تورماكه وانبعث ابنه والفرس على قتله حتى قتلوه وهو من
هو اجس المنام بما حكاه ابن قتيبة ان كسرى ابرويزن هرمرتر كان سائرا ذات يوم
فهوم على مركبه وطال حتى استغل فاقطعه بعض قواده فانتبه مذعورا الرجزا
رأها قطعها عليه الموقظ له فقال رأيت قائلا لي انكم غيرتم فقيرنا كم ونقل الملك
الى أحد وقيل له سلم ما بيدك الى صاحب المراوة الى أن ورد عليه كتاب النعمان
ابن المنذر يخبر فيه ان خارجا نجم بهامة يخبر أنه رسول الله إلى السماء والارض الى
أهل الارض كافة فارتاع لذلك وأكبره وعلم أنه الذي رآه في منامه وكان يتوقعه
(ومن هو اجس المنام) مارواه عروة بن مضر عن مخزومة بن نوفل عن أمه رقية
بنت أبي ضبي بن هاشم قال تتابعت على قریش سهـ نون أمحلت الضرع وأدقت
العظم فبينما أنا نائمة للهـ مـ أومـ مومة إذا هاتف بصوت صخب يقول
يامعشر قریش ان هـ ذا النبي المبعوث فيكم قد أظلمت أيامه وهـ ذا إيان نجومه
في هـ لا بالحياء والخصب ألا فانظروا رجـ لا منكم وسـ يطا جسـ بما أبيض بضـا
أو طف الأهداب سهل الخدين أشم العرنين له نخر يكظم عليه وسنه يمدى اليه
فليخاص هو وولده وليه يط اليه من كل بطن رجل فليستنوا من الماء وليمسوا
من الطيب ثم ليستملوا الركن ثم ليرتقوا أباقيس فليستنق الرجل وليؤم القوم
فغثم ماشتم فأصـ بصت علم الله تعالى مذعورة قد اقشـ مترجلدى ووله عـ لي

واقصصت رؤياي فوالحرمة والحرم ما بقي بها أبطحي الا قال هـ ذاشيبة الحمد
 يعنون عبد المطالب فتتامت اليه رجالات قريش وهبط اليه من كل بطن رجل
 فسمنوا ومسوا واستملوا ثم ارتقوا بأباقيس وطبقوا جانبيه ما يبلغ سعيهم مهـ لـ
 حتى استوا وبذروا الجبل فقام عبد المطالب ومعه رسول الله صلى الله تعالى عليه
 وسلم غلام حين أبلغ أو كرب فقال اللهم ساد الخلة وكشف الكربة أنت معلم غير
 معلم ومسؤل غير مجمل وهذه عبادك واماؤك بغدرات حرمك يشكون اليك
 سنتهم أذهبت الخلف والظلف اللهم فامطر علينا غيثا مغيثا قاصريا فوالكعبة
 ماراحوا حتى تفجرت السماء بمائها والبط الوادي يتحججه فسمعت شـ يخزن من
 قريش وأجاءه عبد الله بن جدعان وحرب بن أمية وهشام بن المغيرة يقولون لعبد
 المطالب هنيأ لك أبا البطحاء أي عاش بك أهل البطحاء وفي ذلك يقول رفيقه
 بشيبة الحمد أسقى الله بادتنا * لما فقه دنا الحيا واجلوا المطر
 فجاد بالماء جوى له سـ بـل * صحافعا شت به الانعام والشجر
 مبارك الامر يستقي الغمام به * ما في الانام له عدل ولا خطر
 وهو من هو اجس الانذار والالهام * والنام مارواه أبو أيوب يعلى بن عمران النخلي
 عن مخزوم بن هانئ المخزومي عن أبيه وأنت له مائة وخمسون سنة قال لما كانت
 الليلة التي وادفها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أو بعث ارتجس ايوان
 كسرى فسقطت منه أربع عشرة شرافة ونجذت نارفارس ولم تخمد قبل ذلك
 بألف عام وغارت بحيرة ساوة فافزع ذلك كسرى فلبس تاجه وقعد على سريره
 وجمع وزراءه وصرار بته وأخبرهم بروياه فقال الموبذان وأنا صلح الله تعالى الملك
 قدر أيت في هذه الليلة ابلاصعابا تقود خيلا عربا قد قطعت دجلة وانتشرت في
 بلادنا فقال أي شيء هذا يا موبذان فقال حادثة تكون من ناحية العرب فكتب
 الى النعمان بن المنذر أن ابعث الى برجل عالم أسأله عما أريد فوجه اليه عبد المسيح
 ابن عمرو بن نقيلة الغساني فلما قدم عليه أخبره فقال أيها الملك علم ذلك عند خال لي
 يسكن مشارق الشام يقال له سطيج قال فأتته فأسأله عما أخبرتك به ثم أتى بجوابه
 فركب عبد المسيح راحلته حتى ورد على سطيج وقد أشفى على الموت ووضع على

شفير قبره فسلم عليه وحياه فلم يخبر سطيج جوابا فانشا عبد المسيح يقول
 أصم أم سمع غطريف اليمين * يا فاضل الخطبة أعيت من ومن
 أتاك شيخ الحى من آل سنان * وأله من آل ذئب بن حجن
 أبيض فضفاض الردى نجر البدن * رسول فيل العجم يسرى للوسن
 فرفع سطيج برأسه وقال عبد المسيح على جبل مشج وافي الى سطيج وقد أوفى به الى
 الضريح بعثك ملك بنى ساسان لا رتياس الايوان وخود النيران ورؤيا
 الموبدان رأى ابلاصعابا تقود خيم لاعرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في
 بلادها ثم قال يا عبد المسيح اذا كثرت التلاوة وبعث من تهامة صاحب الهراوة
 وفاض وادى السماوه وغاضت بحيرة ساوه وخذت نار فارس فليس الشام
 لسطيج شاماك منهم ملك وما لك بعدد الشرفات وكل ماهوات آت ثم قضى
 سطيج فسار عبد المسيح على راحلته وهو يقول

شمر فانك ماضى الهم شمير * ولا يغرنك تقريق وتغير
 ان عس ملك بنى ساسان أفرطهم * فان ذا الذهب رأت وارهاري
 فرجأ أصحوايوماء نزلة * تهاب صولهم الاسد المهاصير
 منهم أخوا الصرح بهرام واخوته * والمهر منان وساور وساور
 والناس أولا وعلات فن علوا * ان قد أقل فميجور ومحفور
 وهم بنو الام الان ير وانسبا * فذاك بالغيب محفوظ ومنصور
 وانغير والشر مقرونان في قرن * فالجير متبع والشر محذور

فلما قدم عبد المسيح على كسرى وأخبره قال كسرى الى أن يملك منك أربعة عشر
 ملكا قد كانت أمور فلك منهم عشرة ملوك أربع سنين وزال ملكهم عن يزدجر
 الرابع عشر بعد اثنتي عشرة سنة (فان قيل) فهذا قول كاهن قد أبطاته النبوة
 فلم يقبل قوله في اثبات النبوة فعنه جوابان أحدهما انه تأويل رؤيا تحققت
 خرج بها عن حكم الكهانة والثاني انه علمها بنقل الجن كهتوف الجن كما قال الله
 تعالى وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم فاذا سبر ما اختلفت طرقه وتغير
 وصفه خرج عن القلة الى التكاثر وعن الاحاد الى التواتر فصار الظن معلوما

والتوهم محتوما

(الباب الثامن عشر في مبادئ نسب به وطهارة مولده صلى الله تعالى عليه وسلم)

لما كان أنبياء الله صفوة عباد وخيرة خلقه لما كفهم من القيام بحقه استخلصهم من أكرم العناصر وأمدتهم بأوكدا وأواصر حفظ النسبهم من قدح وانصبهم من جرح لتكون النفوس لهم أوطأ والقلوب لهم أصفى فيكون الناس إلى أجابتهم أسرع ولاوامرهم أطوع ولما تفرع الملك عن إبراهيم واختصت النبوة بولده انحازت إلى ولده اسحق دون اسمعيل فصارت في بني اسرائيل أكثرهم بعد القلة وقتوتهم بعد الذلة فبدأت النبوة بعيسى وانختمت بعيسى ولما كثروا اسمعيل وانتشروا في الارض تميز بعد الكثرة ولد قحطان عن ولد عدنان واستولت قحطان على الملك انحازت النبوة إلى ولد عدنان فأول من أسس لهم مجدا وشيدا لهم ذكرهم معد بن عدنان حين اصطفاه بنحت نصر وقد ملك أقاليم الارض وكان قد هم بقتله حين غزا بلاد العرب فأنذره نبي كان في وقتها بان النبوة في ولده فاستبقاه وأكرمته ومكنه واستولى على تهامة بيد عالية وأمر مطاع وفيه يقول مهامل الشاعر

غنت دارنا تهامة بالامس * وفيها بنو معد حلاولا

ثم ازداد العرب بولده نزار وانبسطت به اليد وتقدم عندهم ملك الفرس واجتباها تستشف ملك الفرس وكان اسمه خلدان وكان مهزول البدن فقال الملك مالك يانزار وتفسيره في اغتهم بامهزول فغلب عليه هذا الاسم فسمى نزارا وفيه يقول قبة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان

جدي سا خلفناه وطسما بارضه * فاكرم بنا عنده الفخار فخارا

فنحن بنو عدنان خلدان جدنا * فسماه تستشف الهمام نزارا

فسمى نزارا بعدما كان اسمه * ولدى العرب خلدان بنو خيارا

وكان لنزار أربعة أولاد مضر وربيعة وايدان غمار فلما حضرته الوفاة وصاهم فقال يا بني هذه القبة الحمراء وما أشبهها بمضر وهذا الخباء الاسود وما أشبهه لربيعة وهذا الخادمة وما أشبهها لايدان وهذه الندوة والمجلس وما أشبهه لا غمار فان

أشكل عليكم واختلفتم فاعلموا بالافعى الجرهمى بنجران فاختلجوا فى القسمة
 فتوجهوا اليه فبينما هم يسرون اذ رأى مضر كلاً فدعى فقال ان البعير الذى
 رعى هذا الكلاً لأعور وقال ربيعة هو أزور وقال اياد هو أبتر وقال أنمار
 هو شرود فلم يسروا قليلاً حتى لقيهم رجل يوضع على راحلته فسألهم عن البعير
 فقال مضر هو أعور قال نعم وقال ربيعة هو أزور قال نعم وقال اياد هو أبتر قال
 نعم وقال أنمار هو شرود قال نعم وهما والله صفة بعيرى فدلوني عليه فقالوا والله
 مارأيناها قال قد وصفتوه بصفة فكيف لم تروه وسار معهم الى نجران حتى نزلوا
 بالافعى الجرهمى فناداه صاحب البعير هؤلاء أصحاب بعيرى وصفوه لى بصفته
 وقالوا لم نره فقال لهم الافعى الجرهمى كيف وصفتموه ولم تروه فقال مضر رأيت به
 يرعى جانباً ويترك جانباً فعرفت انه أعور وقال ربيعة رأيت احدى يديه ثابتة الاثر
 والاخرى فاسدة الاثر فعرفت انه أزور وقال اياد رأيت بعيره مجتعا فعرفت انه أبتر
 وقال أنمار رأيت به يرعى المكان الملتف ثم يجوزه الى غيره فعرفت انه شرود فقال
 الجرهمى لصاحب البعير ليسوا أصحاب بعيرك فاطلب من غيرهم ثم سألهم من
 هم فأخبروه انهم بنو تزار بن معد فقال أنتحاجون الى وأنتم كأرى فدعاهم
 بطعام فأكلوا وأكل وبشراب فشربوا وشرب فقال مضر لم أركاليوم خيراً أجود
 لولا انى نأبشت على قبر وقال ربيعة لم أركاليوم لحماً طيباً لولا انى ربي بابن كلبة
 وقال اياد لم أركاليوم رجلاً أسمى لولا انى يدعى لغير أبى وقال أنمار لم أركاليوم كلاماً
 أنفع فى حاجتنا وسمع الجرهمى الكلام فتعجب لقولهم وأتى أمه فسألهما فآخبرته
 انهما كانت تحت ملك لا ولده فكرهت ان يذهب الملك فامكنت رجلاً من نفسها
 كان نزل به فوطئها فحملت منه به وسأل القهرمان عن الخمر فقال من كرمه غرسها
 على قبر أبىك وسأل الراعى عن اللحم فقال شاة أرضه عتيا بابن كلبة لان الشاة حين
 ولدت ماتت ولم يكن ولد فى الغنم شاة غيرها فقيل لمضر من أين عرفت الخمر
 وبناتى على قبر قال لانه أصابنى عليها عطش شديد وقيل لربيعه من أين عرفت
 ان الشاة ارتضعت على ابن كلبة قال لاني شممت منه رائحة الكلب وقيل لاياد
 من أين عرفت ان الرجل يدعى اخيراً بيه قال لاني رأيت به يتكاف ما يعمل ثم أتاهم

الجرهم وقال صفوا الى صفتهم فقصوا عليه ما أوصاهم به أبوهم تزار فقصى لمضر
بالقبة الحمراء والدنانير والابل وهي جرهمى مضر الحمراء وقضى لربيعة بالخباء
الاسود والخيول الدهم فسمى ربيعة الفرس وقضى لاياد بالخادمة الشمطاء والماشية
البلق وقضى لانغار بالارض والدرهم وهذا الذى ظهر فى أولاد تزار من قوة
الذكاء وحدة الفطنة تأسيسا لتمييزهم بالفضل واختصاصهم بوفور العقل مقدمة
ما يراد بهم ثم تفرقت القبائل منهم فاختص ولد مضر بن تزار بالحرم فتميزوا
بأنسابهم وتناسروا بسببهم حتى استولت قريش على الحرم بعد جرهم
وخزاعة لان جرهم كانوا جبابرة فبغوا وتجبوا حتى بعث الله تعالى عليهم الرعاف
والنمل فأفناهم وأفضى أمرهم الى عامر بن الحرث وهم القائلون
واد حرام طيره ووحشه * نحن ولاته فلا نغشه

فاجتمعت خزاعة ورئيسهم عمرو بن ربيعة بن حارثة على عامر بن ربيعة وبقيّة
جرهم فاخرجوهم من الحرم واستولت عليه خزاعة وولى البيت عمرو بن ربيعة
فقال نحن ولىنا البيت بعد جرهم * نعمره من كل باغ ملحد
ولما انحاز عامر بن الحرث مع بقيّة جرهم عن الحرم عند اساتيل خزاعة عليه
خرج بغز الى الكعبة وحجر الركن يلمس التوبة وهو يقول
لاهم ان جرهم اعبادك * الناس طرف وهم تلادك
فلم تقبل توبته فألقى غز الى الكعبة وحجر الركن فى زمزم ودفنها وخرج بقيّة
جرهم وهو يقول

كأن لم يكن بين الجحون الى الصفا * أنيس ولم يسم ربهم
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا * صروف الالى والدهور الغواير
فلما رأى عامر بن الحرث الجرهمى ماصار واليه بعد الكثرة والقوة قال
يا أيها الناس سيروا ان قصركم * ان تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا
كنا اناسا كما كنتم فغيرنا * دهر فانت كما كنتم تكونونا
خطوا المطى وارخوا من أزمتها * قبل الممات وقضوا ما تقضونا
فوليت خزاعة البيت والحرم غير أنه كان فى مضر من أمره ثلاث خلال احداهن

الدفع من عرفة الى المزدلفة كان الى التثويب بن بزمرو وهو صرفة الثانية الا فاضة من
مزدلفة الى منى للنحر كان لزيد بن عدوان وآخر من أفضى اليه أبو سياره والثالثة
النسيء لشهور الحج كان للمتأس من بني كنانة وآخر من أفضى اليه حتى جاء
الاسد - الام غمامة بن عوف فشركت مضر خزاعة في معالم الحج وان كانت زعامه
الحرم لخزاعة وقريش في اوزاع بنهم كنانة من مضر وأفضت معالم الحج من
اوزاع مضر الى قريش فولاهام منهم كعب بن لؤي بن غالب وكان يجمع الناس في
كل يوم جمعة ويخطب فيه على قريش فيأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر
ويقول حرمكم عظموه وتمسكوا به فسيأتى له نبأ عظيم وسيخرج منه نبي كريم وهو
أول من فصح بالنبوة حين شاهد آثارها وعرف أسرارها من انقياد العرب
اليهم تدينهم بجرمهم واعظاما لكرهبتهم وكان ذلك إلهاما هجست به نفسه وتخيل
صدق فيه حدسه لان لكل خطب نذيرا - وكل مستقبل بشيرا وانتهت
خزاعة في الحرم الى خليل بن الحبش سمية الخزاعي فكان يلي الكعبة وأمر مكة
فتزوج اليه قصي بن كلاب فاشتد به قصي وكان اسمه زيد فلما هلك خليل رأى
قصي انه أولى بالولاية على الكعبة وأمر مكة من خزاعة فاستولى عليها واختلف
في سبب استيلائه فقال قوم لان خليل أوصى اليه بذلك وقال آخرون بل اشتراه
من آل خليل بزق من حجر وقال آخرون بل استنصر على خزاعة باخيه لامه رزاح
ابن ربيعة القضاعي حتى أجلى خزاعة عن مكة فخاضت الرياسة لقصي فجمع قريشا
وهم في اوزاع بني كنانة فثمنت بنو كنانة منهم فخاربهم - من أطاعه حتى أفردهم
منهم وجمعهم بمكة فسمى مجمعا وفيه يقول شاعرهم

أوناك حتى كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر

فلما اجتمعوا أنزلهم بطحاء مكة في الشعاب ورؤس الجبال وقسمها بينهم أرباعا بين
قومه وأنزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التي أصبحوا عليها وكانت اليه
الحجبة والسقاية والوفادة والندوة والالواء وصارت سنته في قريش كالدين الذي
لا يعمل بغيره فزادت القوة بجمعهم حتى قد لولايه وجد بناء الكعبة وهو أول
من بناها بعد ابراهيم واسماعيل وبني دار الندوة لا تحاكم والتشاجر والتشاور

وهي أول دار بنيت بمكة وكانوا يجتمعون في جبالها ثم بنى القوم دورهم بها فتمهدت
لهم الرياسة وظهرت فيهم السياسة فصاروا بهازعاً لعبادة أنذرت بطاعة إلهية
وديانة تبوية توطئة لما جدد الله تعالى منها برسـوله وتأسيساً لمبادئها فقاموا
بالكعبة ونزهوا الحرم وتكفلوا بالحج فصاروا ديانى العرب وولاية الحرم وقادة
الحج فدانت لهم العرب وتقدموا فيهم بالشرف لخالولهم في الحرم وتكفلهم
بالكعبة ثم قيامهم بالحج وشاع ذلك في الأمم فحذى قوم من ديانى العرب أن جماعة
من ملوك الفرس زاروا الكعبة بمكة وعظموها وحملوا إليها صـنوف الثياب
وأشواع الطيب وزمزموا من معهـم من الفـرس عنهـم دبث زمزم فاذلك سميت
زمزم واستشهد قائل هذا بقول الشاعر

زمزمت القرس على زمزم * وذلك في سالفه الاقدم

وقريش هم ولد النضر بن كنانة بن خزيمية بن مدركة بن الياسر بن مضر وقيل بل
هم بنو فهر بن مالك بن النضر فنـسبهم الى النضر فلانه تفرقت قبائل بني كنانة
وقيل كان يسمى قريشاً ومن نسبهم الى فهر فلان فهر فى زمانه كان رئيس الناس
بمكة وقصـدها احسان بن عبد كلال فى حير وقبائل اليمن ليهدم الكعبة وينقل
أحجارها الى اليمن ايمنيه بيتا باليمن يجعل حج الناس اليه فنزل بنخلة وأغار على
سرح مكة فسار اليه فهر فى كنانة وأحلافهـم من قبائل مضر فانهم زمزمت حـير
وأسر الحرث بن فهر حسان بن عبد كلال فبقى فى يد فهر ثلاثـ سنين أسير بمكة حتى
فدى نفسه وخرج فبات بين مكة واليمن فعظمهم هذا الحرث شأن فهر فاغزت
اليه قريش حـير حتى مكة ومنع من هدم الكعبة وكانت من أشباه عام الفيل
واختلف فى تسميتهم قريشاً على أربعة أقاويل أحدها أنهم هم بعد التفرق
والتقرش التجمع ومنه قول الشاعر

اخوة قرشوا الذنوب علينا * فى حديث من دهرهم وقديم

والثانى لانهم كانوا تجارياً كلون من مكاسبهم والقرش التكسب والثالث
لانهم كانوا يفتشون الحاجة عند ذى الخلة فيسدون خلته والقرش التفتش ومنه
قول الشاعر أيها السامت التقرش عنا * عند عمر وفهل له ابقاء

والرابع ان قريش اسم دابة في البحر من أقوى دوابه سميت بها قريش اقوتها انها
تأكل ولا تأكل وتعلم ولا تعلم قاله ابن عباس واستشهد بقول الشاعر

وقريش هي التي تسكن البحر به اسميت قريش قريشا
ساطت بالعلم لو في لجة البحر على ساكني البحور جيوشا
تأكل الغث والسمين ولا * تنزك يومالذي الجناحدين ريشا
هكذا في البلاد حتى قريش * يا كاون البلاد أكل كشيشا
ولهم آخر الزمان نبي * يكثر القتل فيهم والجوشا
تملأ الأرض خيلا ورجال * يحشرون المطى حشرا كدشا

وهذا من هواجس النفوس المخبرة وآيات العقول المندرة فأما مكة فلهما اسمان
مكة وبكة وقد جاء القرآن بهما واختلف في الاسمين هل هما المسمى واحد أو اسمين
على قولين أحدهما أنه لمسمى واحد لان العرب تبذل الميم بالباء فيقولون ضربة
لازيم ولا زب لقرب المخرجين والقول الثاني وهو أشبه أنه ما اسمان لمسميين
واختلف من قال بهذا في المسمى منهما على قولين أحدهما أن مكة اسم البلد وبكة
اسم البيت وهذا قول ابراهيم النخعي والقول الثاني أن مكة الحرم كله وبكة
المسجد كله وهذا قول زيد بن أسلم فأما مكة فأخوذة من قولهم تككت الخ
إذا استخرجته لانها تك الفاجر أي تخرجه قال الشاعر

يا مكة الفاجر مكي مكا * ولا تكي مذججوعكا

وأما بكة قل الأصمعي سميت بذلك لان الناس يبك بعضهم بعضا أي يدفع وأنشد
قول الشاعر اذا الشريب أخذته بكه * نخله حتى يبك بكه
ثم أفضت رئاسة قريش بعد قصى الى ابنه عبد مناف بن قصى فجاءه زاد وساد حتى
قال فيه الشاعر

كانت قريش بيضة فتفقأت * فالخ خالصه لعبد مناف

وكان اسمه المغيرة فدفعته أمه الى مناف وكان أعظم أصنام مكة تعظيمه فغلب
عليه عبد مناف وكان يسمى القمر لجماله فاستحسنت رياسته بعد أبيه لجوده
وسياسته ثم بينه فولد له هاشم وعبد شمس توأمان في بطن فقيل انه ابتدأ خروج

أحدهما وأصبه ملاءمة بجهة الآخر فلما أزيات دعى موضعها فقبل يكون بينهما دم ثم ولد بعدهما نوفل ثم المطلب وكان أصغرهم فساروا وتقدمهم هاشم لسخائه وسودده وكان اسمه عمر افسمى هاشم لانه أول من هشم الثريد لقومه بمكة في سنة لزبة فحطه رحل فيها إلى فلسطين فاشتري منها الدقيق وقدم به إلى مكة ونحمر الجزر وجعلها ثريد اعلم به أهل مكة حتى استقلوا فقال فيه الشاعر

يا أيها الرجل المحول رحله * هـ لا نزلت بال عبد مناف

الاخذون العهد من آفاقها * الراحلون رحلة الابل في

والرايشون وليس يوجد ريش * والقائلون هـ لم للضياف

والخالطون غنيهم بنقيرهم * حتى يكون فقيرهم كالكافي

عمر والهاشم الثريد لقومه * ورجال مكة مسنتون عجاف

وهاشم أول من سن الرحلتين لقريش رحلة الشتاء ورحلة الصيف وأراد أمية ابن عبد شمس أن يتشبه بهاشم في صنيعة فحجز عنه فشمته بهناس كثير من قريش فقال فيه وهب بن عبد قصى

تحمل هاشم ماضاق عنه * وأعيان يوم به بريض

أتاهم بالغرائر مثقلات * من الشام بالبر البغيض

فاوسع أهل مكة من هشم * وشاب اللحم بالظم الغريض

ونشبت العداوة بين أمية وهاشم وأراد منافرتهم ففكر هاشم ذلك لانسبه وقدره فلم تدعه قريش حتى نافرته إلى الكاهن الخزاعي في خمسة من ناقه سود الحديق ينحرها بين مكة والجلاء من مكة عشر سنين فنفر الخزاعي هاشما وقال لامية تنافر رجلا هو أطول منك قامه وأعظم منك هامة وأحسن منك وسامة وأقل منك لامة وأكثر منك ولدا وأجل منك صفرا فقال أمية من انتكاث الزمان ان جعلناك حكما فآخذ هاشم الابل فنصرها وأطعمها من حضره وخرج أمية إلى الشام فأقام بها عشر سنين فكانت هذه أول عداوة وقعت بين هاشم وأميه وملك هاشم الوفادة والسقاية واستقرت له الرياسة وصارت قريش له تابعة تنقاد لأمره وتعمل برأيه وتنافرت قريش وخزاعة إليه فخطبهم بمعاذ عن له الفريقان

بالطاعة فقال في خطبته أيها الناس نحن آل ابراهيم وذرية اسمعيل وبنو النضر
 ابن كنانة وبنو قصي بن كلاب وأرباب مكة وسكان الحرم لنا ذروة الحسب ومعدن
 الجود وكل في كل حلف يجب عليه نصرته واجابة دعوته الامادع الى عقوق عشيرة
 وقطع رحم يابني قعي أنتم كغصني شجرة أيها ما كسرت أوحش صاحبه والسيف
 لا يصان الا بغمده وراعي العشيرة يصديه سهمه ومن أمحكه اللجاج أخرجه الى
 البغي أيها الناس الحلم شرف والصبر ظفر والمعروف كنز والجود سود والجهل
 سفه والايام دول والاهر غير والمرء منسوب الى فعله وما أخذوا بعمله فاصطنعوا
 المعروف تكسبوا الحمد ودعوا الفضول تجانبكم السنهاء وأكرموا الجليس يعمر
 ناديم وحام والخليط يرغب في جواركم وأنصفوا من أنفسكم يوثق بكم
 وعليكم بكمارم الاخلاق فانها رفعة واياكم والاخلاق الدنيئة فانها تنزع الشرف
 وتهدم الحمد ألا وانهم نهية الجاهل أهون من خزيته ورأس العشيرة يحمل
 أثقالها ومقام الحليم عظة لمن انتفع به فقبالت قريش رضي نابتك أبا نضلة وهي
 كنيته فانظروا الى ما أمر به من شريف الاخلاق ونهى عنه من مساوي
 الافعال هل صدر الا عن غزارة فضل وجلالة قدر وعلو همة وما ذاك الا
 لاصطفاء يراد وذكر يشاء لان توالى ذلك في الآباء يوجب تناهيه في الابناء
 ومات هاشم بغزة من أرض الشام وهو أول من مات من ولد عبد مناف ثم مات
 عبد شمس بمكة فقبر باجباد ثم مات نوفل بسلطان من طريق العراق ومات
 المطالب بربما من أرض اليمن وكان هاشم قد تزوج بيثرب من الخزرج بسلي
 بنت عمرو النجارية فولدت له بيثرب عبد المطالب وكان اسمه شيبه الحمد ونشأ فيهم حتى
 مات أبوه هاشم وانتقلت عنه الرياسة والوفادة والسقاية الى أخيه المطالب ووصف
 له شيبه بيثرب فخرج فاستنزل أمه عنه حتى أخذه منها ودخل به مكة مردفاله
 فقالت قريش من هذا فقال عبيد بن ربيعة فسمى عبد المطالب الى أن مات فوثب عليه عه
 نوفل بن عبد مناف في ركن كان له فاعتصبه اياه والركم الساحة فسأل عبد المطالب
 رجالا من قومه النصره على عه فقالوا السناد اخلين بينك وبين عمك فلما رأى عبد
 المطالب ذلك كتب الى أخواله من بني النجار يقول

باطول ليلى لاشجاني وأشغالي * هل من رسول الى النجار أخوالى
 بنى ع — دياولا يزار او مازنها * ومالكاء صمة الجيران عن حالى
 وكنت ما كنت حيانا هاجذلا * أمشى الغضبية مصابالا ذىالى
 حتى ارتحلت الى قومي وأزجني * عن ذلك مطلب عى بهرحالى
 فغاب مطلب في قعر مظلمة * وقام نوفل كيده يدو على مالى
 أين رأى رجلا غابت همومته * وغاب أخواله عنه بلا والى
 أنحى عليه ولم يحفظ له رجلا * ما منع المربيعين الهم والحبالى
 فاستنقروا وامنعوا ضيم ابن أختكم * لا تخذلوه وما أنتم بخذالى
 ما مثلكم في بنى قحطان قاطبة * حتى لجار وانعام وافضالى
 أنتم لبيان لمن لانت عريكنه * سلامكم وسهام الابج العالى
 فقدم عليه ثمانون راكبا من بنى النجار ونصروه على عمه نوفل وارتجعوا منه الركن
 وعادوا وقد اشتد بهم عبد المطلب فدعا ذلك نو فلان حالف بنى عبد شمس على عبد
 المطلب وبنى هاشم ودعا ذلك عبد المطلب على ان حالف بنى هاشم على نوفل وبنى
 عبد شمس فقوى عبد المطلب وضعف نوفل وانتقلت السقاية والوفادة والرياسة
 الى عبد المطلب وأخذ نوفل عهدا من أكسرة العراق وصارت رحلته اليها وأخذ
 عبد المطلب عهدا من ملوك الشام واقبال حيرباليمن وصارت رحلته اليها وحفر
 عبد المطلب حين قوى واشتد بنز زمزم وأخرج منها ما كان ألقاه فيها عامر بن
 الحرث الجرهمي من غزالي الكعبة وحجر الركن فضرب الغزاليين صفا فذهب على
 باب الكعبة ووضع الحجر في الركن وصار عبد المطلب سيدا عظيم القدر مطاع
 الامر نجيب النسب حتى مرتبه اعرابي وهو جالس في الحجر وحوله بنوه كالاسد
 فقال اذا أحب الله انشاء دولة خلق لها أمثال هؤلاء فأنشأ الله لهم بالنبوة دولة خلد
 بها ذكركم ورفع به اقدركم حتى سادوا الانام وصاروا الاعلام وصار كل
 من قرب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من آباءه أعظم رياسته وتنوها وأكثر
 فضلا وتألها فحبى الزهري ويزيد بن رومان وصالح بن كيسان ان عبد المطلب بن
 هاشم نذر أنه منى رزق عشرة أولاد ذكورا ثم بين يديه رجلا أن ينصر أحدهم

للكعبة شكر الرب حين علم ان ابراهيم امر بذبح ولده تصورا من انه افضل من قربته
فلما استكمل ولده العدد وصار والده من أظهر العدد قال لهم يا بني كنت
نذرت نذرا علمتموه قبل اليوم فأتقولون قالوا الإمراك واليهك ونحن بين
يديك فقال لينطلق كل واحد منكم الى قدحه وليكتب عليه اسمه ففعلوا ثم أتوه
بالقداح فأخذها وجعل يرتجز ويقول .

عاهدته وأنا موفى عهده * والله لا يحمدي شي عهده
إذا كان مولاي وكنت عبده * نذرت نذرا لا أحبرده
ولا أحب أن أعيش بعده .

ثم دعا بالامين الذي يضرب بالقداح فدفع اليه قداحهم وقال حرك ولا تجعل وكان
أحب ولد عبد المطلب اليه عبد الله فضرب صاحب القداح السهم على عبد الله
فأخذ عبد المطالب الشفرة وأتى بعبد الله وأضجعه بين اشاف وثائلة وأنشأ
مرتجزا يقول عاهدته وأنا موفى نذره * والله لا يقدر شي قدره
هذابني قد أريد نحره * وان يؤخره يقبل عذره
وهم بذبحه فوثب اليه ابنه أبو طالب وكان أخا عبد الله لبيه وأمه وأمسك يد
عبد المطالب عن أخيه وأنشأ مرتجزا يقول

كلا ورب البيت ذى الانصاب * ما ذبح عبد الله بالتلعاب
يا شيب ان الريح ذو عقاب * ان لناجرة في الخطاب
أخوال صدق كاسود الغاب

فلما سمعت بنو مخزوم هذا من أبي طالب وكانوا أخواله قالوا صدق ابن أختنا
ووثبوا الى عبد المطلب فقالوا يا أبا الحرث أننا لنسلم ابن أختنا للذبح فاذبح من شئت
من ولدك غيره فقال اني نذرت نذرا وقد خرج القدح ولا بد من ذبحه قالوا كلا
لا يكون ذلك أبدا وفيما ذور روحه وانالته فديده بجميع أمواله من طارف وتالد
وأنشأ المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم مرتجزا يقول

يا عجباً من فعل عبد المطلب * وذبحه ابنا كتمثال الذهب
كلا وييت الله مستورا حجب * ما ذبح عبد الله فينا باللاعب

فدون ما ينبغي خطوب تضطرب

ثم وثب السادات من قريش الى عبد المطاب فقالوا يا أبا الحرث ان هـ ذا الذي
عزمت عليه عظيم وانك ان ذبحك ابنك لم تنهن بالعيش من بعد هـ ولا كن لاعليك
أنت على رأس أمرك تثبت حتى نسـ يرمعك الى كهنة بني سعد فإمرتك من
شيء فامتهله فقال عبد المطاب لكم ذاك وكنوا برون الكهانة حقاً ثم خرج في جماعة
من بني مخزوم نحو الشام الى الكهنة فلما دخلوا عابها أخـ برها عبد المطاب
بما عزم عليه من ذبح ولده وار تجزي قول .

يارب انى فاعـ لى لما ترد * ان شئت ألهمت الصواب والرشد
ياسائق الخير الى كل بلد * قد زدت فى المال وأكثرت العدد

فقال الكهنة انصرفوا عنى اليوم فانصرفوا وعادوا من الغـ فقلت كم دية
الرجل عنكم قالوا عشرة من الابل قالت فارجعوا الى بلدكم وقدموا هـ ذا الغلام
الذى عزمت على ذبحه وقدموا معه عشرة من الابل ثم اضربوا عليه وعلى الابل
القدح فان خرج القدح على الابل فانحروها وان خرج على صاحبكم فزيدوا فى
الابل عشرة عشرة حتى يرضى ربكم فانصرف القوم الى مكة وأقبلوا عليه يقولون
يا أبا الحرث ان لك فى ابراهيم أسوة فقد علمت ما كان من عزمه فى ذبح ابنه اسمعيل
وأنت سيد ولد اسمعيل فقدم مالك دون ولدك فلما أصبح عبد المطاب غداً لابنه
عبد الله الى الذبح وقرب معه عشرة من الابل ثم دعا بأمين القدح وجعل لابنه
قدحاً وقال اضرب ولا تجمـ بل فخرج القدح على عبد الله فجعلها عشرين فضرب
فخرج القدح على عبد الله فجعلها ثلاثين فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها
أربعين فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها خمسين فضرب فخرج القدح على
عبد الله فجعلها ستين فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها سبعين فضرب فخرج
القدح على عبد الله فجعلها ثمانين فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها تسعين
فضرب فخرج القدح على عبد الله فجعلها مائة فضرب فخرج القدح على الابل
فكبر عبد الله وكبرت قريش وقالت يا أبا الحرث انه قد أنعمـ بى رضاع بك وقد نجا
ابنك من الذبح فقال لا والله حتى أضرب عليه ثلاثاً فضرب الثانية فخرج على

الابل فضرب الثالثة فخرج على الابل فعم لم عبد المطلب انه قد أنهي رضاه به في فداء ابنه فارتحل يقول

دعوت ربي مخلصا وجهرا * يارب لا تنج ربي نحرنا
وقاد بالمال تجدي وفرا * أعطيك من كل سوام عشرين
عفو ولا تشمت عيونا جزرا * بالواضح الوجه المغشى بدرا
فالجمد لله الاجل شكرا * فليست والبيت المغطى سترا
محبذ لانعمة ربي كفرا * مادمت حيا وأزور القبرا

ثم قربت الابل وهي مائة من جملة ابل عبد المطلب فحضرت كلها فداء لعبد الله وترك في مواضعها الا يصد عنها احد ينقاه من دب ودرج فحرت السنة في الدية بمائة من الابل الى يومنا هذا وانصرف عبد المطلب بابنه عبيد الله فرحاف كان عبد الله يعرف بالذبيح ولذلك قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنا ابن الذبيحين يعني اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام وأباه عبد الله بن عبد المطلب وهذا من صنع الله تعالى لرسوله لما قدره من رسالته وقضاه من آيات نبوته فما يخلونبي من بلوى منذرة ولا ملك من بلية زاجرة هذا سليمان بن داود عليهما السلام وقد أعطاه الله مع النبوة ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وسأل الله تعالى الحكمة فاعطاه قابلا علميا وفهما سليما حتى وضع ثلاثة آلاف مثل تهذبت بها أخلاق قومه واستقامت بها اسيرة ملكه بعد أن مضت له الرياح تجري بأمره رخاء حيث أصاب ومضت له الشياطين بعد ما لون له ما يشاء من محارب وغمائل وجفان كالجواب وذكر في سيرته انه كان نزله في كل يوم من دقيق السميد ثلاثين أكرا ومن غير السميد أكرا وارتفاقه في كل سنة ستة وثلاثين ألف ألف ألف وثلاثة وثلاثين ألف ألف وثلاثمائة ألف مثقال وكان له ألف وأربعمائة قبل متفرقة في القرى وملك أربعين سنة كأيام داود فابتلاه الله تعالى في أثناء ملكه بعد عشرين سنة منه ما حكاه الله تعالى في كتابه بقوله ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب وفي فتنه قولان أحدهما ان سليمان سبي بنت ملك

غزاه في جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدوت فألقيت عليه محبتها وهي
 معرضة عنه تذكريها لا تنظر إليه الا شزرا ولا تكلمه الا تزرا ثم انهم سألته
 أن يصنع لها تمثالا على صورته فأمر به فصنع لها فاعظمته وسجدت له وسجد معها
 جوارها وصار صنما معبودا في داره وهو لا يعلم به حتى مضت أربعون يوما وفشا
 خبره في بني اسرائيل وعلم به سليمان فكسره ثم حرقه ثم ذراه في الريح وهذا قول
 شهر بن حوشب والثاني ان الله تعالى قد جعل ملك سليمان في خاتمه فقال لا تصف
 وهو شيطان اسمه آصف الشياطين كيف تضلون الناس فقال له الشيطان أعطني
 خاتمك حتى أخبرك فأعطاه خاتمه فألقاه في البحر حتى ذهب ماله وهذا قول
 مجاهد وفي الجسد الذي ألقى على كرسيه قولان أحدهما انه الشيطان الذي ألقى
 خاتم سليمان في البحر جلس على كرسى سليمان متشبا بصورته يقضي بغير الحق
 ويأمر بغير الصواب والثاني أكثر من غشى جواريه طابا للولد فولد له نصف
 انسان فكان هو الجسد الملقى على كرسيه و زال عن سليمان ملكه فخرج هاربا
 الى ساحل البحرية ضيف الناس ويحمل سموك الصيادين بالاجروا اذا أخبر الناس
 انه سليمان كذبوه الى أن أخذ حوته من صياد قيل انه استطعمها وقيل بل
 أخذها أجرة فلما شق بطنها وجد خاتمه في جوفها وذلك بعد أربعين يوما من زوال
 ملكه عنه وهي عدة الايام التي عبد فيها الصنم في داره فسجد الناس له حين عاد
 انطام اليه وقال يحيى بن أبي عمرو وجد خاتمه بعسقلان فشى فيها الى بيت المقدس
 تواضع الله وفي قوله ثم أناب تأويلان أحدهما ثم رجع الى ملكه قاله الضحاك
 والثاني ثم أناب من ذنبه قاله قتادة وبقي في ملكه بعد فتيه عشرين سنة استكمل
 بها الأربعين وهي مدة الايام الأربعين التي زال ملكه فيها وأما بلوى الملوك
 فان يختصر كان ملكه طبق عمارة الارض حتى ملك الاقاليم السبعة ودانت له
 ملوك الامم وأتوا اليه خراج بلادهم فطغى قلبه وشمخ أنفه فدخلته العزة
 واعتقد ان أم الخلق قد صاروا عبيدا له وخولا وان ملوك الارض دانت بطاعته
 خوفا ورهبا فغضب الله تعالى عليه وسلبه عزة سلطانه وسطوته وأزال عنه
 هيئته وقدرته وجعل قلبه مثل قلوب الحيوان فانخط عن سرير ملكه وتناه

أعوانه عنهم فسكن الفلوات بأكل حشيشها وابتل جسمه من قطر السماء حتى طال شعره وصارت أظفاره كخالب الطير حتى حال سبعة أحوال وهو في سكرة لا يدري الناس إلا أنه كنوع من الحيوان الذي في صورة البشر إلى أن استنقذه الله تعالى من كربة فثاب إليه عقله وزاجعه تمييزه فرجع يبصره إلى السماء عظما لله تعالى ومستجير به ومعترف أن لا سلطان إلا له يؤتيه من يشاء وينزع من يشاء فطلبه قواده ليردوه إلى سلطانه حتى وجدوه فاعادوه إلى دار عزه وأجلسوه على سرير ملكه فعاد إلى خوف الله تعالى ومراقبته وإلى ما كان عليه من جميل سيرته واستتاب دانيال النبي في خلافته وتبدير ملكه إلى أن مضى لسبيله بعد إحدى وخمسين سنة من ملكه ودانيال على خلافته وهو منهم من ملوك الفرس كسرى أبرويز بلغ في الملك مبلغا عظيما وكان في قصره اثنتا عشر ألف جارية منهم للاستمتاع ثلاثة آلاف جارية وباقيهن للغناء والخدمة وكان في داره ثلاثة آلاف رجل يقومون بخدمته وكان له ألف فيل ألفيل ومن الخيل والبغال خمسون ألف رأس منها مركبة ثمانية آلاف وخمسمائة وأمر أن يحصى ما يجتبي من خراج بلاده سنة ثمان عشرة من ملكه فكان - ثمانية آلاف درهم وعدد على ابنه شيرويه بعد قبضه عليه أنه قال أمرنا في سنة ثلاثين ملكا بأحصاء ما في بيوت أموال الناس وما أمرنا بعزله لارزاق الجند وكان من الورق أربع مائة ألف بكرة يكون فيها ألف ألف منقال وستمائة ألف ألف منقال سوى ما أفاءه الله تعالى علينا وزادنا من أموال ملوك الروم في سنة فن أقبلت بها الريح الينا فسمناه في الرياح ولم تزل ترد أدأموالنا إلى سنة ثمان هذه وهي سنة ثمان وثلاثين من ملكنا وفيها قبض عليه ابنه حتى قتله وقد ذكر له ما جع لانه استطال واحتقر الناس فانظر أيها المعتبر بعقله في صنع الله تعالى وقدرته فيمن يتأمله اختبارا ويبلوه ازدجارا هل لما قضاه من دافع وفيما ابتلاه من مانع إلا بلطف منه يؤتيه من يشاء وهو القوي العزيز

(فصل) وأما طاهرة مولده فان الله تعالى استخلص رسوله من أطيب المناكم وجاء من دنس الفواحش ونقله من أصلاب طاهرة إلى أرحام طاهرة وقد

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه في تأويل قول الله تعالى وتقبلك في الساجدين
أي تقبلك من أصـلاب طاهرة من أب بعد أب إلى أن جعلتك نبيا وقد كان نور
النبوة في آباءه ظاهرا **﴿حكي﴾** أن كاهنة بمكة يقال لها فاطمة بنت مثر الخثعمية
فرأت الكتب فترى عابد المطلب ومعه ابنة عبد الله يريد أن يزوجه آمنة بنت
وهب فرأت نور النبوة في وجه عبد الله فقالت هل لك أن تغشاني وتأخذ مائة من
الابل فعصم الله تعالى من اجابتها وقال لها

أما الحرام فالأمات دونه * والحل لاهل فاستبينه

فكيف بالامر الذي تبغيته

فلما تزوجت به آمنة وحملت منه برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لها هل
لك فيما قلت فلم تر ذلك النور في وجهه فقالت له قد كان ذلك مرة فاليوم لا ماذا
صنعت فقال زوجني أبي آمنة بنت وهب الزهرية فقالت قد أخذت النور
الذي كان في وجهك وأنشأت تقول

الآن قد ضيعت ما كان ظاهرا * عليك وفارقت الضياء المبارك

غدوت على خالها فبذلته * أغيرى هنيا فالحق بنسائها

ولا تحسب اليوم أمس وليتي * رزقت غلاما منك في مثل حالها

وداخلها الاسف على ما فاتها والحسرة على ما تولى عنها فحسدت آمنة على ما صار لها

فأنشأت تقول انى رأيت مخيلة تشأت * قتلا لائت كلالوا الفجر

ولما بها نور يضى به * ماحولها كاضاءة البدر

ورأيتها متبيننا شرفا * ما كل قاذح زنده يورى

لله ما زهر رية سلبت * ثوبيك ما استلبت وما تدرى

وأنذرت به بنى هاشم فقالت

بنى هاشم قد غادرت من أخيك * أمينة اذلباء يعتلجان

كغادر المصباح بعد خوده * فتائل قد دميت له بدهان

وما تل ما يحوى الفتى من بلاده * بحزم ولا ما فاتته لتوان

فأجل اذا طالبت أمرا فانه * سيكفيكه جـدان يعتلجان

ولما حوت منه أمينة ما حوت * منه فخار ما لذلك ثان
سيكفيه كما ما يد منغلة * واما يد مبسولة لبيان
وهذا من آيات الله تعالى في رسوله ابن عصم آباءه حين كان في ظهره أن يضعه من
سفاح حتى وضعه من زكاح ثم زالت العصمة به ودو ضعه حتى عرض بالطاب
بعد أن كان مظلوما ورغب فيه به إذ أن كان مرغوبا ثم لم يشركه في ولادته من
أبويه أخ ولا أخت لانتهاء صفة وتمام البينة وقصور نسبهما عليه ليكون مختصا
بنسب جعله الله تعالى للنبوة غاية ولتتدرج بها آية فيزول عنه أن يشارك فيه
ويعاثر به فلذلك مات أبواه عنه في صغره فأما أبوه عبد الله فمات عنه بمكة وهو
حامل وأما أمينة فماتت عنه بالمدينة وهو ابن ست سنين لانها رجعت اليها الزيارة
أخوالها من بني النجار فماتت بها عندهم واذا خبرت حال نسبه وعرفت طهارة
مولده علمت انه سلالة آباء كرام سادوا ورأسوا لانه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب
ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر
ابن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد
ابن عدنان ليس في آبائه حامل مستذل ولا مغمور مستذل كلهم سادة قادة
وهم أخص الناس بالإنسان كرم الطاهرة حتى تخرجوا من نكاح المحارم وان استباحه
غيرهم من العرب حتى حكى ان حاجب بن زرارة وهو سيد بني تميم نكح بنته وأولدها
وقد كان سماها دخنة وس باسم بنت كسرى وقال فيها حين نكحها امر تبحرا
يا ليت شعري عنك دخنة وس * اذا أتاه الله بالمرموس
أتصعب الذيابن أم تميم * لابل تميمس انهاء روس
وهذا في قريش من الفواخس * وفي السوراة أن لوطا نكح بنته من له فولدتا
غلامين ولهما ذرية كبيرة ولوط هو ابن أخي ابراهيم الخليل وقد تزوج ابراهيم
بنت أخيه سارة بنت هاران بن تارخ فتزهد قريش من هذه النكاح حفظا
لحرمة الارحام الدانية أن تنتهك بالنكاح العاهرة فتضع الحمية وتقل الغيرة
(فان قيل) يشارك الانبياء في شرف النسب وطهارة المولد غيرهم فلم يستحق
بهم النبوة (قيل) هما من شروط النبوة وان استصقت به غيرهما فلم يمنع أن يكون

لهما في النبوة تأثير معتبر ووصف مختبر

(الباب التاسع عشر في آيات مولده وظهور بركته صلى الله تعالى عليه وسلم)

آيات الملك باهرة وشواهد النبوات قاهرة تشهد مبادئها بالعواقب فلا يلبس فيها كذب بصدق ولا منتحل بمحقق وبحسب قوتها وانتشارها يكون بشاؤها وأندازها **و** ولما دنا مولد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم تغا طرت آيات نبوته وظهرت آيات بركته فكان من أعظمها شانا وأظهرها برهانا وأشهرها عيانا وبيانا أصحاب الفيل أنفذهم النجاشي من أرض الحبشة في جهود جيشه إلى مكة لقتل رجالها وسبي ذراريها وهدم الكعبة واختلف في سببه فذكر قومه أن إبراهيم بن الصباح استولى على اليمن مع نزيال النجاشي فبني بصرى بصرى كنيسة للنصارى واستعان في بنائها بقيقه صرو النجاشي حتى بناها في تشييدها وحسنها ليعدل بالعرب عن حج الكعبة إليها فأنكرته العرب ودخل إلى هيكلها بعض بني كنانة من قريش فحدث فيها فكتب إلى النجاشي يسأله بالفيصل وجيش الحبشة ليعزرو قريشا ويهدموا الكعبة فسار بهم وأخذ أبارغال من الطائف دليلا إلى مكة حتى أنزله بالمغمس ومات أبارغال بالمغمس فدفن فيه فرجت العرب قبره فهو القبر المرجوم بالمغمس وقال آخرون بل سببه أن نفرا من تجار قريش متروا ببيعة النصارى على شاطئ البحر فترلوا بئنائها وأوقدوا نار العمل طعماهم فاحترقت البيعة فأقسم النجاشي ليسبى مكة وليهدم الكعبة فأنفذ جيشه والفيصل مع إبراهيم بن الصباح وابن مكسوم وجرير بن سراحيل والاسود بن مقصود وكان النجاشي هو الملك وأبرهة صاحب جيشه على اليمن وأبو مكسوم وزيره وجرير والاسود من قواده فساروا بالجيش مع الفيصل حتى ترلوا بذي المجاز وتقدمهم الاسود بن مقصود فاستاق سرح مكة فقال فيه عبد الله بن مخزوم لا هم اخذ الاسود بن مقصود **و** الأخذ الهجمة بهد التقايد ويهدم البيت الحرام المعبود **و** المروتين والمشاعر السود اخذهم يارب وأنت معبود

وكان في السرح ما ثابته يزل عبد المطلب وقد قلد بعضها فخرج وكان وسما جسيما

الى أبرهة وسأله في ابله فقال له أبرهة قد كنت أعجبتني حين رأيتك وقد زهدت
 الآن فيك قال ولم قال جئت لأهدم الكعبة بيتا هودينك ودين آبائك فلم
 تسألني فيه وسألتني في ابلك فقال عبد المطلب أنار بابل والبيت رب غيري
 سيمنع منك فقال أبرهة ما كان ليمنعه مني ورد على عبد المطلب ابله مستهزئا
 ليعود فيأخذها فاحرزها عبد المطلب في جبال مكة وأتى الكعبة فأخذ حافة
 الباب وجعل يقول

يا رب ان المشرع حرامه فامنع حلالك
 لا يغار بن صايهم * ومحالمهم أباد محاللك
 ان كنت تاركهم * وكعبتنا فامر ما بدالك
 فلو سن فعلت فانه * أمر به فبالك
 اسمع بار جس من أرا * دوا العدو وانتهكوا حلالك
 جروا جميع بلادهم * والفيل كي يسبوا عياللك
 عمدا وحالك بكيدهم * جهلا ومارقبوا اجلالك

وتوجه الجيش الى مكة من طريق منى والفيل معهم اذا بعث على الحرم أحجم واذا
 أعدل عنه أقدم فوقه وابالغمس فقال أبو الطيب بن مسعود في ذلك وقيل بل قاله
 عبد المطلب ان آيات ربنا ساطعات * ما يبارى بها الا الكفور
 حبس الفيل بالمغمس حتى * متريعوى كانه معقور

وبصر أهل مكة بالطير قد أقبلت من ناحية البحر فقال عبد المطلب ان هذه غريبة
 بأرضنا ما هي نجدية ولا تهامة ولا حجازية وانها لا يشبه اليعاسيب وكان في
 مناقيرها وأرجلها حجارة فلما أظلت على القوم ألقت عليهم حتى هلكوا فأقلت
 من القوم أبرهة ورجع الى اليمن فأت في طريقه بعد ان كان يسقط من جسده
 عضو عضو حتى هلك ولما تأخر القوم عنهم واستجمع خبرهم عليهم قال عبد
 المطلب يا رب لا ترجو لهم سواك * يا رب فامنع منهم حماكا
 ان عدوا البيت من عاداكا * امنعهم ان يخربوا قراكا
 وبعث ابنه عبد الله ليأتيه بخبرهم فوجد جميعهم قد شذختم الاحجار حتى هلكوا

فعاذرا كضالى عبد المطلب وأصحابه وأخذوا أموالهم فكانت أول أموال بني
عبد المطلب فأنشأ من تجزأ يقول

أنت منعت الجيش والأفبالا * وقد درعوا بكه الأخيالا
وقد خشينا من نهم الفتة الا * وكل أمر لهم معضالا
شكرا وحدا لك ذا الجلالا

وهو آية الرسول من قصة الفيل انه كان في زمانه حملا في بطن أمه بكة لانه ولد بعد
خمسين يوما من الفيل وبعد موت أبيه في يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع
الأول ووافق من شهر روم العشرين من شباط في السنة الثانية عشر من ملك
هرمز بن أنوشروان وحكي أبو جعفر الطبري ان مولده كان الاثنين وأربعين سنة
من ملك أنوشروان (فكانت آيته) في ذلك من وجهين أحدهما انهم لو ظفروا
لسبوا واسترقوا فأهملهم الله تعالى لصيانته رسوله أن يجري عليه السبي حملا
ووليدا والثاني انه لم يكن لقريش من التآله ما يستحقون به رفع أصحاب الفيل
عنهم وما هم أهل كتاب لانهم كانوا بين غابضهم أو متدين وثن أو قاتل بالزندقة
أو مانع من الرجعة ولكن لما أراد الله تعالى من ظهور الاسلام تأسيس النبوة
وتعظيم الكعبة وأن يجعلها قبلة للصلاة ومنسكا للحج (فان قيل) فكيف منع عن
الكعبة قبل مصيرها قبلة ومنسكا ولم يمنع الحجاج من هدمها وقد صارت قبلة
ومنسكا حتى أحرقها ونصب المنحنيق عليها فقال فيها على ما حكى عنه
كيف تراها ساطعا غبارا * والله فيما يزعمون جاره

وقال رام بها بالمنحنيق

قطارة مثل القنيق المزبد * أرى بها أعواد كل مسجد

(قيل) فعل الحجاج كان بعد استقرار الدين فاستغنى عن يات تأسيسه وأصحاب الفيل
كانوا قبل ظهور النبوة فجعل المنع منها آية لتأسيس النبوة ومحج الرسالة على
ان الرسول قد أنذرهم بها فصار الهدم آية بعد ان كان المنع آية فلذلك
اختلف حكمهما في الحلالين والله تعالى أعلم * ولما انتشر في العرب ما صنع الله
تعالى بجيش الفيل تهيبوا الحرم وأعظموه وزادت حرمة في النفوس ودانت

لقريش بالطاعة وقالوا أهل اللهقاتل عنهم وكفاهم كيد عدوهم فزادوهم
 تشريفا وتعظيما وقامت قريش لهم بالوفادة والسدانة والسقاية والوفادة مال
 تخرجه قريش في كل عام من أموالهم يصنعون بطعاما للناس أيام منى فصاروا
 أئمة ديانين وقادة متبوعين وصار أصحاب القيل مثلا في الغابرين وروى هشام
 ابن محمد الكلابي عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه خرج في الجاهلية
 تاجرا إلى الشام فترى زبعا بن رزوح وكان عشبارا فأساء إليه في اجتيازته وأخذ مكنسه
 فقال عمر بعد انقضائه

متى ألف زبعا بن رزوح بيادة * إلى النصف منها يقرع السن بالندم
 ويعلم أنامن لؤى بن غالب * مطاعين في الهيجا مضارب في التهم
 فبلغ ذلك زبعا فجهر جيشا لغزو مكة فقبل له أنها حرم الله ما أرادها أحد بسوء إلا
 هلك كاصحاب القيل فكف زبعا وقال

تأني أخوفه راقى ودونه * قراطبة مثل الليوث الحواظر
 فوالله لولا الله لاشئ غـيره * وكعبته راقى اليكم معاشري
 لا تقتل منكم كل كهل معمم * وأسبى نساء بين جمع الابعار
 فبلغ ذلك عمر رضوان الله تعالى عليه فأجابه وقال

ألم تر أن الله لهلك من بنى * عاينا قد عافى قديم العاسر
 وأردى أبامكسوم أبرهة الذي * أنا نامة يرا كالفتيق المخاطر
 بجمع كثير يخرج العين وسطه * على رأسه تاج على رأس باكر
 فإرا عنا من ذلك العبد كيد * وكنابه من بين لاه وسائر
 وقال سأبني البيت هدموا ولا أرى * بمكة ماش بين تلك المشاعر
 فرداه رب العرش عنارداه * ولم ينجه اعظامه بالأسائر
 فأهلكه والتابعين له معا * وأسرى به من ناصر ومناصر
 وليس لنا فاعلم وليس أيتنا * سوى الله من مولى عزيز وناصر
 فدونك زرناتلق مثل الذي لقوا * جميعهم من دارعـين وحاسر
 وكان شأن القيل رادع الكل باغ ودافع الكل طامغ وقد ناصر رسول الله صلى

الله تعالى عليه وسلم في زمن نبوته وبعد هجرته جماعة شاهدوا القليل وطيرا لآبائيل
 منهم حكيم بن حزام وحاطب بن عبد العزى ونوفل بن معاوية لأن كل واحد من
 هؤلاء عاش مائة وعشرين سنة من هاستين سنة في الجاهلية وستين سنة في الاسلام
 (فصل) ولما حلت آمنه بنت وهب برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حدثت
 انها أتت فقيلا لها انك قد حلت بسيد هذه الامة فاذا وقع على الارض فقولى
 أعينه بالواحد من شر كل حاسد ثم تسميه محمدا ورأت حين حلت به أنه خرج
 منها نور رأت منه قصور بصرى من أرض الشام قالت أم عثمان بن العاص
 شهدت ولادة آمنه برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وكان ليل لا فاشئ أنظر اليه
 من البيت إلا نور واننى أنظر الى النجوم تدنو وانى أقول لتقمن على والماوض عنه
 تركت عليه في ليلة ولادته جفنة فانقلبت عنه فكان من آياته ان لم تحوه
 وأرسلت الى جده عبد المطالب ان قد ولد لك غلام فأتته فانظر اليه فأتاه ونظر اليه
 وحدثته بما رأت حين حلت به وما قيل لها فيه وما أمرت أن تسميه فقبل ان عبد
 المطالب أخذه فدخل به على هبل في جوف الكعبة فقام عنده يدعو ويشكر بما
 أعطاه ثم خرج به الى أمه فدفعه اليها وقال قد رأى فيه سمات المجد وتوسم فيه أمارات
 السوداء ان محمدا ان يموت حتى يسود العرب والعجم وأنشأ يقول
 الحمد لله الذى أعطانى * هذا الغلام الطيب الاردان
 أعينه بالواحد * دالمان * من كل ذى عيب وذى شنان
 حتى أراه شامخ البنيان

(فصل) ولم يزل موفورا البركة على كل لا تذبذبه وكافله فروى جهم بن أبى الجهم
 عن عبد الله بن جعفر قال لما ولد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قدمت حليلة
 بنت الحرث بن عبد العزى تلتبس الرضعا في سنة شعبة قالت ومعنا شارف والله
 ما يبض لنا بقطرة من لبن ومعى بنى تلى منه وما نجب في ندي ما نعلله الا أنا نرجو
 الغيث وكانت لنا غنم فحسن نرجوها فلما قدمنا مكة لم يبق منا امرأة الا عرض
 عليها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فلم تقبله وكرهناه ليمه فأخذ كل
 صواحبي رضعا ولم أجد غيره فأخذته وأتيت به رحلى فوالله ان هو الا ثبت في

الرحل وأمسيت فأقبل ثدياي بالابن حتى أرويته وأرويت أخاه وقام أبوه إلى
 شارفتا تلك ليمسه بيده فاذا هي حافل فحلبها ماروانى من لبنها وروى الغلمان
 فقال يا حليلة والله لقد أصبنا نسمة مباركة ثم اغتدينا راجعين إلى بلادنا فركبت
 أتاني وجملة معي فوالذي نفس حليلة بيده لقد طفت بالركب حتى إن النسوة
 ليقلن يا حليلة امسكي عنا أهـ ذه أتانك التي خرجت عليها قلت نعم فقلت والله إنى
 لا أرجو أن أكون قد حلت عليها غلاما مابا وكألت في مكان الله يزيدنا به في كل يوم
 خيرا وإن غمنا لتعود من الرعي بطانا حفا ولا تعود غم الناس خما صاجيا عا قالت
 فبينما هو يارب خلف البيوت وأخوه في بهم لنا إذ أتاني أخوه يشتمه فقال إن أخى
 القرشى جاءه رجلان عليهم مائوبان أبيضان فأخذه فأضجعه وشق بطنه فخرجت
 أنا وأبوه فوجدناه قائما قد انتقع لونه فلما رأنا جهش الينا باكية قالت فالتزمته
 أنا وأبوه وقلنا له مالك فقال جاءني رجلان فأضجعا في شق بطني وصنعاني يلم رداه
 كما هو قال أنس بن مالك جاءه جبريل فصرعه فشق بطنه فاستخرج القلب ثم
 شق القلب فاستخرج منه عاقرة فقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله ثم لأمه ثم
 أعاده مكانه قال أنس قد كنت أنظر إلى أثر الخيط في صدره ثم إن زوج حليلة
 قال لها يا حليلة لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب فالحق به باهلا قبل أن
 يظهر به ذلك فاحتملته حليلة حتى قدمت به على أمه آمنة فقالت أمه ما أقدمك
 به يا ظئر قالت قد قضيت الذي علي وتخوفت الأحداث عليه فأدبته إليك كما تحبين
 قالت ما هذا شأنك فأصديقني فأخبرتها حليلة بحاله وقالت تخوفت عليه الشيطان
 فقالت أمه كلا والله ما للشيطان عليه سبيل وإن له لشأنا وإنى رأيت حين حملت به أنه
 خرج مني نور أضاءت منه قصور بصرى ووقع حين ولده وأنه لو أضع يده بالارض
 رافع رأسه في السماء دعيه فانطأ في راشدة وفي هذا الخبر من آياته ما تدعى النفوس
 بحكمة نبوته

(فصل) وروى محمد بن اسحق قال حدثني بعض أصحابنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله
 تعالى عليه وسلم قال لقد رأيته وأنا غلام يضع بكهة مع غلمان قریش يحمل حجارة
 على أعناقنا وقد حملنا أزرنا فوطأنا على رقابنا إذ دفعني دافع ما أراه وقال أشدد عليك

ازارك فشدت ازاري وهذا من نذر الصيانة ليكون علمنا نشأ ولها ألفا
 (فصل) وروى علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أنه قال سمعت رسول الله
 صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ما هممت بشئ مما كان في الجاهلية يعملون به غير
 مرتين كل ذلك يحول الله تعالى بيني وبين ما أريد فاني قلت ليله لعلام من قريش
 كان يرعى معي باعلى مكة لو أبصرت الى غنمي حتى أدخل مكة فاسمهم اما يسمي
 الشباب فقال أدخل فلخرجت أريد ذلك حتى اذا جئت أول دار من دور مكة
 سمعت عزفا بالدقوف والمزامير فقلت ما هذا قالوا فلان بن فلان تزوج فلانة ابنة
 فلان فجلست أنظر اليهم فضرب الله على أذني فممت فما أيقظني الا مس الشمس
 قال فجئت صاحبي فقال ما فعلت فقلت ما صنعت شيئا وأخبرته الخبر قال ثم قلت له
 ليله أخرى مثل ذلك فقال افعل فلخرجت فسمعت حين جئت مكة مثل ما سمعت
 ودخلت مكة تلك اليلة فجلست أنظر فضرب الله على أذني فوالله ما أيقظني
 الا مس الشمس فرجعت الى صاحبي فاخبرته الخبر ثم ما هممت بعد هما بسوء حتى
 أكرمني الله برسالته فهذه أحوال عصمته قبل الرسالة وصدده عن دنس الجاهلية
 فافتضى أن يكون بعد الرسالة أعظم ومن الادناس أسلم وكفى به هذه الحال أن
 يكون من الاصفياء الخيرة ان أمهل ومن الاتقياء البررة ان أغفل ومن أكبر
 الانبياء عند الله تعالى من أرسل مستخلص الفطرة على النظرة وقد أرسله الله
 تعالى بعد الاستخلاص وطهره من الادناس فانفتحت عنه تهم الظنون وسلم
 من ازدراء العيون ليكون الناس الى اجابته أسرع والى الانقياد له أطوع
 (فصل) ولما نشأ رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في قريش على أحد
 هدي وصيانة وأكمل عناف وأمانة سموه الامين بعد اختياره وقدموه
 لفضله ووقاره ونشاوروا في هدم الكعبة وبنائها القصر بمكة هاو كان فوق القامة
 وسعة حيطانها وكان يتهاقت فأرادوا تجديد هاو تعليتها وخافوا من الاقدام على
 هدمها وكان للكعبة كنز وجدوه عند دويك مولى ابني ملج من خزاعة وأخذته
 قريش منه وقطعت يده واتهموا به الحرث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف أن
 يكون قد تولى أخذه وأودعه عند دويك فنافروه الى كاعنة من كهان العرب

فسجعت عليه من كهانتها أن لا يدخل مكة عشرين عاماً استحل من حرمة الكعبة
 فكان يجول حول مكة حتى استوفى العشر وكان يظهر في الكعبة حية يخاف
 الناس منها لا يدنو منها أحد إلا اخزألت وفتحت فاه فتوقفوها إلى أن علت ذات
 يوم على جدار الكعبة فسقط طائر فاخطفها فقالت قريش انالرجو أن
 يكون الله قد رضى ما أردنا وكان البحر قد قدف سفينة على ساحل جدة لرجل من
 تجار الروم وكان بكهنة تجار من القبط فهاهم تسقيف الكعبة بنحش السفينة فلما
 أزمعوا على هدمها قام أبو وهب بن عمرو وكان خال رسول الله صلى الله تعالى عليه
 وسلم ذا شرف وقدر فأخذ حجر من الكعبة فوثب الحجر من يده حتى عاد في موضعه
 فقال يا معشر قريش لا تدخلوا في بنيانهم من كسبكم الا طيبا ولا تدخلوا فيها مهر
 بنى ولا بيع ربوا ولا مظلة أحد من الناس وتصورت قريش أن عود الحجر من يد أي
 وهب إلى موضعه أن الله تعالى قد كره هدمها فهاهم وقال الوليد بن المغيرة أنا
 أبدؤكم في هدمها فأخذ المول وقام عليها وهو يقول اللهم لا تريد الا الخير ثم هدم
 الركنين فتربص الناس به تلك الليلة وقال ننظر فان أصيب لم نهدم وان لم يصب
 هدمناها وقدرضى ما صنعنا فاصبح الوليد من ليلته وعاد إلى عمله وتحاصت
 قريش الكعبة فكان شق البيت ابني عبد مناف وزهرة وما بين الركن الاسود
 والركن اليماني ابني مخزوم وتيم وقبائل انضمت اليه من قريش وكان شق الحجر
 والحطيم لبني عبد الدار وبني عبد العزى وبني عدى وكان ظهر الكعبة لبني جمح
 وبني سهم حتى انتهوا إلى الاساس فافضوا إلى حجارة خضر قبل انها كانت على
 قبرا سمع بل فضر بوا المول بين حجرين فلما تحركا انتفضت مكة بأسرها فكفوا
 وانتهوا إلى أصل الاساس ونجعت كل قبيلة حجارة ما هدمت وبنوا حتى انتهوا إلى
 ركن الحجر فتنازعت القبائل فيمن يضع الحجر في موضعه من الركن فأقبلوا حتى
 مكثوا أربع ليال أو خمساً ثم اجتمعوا في المسجد فتشاوروا فقال أبو أمية بن المغيرة
 وكان أمين قريش في وقته يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول
 رجل يدخل من باب هذا المسجد فكان أول داخل عليهم رسول الله صلى الله تعالى
 عليه وسلم فقالوا هذا محمد وهو الامين فقالوا قد رضينا به لما قد استقر في نفوسهم

من فضله وأمانته فلما وصل اليهم أخبروه فقال اثنتون ثوباً فأثوب فأخذ الحجر ووضع فيه يده وقال ليأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب وليرفعوه جميعاً ففعلوا فلما بلغ الحجر إلى موضعهم وضعه فيه يده فكان هذا الفعل من مستحسن أفعاله وآثاره والرضاء به من أمارات طاعته وكان ذلك بعد عام الفجار بخمسة عشرة سنة ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يومئذ ابن خمس وثلاثين سنة فكان ذلك تأسيساً لما يريد الله تعالى به من كرامته وتوطئة لقبول ما تحمله من رسالته والله أعلم بغيب ما ستأثر من علمه

(الباب العشرون في شرف أخلاقه وكمال فضائله صلى الله تعالى عليه وسلم)

المهم بالاشرف الاخلاق وأجل الافعال المؤهل لأعلى المنازل وأفضل الاعمال لانها أصول تقود إلى ما ناسبها ووافقها وتنفر عما يئنها وخالفها ولا منزلة في العالم أعلى من النبوة التي هي سفارة بين الله تعالى وعباده تبعث على مصالح الخلق وطاعة الخالق فكان أفضل الخلق بها أخص وأكملهم بشر وطهاً أحق بها وأمس ولم يكن في عصر الرسول وما داني طرفيه من قاربه في فضله ولا دانه في كماله خلاقاً وخلقاً وقولاً وفعللاً وبذلك وصفه الله تعالى في كتابه بقوله وانك لعلى خلق عظيم (فان قيل) فليست فضائله دليلاً على نبوته ولم يسمع بنبي احتج بها على أمته ولا عول عليها في قبول رسالته لانه قد يشارك فيها حتى يأتي بمعجز يخرق العادة فيعلم بالمعجز انه نبي لا بالفضل (قيل) الفضل من أماراتها وان لم يكن من معجزاتها ولان تكامل الفضل معوز فصار كالمعجز ولان من كمال الفضل اجتناب الكذب وليس من كذب في ادعاء النبوة بكامل الفضل فصار كمال الفضل موجباً للصدق والصدق موجباً لقبول القول فجاز أن يكون من دلائل الرسل

(فصل) فاذا وضع هذا قال كمال المعترف في الشر يكون من أربعة أوجه أحدها كمال الخلق والثاني كمال الخلق والثالث فضائل الاقوال والرابع فضائل الاعمال فأما الوجه الاول في كمال خلقه به دأته دال صورته فيكون بأربعة موصاف أحدها السكينة الباعثة على الهيبة والتعظيم الداعية إلى التقديم والتسليم وكان أعظم مهيب في النفوس حتى ارتاعت رسل كسرى من هيئته

حين أتوه مع ارتياضهم بصولة الاكثرة ومكاثرة الملوك الجبارة فكان في نفوسهم أهيب وفي أعينهم أعظم وان لم يمتعظوا بأهبة ولم يتطاول بسطوة بل كان بالتواضع موصوفا وبالوطاء معروفاء

(فصل) والثاني الطلاقة الموجبة للاخلاص والمحبة الباعثة على المصافاة والمودة وقد كان محبوبا ولقد استحكمت محبة طلاقته في النفوس حتى لم يقله مصاحب ولم يتباعد منه مقارب وكان أحب الى أصحابه من الآباء والابناء وشرب البارد على للظما

(فصل) والثالث حسن القبول الجالب لما يله القلوب حتى تسرع الى طاعته وتذعن بموافقته وقد كان قبول منظره مستوليا على القلوب ولذلك استحكمت مصاحبته في النفوس حتى لم ينفر منه معاند ولا استوحش منه مباعد الا من ساقه الحسد الى شقوته وقاده الحرمان الى مخالفته

(فصل) والرابع ميل النفوس الى متابعتة وانقيادها لموافقته وثباته على شدائده ومصابرته فاشد عنه معها من أخلاص ولا ندعنه فيها من تخصص وهذه الاربعة من دواعي السعادة وقوانين الرسالة وقد تكاملت فيه فيكمل لما يوازيها واستحق ما يقتضيها

(فصل) وأما الوجه الثاني في كمال أخلاقه فيكون بست خصال احداهن رجاحة عقله وصحة وهمه وصدق فراسته وقد دل على وفور ذلك فيه صحة رأيه وصواب تدبيره وحسن تألفه وأنه ما استعمل في مكيمة ولا استعجز في شديدة بل كان يلحظ العجز في المبادئ فيكشف عيوبها ويحل خطوبها وهذا لا ينتظم الا بأصدق وهم وأوضح جزم

(فصل) والخصلة الثانية ثباته في الشدائد وهو مطلوب وصبره على البأساء والضراء وهو مكروب ومحروب ونفسه في اختلاف الاحوال ساكنة لا يجوز في شديدة ولا يشكين لعظيمة أو كبيرة ويقدر على الخلاص أو بالشر وهو لا يزداد الا اشتدادا وصبرا وقد لقي بمكة من قريش ما يشيب النواصي ويهد الصياصي وهو مع الضعف يصار صبرا صبرا المستعلي ويثبت ثبات المستولي وهو روي

حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لقد
 أخفت في الله وما يخاف أحد واقد أوديت في الله وما يؤذي أحد ولقد أتت على
 ثلاثون من بين يوم وليلة ومالي وابلال طعام يأكله ذكبد الاشئ يواريه ابط بلال
 * وروى عبد الرحمن بن زيد عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت ما شبع آل محمد
 من الشعير يومين حتى قبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومن صبر على
 هذه الشدة أئد في الدعاء الى الله تعالى امتنع أن يريد به الدنيا وقد زويت عنه
 وما ذاك الا لطلب الآخرة ومستحيل من كذب في ادعائه اليها أن يسـتوحشها
 أو كذب على الله تعالى أن يثاب بها

(فصل لـ) والخصلة الثالثة زهده في الدنيا واعراضه عنها وقناعته بالبلاغ
 منها فلم يعل الى غضارتها ولم يله لحلاوتها * وروى سفيان الثوري عن حبيب بن
 أبي ثابت عن خيثمة بن عبد الرحمن قال قيل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان
 شئت أعطيت خزان الأرض ما لم يعط أحد قبلك ولا يعطاه أحد بعدك ولا
 ينقصك في الآخرة شيئا قال اجعوه هالي في الآخرة فتزلت تبارك الذي ان شاء
 جعل لك خيرا من ذلك جنات تجري من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا * وروى
 هلال بن أبي خباب عن عكرمة عن ابن عباس أن عمر بن الخطاب رضوان الله تعالى
 عليه دخل على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو على حصير قد أثر في جسمه
 فقال له يا رسول الله لو اتخذت فراشا أو طأ من هذا فقال ما لي وللدنيا ما لي وللدنيا
 والذي نفسي بيده ما هم لي ومثل الدنيا الا كراكب سار في يوم صائف فاستظل
 تحت شجرة ساعة من النهار ثم راح وتركها * وروى حميد بن بلال بن أبي بردة قال
 أخرجت البنا عائشة رضي الله تعالى عنها كساء ملبذوا زارا غليظا وقالت
 قبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في هذين هذا وقد ملك من أقصى الحجاز
 الى عذار العراق ومن أقصى اليمن الى مصر عمان وهو أزهـد الناس فيما يقتنى
 ويتنـز وأعرضـهم ما يستغاد ويحتكر لم يخلف عينا ولا دينـا ولا حفر نـرا
 ولا شيد قصرا ولم يورث ولده وأهله متاعا ولا مالا يـمرفهم عن الرغبة في الدنيا
 كما صرف نفسه عنها فبكونوا على مثل حاله في الزهد فيها * وروى أبو سلمة عن أبي

هريرة قال جاءت فاطمة عليها السلام الى أبي بكر رضي الله تعالى عنه تريد الميراث
 فنعها فقال من يرثك قال ولدي وأهلي فقالت فلا ترث رسول الله صلى الله تعالى
 عليه وسلم بنته فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه سمعت رسول الله صلى الله تعالى
 عليه وسلم يقول انا انور ثمار تر كنافه وصدقة فمن كان رسول الله صلى الله تعالى
 عليه وسلم يعوله فأما أبوه ومن كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ينفق عليه
 فأنا أنفق عليه وحث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على الزهد في الدنيا
 والاعراض عن التلبس بها ليكون عوناً على السلامة من تبعاتها وصرف
 النفوس عن شهواتها * وروى عبد المطلب بن حاطب عن أبي موسى الأشعري
 أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من أحب دنياه أضرباً بآخرته فأثروا
 ما يبقى على ما ينفي * وروى عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
 حب الدنيا رأس كل خطيئة * وروى أبو حكيم عن أبي الدرداء قال قال رسول الله
 صلى الله تعالى عليه وسلم احذروا الدنيا فانها أتمهر من هاروت وماروت * وروى
 عمرو بن مرة عن أبي جعفر قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يعجب كل
 العجب للصديق بدار الخلود وهو يسعى لدار النور * وروى عوف عن الحسن قال
 قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم انما مثل الدنيا كمثل الماء على الماء
 هل يستطيع الذي يسعى على الماء أن لا يتبل قدماه وهذه الدواهي والوصايا
 ما اقتدى به خلفاؤه في زهده وانتقلوا بالامور من بعده فكان أبو بكر يتخلى
 عبادة له وهو خليفة فسمى ذالخلالين وكان عمر يلبس مرقعة من صوف فيها
 رفاع من آدم ويطوف في الاسواق على عاتقه درة يؤدب بها الناس ويمر بالنوى
 فيلقطه ويلقيه في منازل الناس حتى ينفذ عوابه ويطوف وحده في الليل عساً
 ويتطلع غوامض الامور تجسساً لئلا يمر بالمعروف وينهى عن المنكر وكان
 عثمان يقوم اليه لكله يختم القرآن في ركعة وجاد به له وفدى الخلق بنفسه وقال
 انما أنا عبداً لكل العبد وأشرب كما يشرب العبد واشترى على رضي الله
 تعالى عنه وهو خليفة ثمانية وثلاثين دراهم وقطع كفه من موضع الرسغين وقال الحمد

الله الذي هذا من ريشه ولم يزل يأكل الخشب ويلبس الخشن وافرقت الاموال حتى رشت بيت المال ونام فيه وقال يا صفراء يا بيضاء غثرى غيرى وحقيق عن كان في الدنيا بهذه الزهادة حتى اجتذب أصحابه اليها أن لا يتهم بطلها ويكذب على الله تعالى في ادعاء الآخرة بها ويقنع في العاجل وقد سلب الاجل بالميسور التزور ورضى بالعيش الكدر * وقد روى الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول في شهر رمضان قدي غداك المبارك وقالت رب عالم يكن الاغترين * وروى عبد الله بن مسleme عن مالك ابن أنس أنه بلغه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم يدخل المسجد فوجد أبا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما فاسألهما فقال ما أخرجكما فقالا أخرجنا الجوع فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وأنا أخرجني الجوع فذهبوا الى أبي الهيثم بن التيهان فأمر له بمنظلة أو شعير عذبه يعمل وقام فذبح لهم شاة فقال له نكب عن ذات الدتر واستعذب لهم ماء علق علي نخلة ثم أو تواب ذلك الطعام فاكلوا منه وشربوا من ذلك الماء فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لم تسألن عن نعيم هذا اليوم ثم ما كوا الدنيا فرفضوها واقتنعوا بالبلاغة فيها

(فصل) والخصلة الرابعة تواضعه للناس وهم أتباع وخفض جناحه لهم وهو مطاع يمشي في الاسواق ويجلس على التراب ويمتريج باعها به وجلسانه فلا يميز عنهم الا بطرقه وحيانه فصار بالتواضع متميزا وبالتذل متعززا ولقد دخل عليه بعض الاعراب فارناع من هيئته فقال خفض عليك فانما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بكمه وهذا من شرف أخلاقه وكريم شيمه فهي غريزة فطر عليها وجبلة طبع بها لم تندرقعة ولم تحصر فتحة

(فصل) والخصلة الخامسة حلمه ووقاره عن طيش بهزه أو خرق يستفزه فقد كان أحلم في الفار من كل حلیم وأسلم في الخصام من كل سليم وقدمني بحفوة الاعراب فلم يوجد منه نادرة ولم يحفر عليه بادرة ولا حلیم غيره الا ذو عثرة ولا وفور سواه الا ذو حفوة فان الله تعالى عهده من نزغ الهوى وطيش القذرة بحفوة أو عثرة اكون بأتمه مرؤفا وعلى الخلق عطوفا قد تناولته قريش بكل

كبيرة وقصدته بكل جريرة وهو صبور عليهم ومعرض عنهم وماتفرّد بذلك
 سهفهاؤهم دون حملائهم ولا أراذلهم دون عظمائهم بل تمّالا عليه الجملة
 والدون في كما كانوا عليه من الأمر وألح كان عنهم أعرض وأصفح حتى قهر فغفا
 وقدر فغفر وقال لهم حين ظفروهم عام الفتح وقد اجتمعوا إليه ما ظنكم بي قالوا
 ابن عم كريم فاك تعف فذاك الظن بك وإن تمنتقم فقد أسأنا فقال بل أقول كما قال
 يوسف لأخوته لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين قال صلى
 الله تعالى عليه وسلم اللهم قد أذقت أول قريش ذكلا فأنتق آخرهم نوالا وأنته
 همد بنت عتبة وقد بقرت بطن عمه حمزة ولا كنت كعبه فصفع عنها وأعطاه هدية
 لبيعتها (فان قيل) فقد ضرب رقاب بني قريظة صبرا في يوم أحد وهم نحو سبع مائة
 فأين موضع العفو والصفح وقد انتقم انتقام من لم يعطفه عليهم رحمة ولا داخلته
 لهم رقة (قيل) إنما فعل ذلك في حقوق الله تعالى وقد كانت بنو قريظة رضوا
 بتحكيم سعد بن معاذ عليهم فحكم أن من جرت عليه الموسى قتل ومن لم تجر عليه
 استرق فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هذا حكم الله من فوق سبعة أرفعة
 فلم يجز أن يعفو عن حق وجب لله تعالى عليهم وإنما يختص عفوهم بحق نفسه

(فصل) والخصلة السادسة حفظه للعهد ووفائه بالوعد فانه ما نقض لمحافظة
 عهدا ولا أخلف بمراقب وعدا يرى الغدر من كبار الذنوب والاخلاف من
 مساوي الشيم فيلتزم فيهما الاغلاظ ويرتكب فيهما الاصب حفظ العهد
 ووفاء بوعدته حتى يبتدى معاهدوه بنقضه فيجعل الله تعالى له مخرجا كقفل
 اليهود من بني قريظة وبني النضير وكقفل قريش يصلح الحديدية فحمل الله
 تعالى في نكثهم الخيرة فهذه ست خصال تكاملت في خلقه فضله الله تعالى بها
 على جميع خلقه

(فصل) وأما الوجه الثالث في فضائل أقواله فمعتبر بثمان خصال احدها
 ما أوتي من الحكمة البالغة وأعطى من العلوم الجمة الباهرة وهو أسمى من أمة
 أمية لم يقرأ كتابا ولا درس علما ولا صاحب عالما ولا معلما فأتى بما بهر العقول
 وأذهل الفطن من اتقان ما أبان وإحكام ما أظهر فلم يعثر فيه بزال في قول

أو عمل وجعل مدار شرعه على أربعة أحاديث أو جزئها المراد وأحكامكم بها
الاجتهاد أحدها قوله انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى والثاني
قوله الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور مشتبهات ومن يحم حول الحمى
يوشك أن يقع فيه والثالث قوله من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه والرابع
قوله دع ما يريبك الى ما لا يريبك وقد شرع من تقدم من حكماء الفلاسفة سننا
جاءوا الناس على الدين ثم احدين علموا انه لا صلاح للعالم الا بدين ينقادون له
ويعملون به مما راق لها اثر ولا فاق لها خبر وهم ينبوع الحكم وأعيان الامم
وما هذه الفطرة في الرسول الا من صفاء جوهره وخلوص مخبره

(فصل) والخصلة الثانية حفظه لما أطلع الله تعالى عليه من قصص الانبياء
مع الامم واخبار العالم في الزمن الاقدم حتى لم يعزب عنه منها صغير ولا كبير
ولا شذ عنه منها قليل ولا كثير وهو لا يضبطها بكتاب يدرسه ولا يحفظها بعين
تحرسه وما ذاك الا من ذهن صحيح وصدر فسيح وقاب شريح وهذه الثلاثة
آلة ما استودع من الرسالة وجل من أعباء النبوة فخير أن يكون بها مبعوثا
وعلى القيام بها محتوثا

(فصل) والخصلة الثالثة احكامه الما شرع باظهر دليل وبيانه بأوضح تعليل
حتى لم يخرج منه ما يوجب معقول ولا دخل فيه ما تدفعه العقول ولذلك قال
صلى الله تعالى عليه وسلم أوتيت جوامع الكلم واختصرت لي الحكمة اختصارا
لانه نبه بالقليل على الكثير فكف عن الاطالة وكشف عن الجهالة وما تيسر
ذلك الا وهو عليه معان واليه مفاد

(فصل) والخصلة الرابعة ما أمر به من محاسن الاخلاق ودعا اليه من
مستحسن الآداب وحث عليه من صلة الارحام وندب اليه من التعطف على
الضعفاء والايام ثم ما نهى عنه من التباغض والتحاسد وكف عنه من التقاطع
والتباعد فقال لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباعدوا وكونوا عباد الله اخوانا
لتكون الفضائل فيهم أكثر ومحاسن الاخلاق بينهم أكثر ومنعهم
الآداب عليهم أظهر وتكون الى الخير أسرع ومن الشر أمانع فيتحقق فيهم

قول الله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر
فلزموا أوامرهم واتقوا زواجرهم فتكامل بهم صلاح دينهم ودينهم حتى
عزهم الاسلام بعد ضعفه وذل بهم الشرك بعد عزه فصاروا أئمة أبرار
وقادة أخيار

(فصل) والخصلة الخامسة وضوح جوابه اذا سئل وظهور حجاجه اذا جودل
لا يحصره عي ولا يقطعه عجز ولا يعارضه خصم في جدال الا كان جوابه أوضح
وحجاجه أرح. أتاه أبي بن خلف بعظم نفخ من المقابر قد صار رميمًا فخره حتى
صار كالرماد ثم قال يا محمد أنت تزعم اننا آباءنا نعود اذا هربنا هكذا لقد قلت قولا
عظيمًا ما سمعناه من غيرك من يحيي العظام وهي رميم فأنطق الله تعالى رسوله
صلى الله تعالى عليه وسلم ببرهان نبوته فقال يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو
بكل خلق عليم فانصرف مهوتا ولم يخرجوا بالاجابة ولما قال عليه الصلاة والسلام
لا عدوى ولا طيرة قال له رجل يا رسول الله ان انا نرى النقرة من الجرب في مشفر
البعير فيعدو سائرته قال فمن أعدى الاول وأسكته

(فصل) والخصلة السادسة انه محفوظ اللسان من تحريف في قول واسترسال
في خبر يكون الى الكذب منسوبا وللصدق مجانبًا فانه لم يزل مشهورا بالصدق
في خبره فاشيا وكثيرا حتى صار بالصدق مرقوما وبالامانة مرسوما وكانت
قريش بأسرها تتيقن صدقه قبل الى الاسلام فجهروا بكذبه في استدعائهم
اليه فنهى عن كذبه حسدا ومنهم من كذبه عنادا ومنهم من كذبه استبعادا
أن يكون نبيا أو رسولا ولو حفظوا عليه كذبة نادرة في غير الرسالة لجعلوها دليلا
على تكذبه في الرسالة ومن لزم الصدق في صغره كان له في الكبر ألزم ومن عصم
منه في حق نفسه كان في حقوق الله تعالى أعصم وحسبك بهذا دفعا للجاحد
ورد المعاند

(فصل) والخصلة السابعة تحرير كلامه في التوخي به إبان حاجته والاقتصار
منه على قدر كفايته فلا يسترسل فيه هدرا ولا يحجم عنه حصرا وهو فيماعد
حالي الحاجة والكفاية أجمل الناس صمتا وأحسنهم صمتا ولذلك حفظ كلامه

حتى لم يختل وظهر رونقه حتى لم يعتل واستعذبه الافواه حتى بقي محفوظا في القلوب مدوناً في الكتب فلن يسلم الاكثر من زلل ولا الهـ مذر من ملل أكثر اعرابي عنده الكلام فيقال يا اعرابي كم دون لسانك من حجاب قال شفتاي وأسنانى فقال صلى الله تعالى عليه وسلم أن الله يكره الانبعاث في الكلام فنضر الله وجه امرئ قصر من لسانه واقتصر على حاجته

(فصل) والخصلة الثامنة انه أفصح الناس لسانا وأوضحهم بيانا وأجزمهم كلاما وأجزلهم ألفاظا وأصحهم معاني لا يظهر فيه هجعة المتكاف ولا يتخلله فيهقة التعسف وقل صلى الله تعالى عليه وسلم أبغضكم الى الثرثارون المتفهبون وقال اياك والتشادق وما نزل عليه قوله تعالى في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه بنى مسجد قباء فضرع عبد الله بن رواحة فقال يا رسول الله قد أفلح من بنى المساجد قال نعم يا ابن رواحة قال ولم يبت لله الاساجد قال يا ابن رواحة كف عن السجع فما أعطى عبد شمس من طلاقة في لسانه

(فصل) فن كلامه الذي لا يشاكل في إيجازه قوله صلى الله تعالى عليه وسلم الناس بزمانهم أشبهه وقوله ما هلك امرؤ عرف قدره وقوله لوتجك كاشفتم ما تداقنتم وقوله السعيد من وعظ بغيره وقوله حبك للشيء يعنى ويصم وقوله الله قل ألف مألوف وقوله العدة عطية وقوله اللهم انى أعوذ بك من طمع يهدى الى طبع وقوله أفضل الصدقة جهد المقل وقوله اليد العليا خير من اليد السفلى وقوله ترك الشر صدقة وقوله الخير كثير وقيل فاعله وقوله الناس كمدان الذهب وقوله نزلت المعونة على قدر المؤنة وقوله اذا أراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من نفسه وقوله أذلة مائة الى من اتهمتك ولا تخن من خانك وقوله المؤمن غر كريم والفاجر خب لئيم وقوله الدنيا سجن المؤمن وبلاؤه وجنة الكافر ورعاؤه

(فصل) ومن كلامه الذي لا يشاكل في فصاحته قوله صلى الله تعالى عليه وسلم اياكم والمشاورة فانها غيت الغرة وتحبى الغرة وقوله لا تزال أمتى بخير ما لم تر الا مائة مغنما والصدقة مغرما وقوله رحم الله عبدا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم

وقوله اللهم اني أعوذ بك من علم لا ينفع ونفس لا تشبع وقلب لا يخشع وعين
 لا تدمع هل يطمع أحدكم الاغنى مطعيا أو فقرا منسيا أو مرضا مفسدا
 أو هراما مفندا أو الدجال فهو شر غائب ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمر
 وقوله ثلاث منجيات وثلاث مهلكات فأما المنجيات فخشية الله تعالى في السر
 والعامة والاقتصاء في الغنى والفقر والحكم بالعدل في الرضا والغضب وأما
 المهلكات فشح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه وقوله تقبلوا إلى بنس
 أتقبل إليكم بالجنة قالوا وما هي يا رسول الله قال اذا حدث أحدكم فلا يكذب واذا
 وعد فلا يخلف واذا اتتمن فلا يخن غصوا أبصاركم واحفظوا فروجكم وكفوا
 أيديكم وقوله في بعض خطبه ألا ان الايام تطوى والاعمار تقنى والابدان في
 الترى تبلى وان الليل والنهار يترا كضان ترا كض البريد يقربان كل بعيد
 ويخلقان كل جديد وفي ذلك عباد الله ما ألهى عن الشهوات ورغب في الباقيات
 الصالحات وقوله في بعض خطبه وقد خاف من أصحابه فترة أيها الناس كأن
 الموت فيهما على غيرنا كتب وكأن الحق فيهما على غيرنا وجب وكأن الذي
 يشيع من الاموات سفر عاقيل النار ارجعون نبؤهم أجسادهم ونأكل
 تراشهم كأننا نخلدون بعدهم قد نسينا كل واعظة وأما كل جائحة طوي لمن
 شغلته آخرته عن دنياه طوي لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وهذا يسير من
 كثير ولا يأتي عليه احصاء ولا يبلغه استقصاء وانما ذكرنا مثالا ليعلم أن
 كلامه جامع لشر وطالب البلاغة ومعرب عن نهج الفصاحة ولو خرج بغيره لتمييز
 بأسلوبه ولظهور فيه آثار التنافر فلم يات بسحقه من باطله ولبيان صدقه من كذبه
 هذا ولم يكن متعاطيا للبلاغة ولا مخالطا لاهلها من خطباء أو شعراء أو فصحاء
 وانما هو من غرائز فطرته وبداية جبلته وما ذاك الا لغاية تراد وحادثة تشاد
 (فان قيل) اذا كان كلامه مخالفا لكلام غيره في البلاغة والفصاحة حتى لم يكن
 فيه مساجلا يكون له معجزا (قيل له) لو كان هكذا وتحدث به صار معجزا ولا يكون
 مع عدم التصدي معجزا
 (فصل) وأما الوجه الرابع في فضائل أفعاله فختبر بثمان خصال احدا من حسن

سيرته وصحة سياسته في دين ابتكر شرعه حتى استقر وتدير أحسن وضعه حتى استمر نقبل به الامة عن مألوف وصر فهم به عن معروف الى غير معروف فأذعن قلبه النفوس طوعا وانقاد خوفها وطمعا وشديد عادة منتزعة الامن كان مع التأييد الالهى معانا بحزم صائب وعزم ثاقب ولئن كان مأمورا بمأشرع فهي الحجة القاهرة ولئن كان مجتهدا فهي الفاهية الباهرة وحسبك بما استقرت قواعده على الابد حتى انتقل عن سلف الى خلف يزداد فيهم حلاوته ويشهد فيهم جديته ويرونه نظاما لا عصا ترتقلب صروفها ويختلف مألوفها أن يكون لمن قام به برهانا ولئن ارتاب به بيانا

(فصل) والخصلة الثانية أن جمع بين رغبة من استمال ورهبة من استطاع حتى اجتمع الفريقان على نصرته وقاموا بحقوق دعوته رغبا في عاجل وآجل ورهبا من زائل ونازل لاختلاف الشيم والطباع في الانقياد الذي لا ينتظم بأحدهما ولا يستديم الا بهما فلذلك صار الدين بهما مستقرا والصلاح بهما مستمرا

(فصل) والخصلة الثالثة انه عدل فيما شرعه من الدين عن غلو النصرارى في التشديد وعن تقدير اليهود في التقصير الى التوسط بينهما وخير الامور واسطها لانه العدل بين طرفي سرف وتقصير فليس لما جاوز العدل حظ من رشد ولا نصيب من سداد وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم ان هذا الدين متين فاوغلوا فيه برفق فشر السير الحقيقية وان المنبت لأرضاقطع ولاظهر أبقى

(فصل) والخصلة الرابعة انه لم يعمل باصحابه الى الدنيا كما رغبت اليهود ولا الى رفضها كما ترهبت النصرارى وأمرهم فيها بالاعتدال أن يطلبوا منها قدر الكفاية ويعدلوا عن احتجان واستراده وقال لأصحابه خيركم من لم يترك دنياه لا آخره ولا آخرته لدنياه ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه وهذا صحيح لان الانقطاع الى أحدهما اختلال والجمع بينهما اعتدال وقال صلى الله تعالى عليه وسلم نعم المطية الدنيا فارتحلوها تباغكم الآخرة وانما كان كذلك لان منها يتزود لا آخره ويستكثر فيها من طاعته ولانه لا يخلو تاركها من أن يكون محرما مضاعا أو مرحوما مراعى وهو في الاول كل وفي الثاني مستذل

(أثنى على رجل بخير) عند رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وقالوا يا رسول الله
 كئنا اذ اركبنا لا يزال يذكر الله تعالى حتى تنزل واذ انزلنا لا يزال يصلى حتى نرفع
 فقال فن كان يكفيه علف بعيره واصلاح طعامه فقالوا كئنا قال فـ كما يحكم خير منه
 (فصل) والخصلة الخامسة تصديه لعالم الدين ونوازل الاحكام حتى أوضح للامة
 ما كلنوه من العبادات وبين لهم ما يحل ويحرم من مباحات ومحظورات وفصل
 لهم ما يجوز ويمتنع من عقود ومناكح ومعاملات حتى احتاج اليهود في كثير من
 معاملاتهم ومواريتهم لشرعه ولم يحتاج شرعه الى شرع غيره ثم مهد لشرعه أصولا
 تدل على الحوادث المغفلة ويستنبط لها الاحكام المعلة فاغنى عن نص بعد ارتقائه
 وعن التباس بعد اغفاله ثم أمر الشاهد أن يبلغ الغائب ليعلم بانذاره ويحتاج
 بانظاره فقال صلى الله تعالى عليه وسلم بلغوا عنى ولا تكذبوا على قرب مبلغ أوعى
 من سامع ورب حامل فقه الى من هو أفقه منه فاحكم ما شرع من نص وتنبية
 وعم بما أمر من حاضر وبعيد حتى صار ما تحمله من الشرع مؤثريا ولما تقلده
 من حقوق الامة موفيا لئلا يكون في حقوق الله زائل ولا في مصالح الامة خال
 وذلك في برهة من زمانه لم يستوف تطاول الاستيعاب حتى أوجز وأنجز وما ذاك
 الا بديع معجزهم ~~في~~ الخصلة السادسة انتصابه لجهاد الاعداء وقد أحاطوا
 بجهاته وأحدقوا بجنائنه وهوى قطب مهجور وعدد محقور فزاد به من قل
 وعز به من ذل وصار بانحائه في الاعداء محذورا وبالرعب منه منصورا لجمع
 بين التصدي لشرع الدين حتى ظهر وانتشروا بين الانتصاب لجهاد العدو حتى قهر
 وانتصر والجمع بينهما معوز الامن أمده الله بموته وأيده بلطفه والمعوز معجز
~~في~~ الخصلة السابعة ما خص به من الشجاعة في حروبه والنجدة في مصابرة عدوه
 فانه لم يشهد حربا في فزاع الا صابر حتى انجلت عن ظفر أو دفاع وهوى موقفه لم
 يزل عنه هربا ولا حاز فيه رغبا بل ثبت بقلب آمن وجاش ساكن قدولى عنه
 أصحابه يوم حنين حتى بقي بازاء جمع كثير وجم غفير في تسعة من أهل بيته
 وأصحابه على بغلة مسبوقه ان طلبت غير مستعدة للحرب ولا طلب وهو ينادى
 أصحابه ويظهر نفسه ويقول الى عباد الله أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

فعادوا أشدا وأرسالا وهو أزن تراه وتحمم عنه فها ب حرب من كثره ولا ان كفا
 عن مصالوة من صابره وقد عضده الله تعالى بانجاد وأنجاد فانحازوا وصبر حتى
 أمده الله بنصره وما لهذه الشعبة من عديل ولقد طرق المدينة فزع فانطلق
 الناس نحو الصوت فوجدوا رسول الله صلى الله تعالى وسلم قد سبقهم اليه فتلقوه
 عاندا على فرس عري لابي طلحة الانصاري وعليه السيف فجعل يقول أيها الناس
 لم تراعوا بل تراعوا ثم قال لابي طلحة انا وجدناه بحرا وكان الفرس يبطئ فاسبقه
 فرس بعد ذلك وما ذاك الا عن ثقة من ان الله تعالى سينصره وان دينه سيظهره
 تحقية القوله تعالى ليظهره على الدين كله وتصديق القول رسوله صلى الله تعالى
 عليه وسلم زويت الى الارض فرأيت مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي ما زوى
 لي منها وكفى بهذا قياما بحقه وشاهدا على صدقه والخصلة الثامنة مما منع من
 السخاء والجود حتى جاد بكل موجود وآثر بكل مطلوب ومحجوب ومات ودرعه
 مرهونة عند يهودى على أصع من شعير اطعام أهله وقد ملك خيرة العرب وكان
 فيها مالوك وأقبال لهم خزائن وأموال يقتنونها ذخرا ويتباهون بها فخرا
 ويسمتمعون بها أثرا وبطرا وقد حاز ملك جميعهم فاقتنى دينار اولادها
 لايأكل الا الخشب ولا يلبس الا الخشن ويعطى الجزل الخطير ويصل الجمل الغفير
 ويتجترع مرارة الاقلال ويصبر على سغب الاختلال وقد حاز غنائم هوازن وهى
 من السبي ستة آلاف رأس ومن الابل أربعة وعشرون ألف بعير ومن الغنم
 أربعون ألف شاة ومن الفضة أربعة آلاف أوقية فجاء بجميع حقه وعادوا
 * روى أبو وائل عن مسروق عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت مات رسول
 الله صلى الله تعالى عليه وسلم دينار اولادها ولا شاة ولا بعير ولا أوصى بشئ وروى
 عمرو بن مرة عن سويد بن الحرث عن أبي ذر قال قل رسول الله صلى الله تعالى عليه
 وسلم ما يسرنى أن لي أحدا ذهبا أنفقته في سبيل الله أموت يوم أموت وعندى منه
 دينار الا أن أعدده لغريم * وكان صلى الله تعالى عليه وسلم اذا سئل وهو معدم وعد
 ولم يرتدوا انتظر ما يفتح الله فروى جناد بن زيد عن المهدي بن زياد عن الحسن ان
 رجلا جاء الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم يسأله فقال اجلس سيرزقك الله ثم

جاء آخر ثم آخر فقال لهم اجلسوا فخرج رجل بأربع أواق فأعطاه أياها وقال
يا رسول الله هذه صدقة فدعا الأول فأعطاه أوقية ثم دعا الثاني فأعطاه أوقية ثم
دعا الثالث فأعطاه أوقية وبقيت معه أوقية واحدة فعرض بها للقوم فقام أحد
فلما كان الليل وضعها تحت رأسه وفرشه عباه فجعل لا يأخذ النوم فيرجع فيصلي
فقال له عائشة يا رسول الله حمل بك شيء قال لا قالت فجاءك أمر من الله قال
لا قالت انك صنعت منذ الليلة شيئا لم تكن تفعله فخرجها وقال هذه التي فعلت بي
ما ترين اني خشيت أن يحدث أمر من أمر الله ولم أمضها وروى الزهري عن أبي
سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال أنا أولى بالمومنين من
أنفسهم فمن ترك ديني فاعلى ومن ترك مالا فلورثته فهل مثل هذا الكرم والجود
كرما وجودا أم هل لمثل هذا الاعراض والزهادة اعراضا وزهدا هيئات هل
يدرك شأوم من هذه شذور من فضائله ويسير من محاسنه التي لا يحصى لها عدد
ولا يدرك لها أمد لم تكمل في غيره فيساويه ولا كذب بها ضديناويه واقد جهد
كل منافق ومعاود وكل زنديق وملمد أن يزري عليه في قول أو فعل أو ينظر
بهم فوة في جد أو هزل فلم يجد اليه سبيلا وقد جهد جهده وجمع كيده فأى فضل
أعظم من فضل تشاهده المحسدة والاعداء فلم يجدوا فيه معجزا لثالب أو قادح ولا
مطعنا لجارح أو فاضح فهو كما قال الشاعر

شهد الانام بفضله حتى العدى * والفضل ما شهدت به الاعداء

وحقيق ان بلغ من الفضائل غايتها واستكمل لغايات الامور آلتها أن يكون
لزعامة العالم مؤهلا وللقيام بمصالح الخلق موكلا ولا غاية بعد النبوة ان يدعم به
صلاح أو ينحسم به فساد فاقضى أن يكون لها أهلا وللقيام بها مؤهلا ولذلك
استقرت به حين بعث رسولا ونهض بحقوقها حين قام به كفيلا فتناسها واناسبت
ولم يذهل لها حين أتته وكل متناسبين متشاكلان وكل متشاكلين مؤتلفان
وكل مؤتلفين متفقان والاتفاق وفاق هو أصل كل انتظام وقاعدة كل التمام
فكان ذلك من أوضح الشواهد على صحة نبوته وأظهر الامارات في صدق
رسالته فأي نكرها به الوضوح الامفصوح والحمد لله الذي وفق لاطاعته

وهدي الى التصديق برسالة

الباب الحادي والعشرون في مبدء بعثته واستقرار نبوته صلى الله تعالى عليه وسلم
 ان الله تعالى لكل مقدور من الامور اذ ادنا نذيرا وبشيرا يظهر به ما مبادى
 ما أخفاه وبشيرا يحلوه ما قدره وقضاه ليكونا نذيرا وتحذيرا تستيقظ بهما
 العقول ويزدجر بهما الجهول لطفا بعباده من فجأة الامور المذهلة ان تصدم
 بيوادر لا تستدرك لتكون النفوس في مهلة من استدفاع خطبها وحل صحتها
 ولما دنا مبعث رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بالنبوة رسولا والى الخلق بشيرا
 ونذيرا انتشر في الامم ان الله تعالى سيبعث نبيا في هذا الزمان وان ظهوره قد
 قرب وان فكانت كل أمة لها كتاب يعرف ذلك من كتابها والتي لا كتاب لها
 ترى من الآيات المندرة ما تستدل عليه بعقولها وتنبه عليه بها وحس فطرها
 إلهاما أعان به الفطن اللبيب وأنذره بالحازم الاريب هذا ورسول الله صلى الله
 تعالى عليه وسلم غافل عنها وغير عالم انه من ادبها ومؤهل لها لم يشعر بها حتى نودي
 ولا تحققها حتى نوحى اليه يكون أبعد من التهمة وأسلم من الظنة فيكون برهانه
 أظهر وحججه أقوى وكان مع تميزه عن قومه بشرف أخلاقه وكرم طباعه لم يعبد
 معهم صنما ولا عظم وثنا وكان متدينا بفرائض العقول في قول جميع الفقهاء
 والمتكلمين من توحيد الله تعالى وقدمه وحدوث العالم وفنائه وشكر المنعم
 وتحريم الظلم ووجوب الانصاف وأداء الامانة واختلاف أهل العلم هل كان قبل
 مبعثه متعبدا بشريعة من تقدمه من الانبياء فذهب أكثر المتكلمين وبعض
 الفقهاء من أصحاب الشافعي وأبي حنيفة الى انه لم يكن متعبدا بشريعة من تقدمه
 من الانبياء لانه لو تعبد بها لتعلمها ولعمل بها ولو عمل بها لظهرت منه ولو ظهرت منه
 لاتبعه فيها الموانق ونارعه فيها المخالف وذهب بعض المتكلمين وأكثر الفقهاء
 من أصحاب الشافعي وأبي حنيفة الى انه كان متعبدا بشريعة من تقدمه من
 الانبياء لانهم دعوا الى شرائعهم من عاصرهم ومن يأتي بعدهم مالم تنسخ بنبوة
 حادثة فدخل الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم في عموم الدعاء قبل مبعثه لان الله
 تعالى لا يخلق زمانا من شرع متبوع ولا متدينا من تعبد مسموع واختلاف من

قال بهذا فيما كان متعبا دابه من الشرائع المتقدمة فذهب بعضهم الى انه كان متعبا بشريعة جده ابراهيم عليه السلام لقوله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولانه كان في الحج والعمرق على مناسكه وذهب آخرون الى انه كان متعبا بشريعة موسى فيما لم تنسخه شريعة عيسى عليهم السلام لظهور شريعته في التوراة ودروس ما تقدمها من الشرائع مع قول الله تعالى انا انزلنا التوراة فيها هادي ونور وذهب آخرون الى انه كان متعبا بشريعة عيسى عليه السلام لانها كانت ناسخة لشريعة موسى فسلم قبل مبعثه من حرج في دينه وقدح في يقينه وهذا من أمارات الاصطفا ومقدمات الاجتبا

(فصل) ولما جد الامر في النبوة ودنا وقتها حجب الله تعالى الى رسوله الخلاء بعد أربعين سنة من عمره حين تكامل نهاء واشتد قواه ليكون منهيا لما قدر له ومتأهبا لما أريد له فكان يتخلى في غار بجرا في ذوات العدد من الليالي (وقيل) شهر في السنة على عادة كانت لقريش في التبرز بالمجاورة بجرا ويعود الى أهله الى ان استدام الخلاء في الغار لما أراد الله تعالى به فكان يؤتي بطعامه وشربه فيأكل منه ويطعم المساكين برهة من زمانه وهو غافل عن النبوة وان كان في الناس موهوما وعند أهل الكتب معلوما ليكون ابتكار اليدية بها مانعا من التصنع لها فلا ينسب الى اختراعها ولو تصنع واخترع لظهرت أسبابها وتمت شواهدهما ولم يخف على من عاداه أن يتداوله وعلى من والاه أن يتأوله وحسبك بهذا وضوحا أن يكون بعيدا من التهمة بهما سلما من الظنة بهما فلم يزل صلى الله تعالى عليه وسلم على خلوته الى ان أظهر الله تعالى له أمارات نبوته فأيقظه بها بعد الغفلة وبشره بها بعد المهلة ثم بعثه بها رسولا بعد البشري على تدريج ترتبت فيها أحواله ليتوطأ التحمل أثقالها ويعلم لوازم حقوقها حتى لا تنجأه بغتة فيذهل ولا يخفى عليه حقوقها فينكسر كل وكان ذلك من الله لطفا به وانعاما عليه وداعيا لامته في الانقياد اليه فسبحانه من لطيف بعباده منعم على خلقه

(فصل) تدرجت اليه أحواله في النبوة حتى علم انه نبي مبعوث ورسول مبلغ

ترتب تدرجه على ستة أحوال نقل فيهن الى منزلة بعد منزلة حتى بلغ غايتها
 * فالمنزلة الاولى الرؤيا الصادقة في منامه بما سيؤول اليه أمره فكان ذلك
 اذ كان بها ليروض لها نفسه ويختبر فيها حواسه فيقوم بها اذا بعث وهو عليها
 قوى وبها ملي روى الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت
 أول ما ابتدئ به رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة كانت
 تحيى مثل فلق الصبح حتى يخفى الحق واختلف في هذه الرؤيا هل كانت قبل
 انقطاعه الى الخلوة بعراء في بني عروة عن عائشة أنه حجب اليه الخلاء بعد الرؤيا
 وذهب قوم الى ان الرؤيا جاءت بعد خلوته لانه خلا على غفلة من أمره وقدرت
 برة بنت أبي تجراء ان الله تعالى لما أراد كرامته رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم
 بالنبوة كان لا يمر بشجر ولا حجر الا قال السلام عليه كيارسول الله فكان يلتفت
 عن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى أحدا فاحتمل ان يكون ذلك قبل رؤيا المنام فيكون
 كالتوفى الخارجة عن اعلام الوحي الى اعجاز النبوة واحتمل ان يكون بعد الرؤيا
 فيكون تصديقا لها وتحقيقا لصحتها والمنزلة الثانية ما ميز به عن سائر الخلق من
 تقدسه عن الارجاس ونظيره من الاناس ليس فوقه صطفى ويخلص
 فيستخلص فيكون ذلك انذار الامر وتنبيه على العاقبة وهو ما رواه عن عروة
 ابن الزبير عن أبي ذر الغفاري قال سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن أول
 نبوته فقال يا أبا ذر أتاني ملاكان وأنا به طمعا مكة فوقع أحدهما على الارض والاخر
 بين السماء والارض فقال أحدهما صاحبه أهو هو قال هو هو قال فزنه برجل
 من أمته فوزنت برجل فربحته ثم قال زنه بعشرة فوزنت بعشرة فربحتهم ثم
 قال زنه بمائة فوزنت بمائة فربحتهم ثم قال زنه بألف فوزنت بألف فربحتهم فعملوا
 ينثرون على كفة الميزان فقال أحدهما للآخر لو وزنته بأمتته ربحتها ثم قال
 أحدهما لصاحبه شق بطنه فشق بطني ثم قال شق قلبه فشق قلبي فأخرج منه مغمر
 الشيطان وعلق الدم ثم قال اغسل بطنه غسل الاناء واغسل قلبه غسل الملاء ثم دعا
 بالسكينة فادخلت قلبي ثم قال خط بطنه فخط بطني فها هو ان وليا حتى كأنا
 أعان الامر وروى أنس بن مالك قال لما حان أن ينبا رسول الله صلى الله تعالى

عليه وسلم كان ينام حول الكعبة وكانت قريش تنام حولها فأتاه جبريل وميكائيل
فقالا بأبيهم أمرا فقالا أمرنا بسيدهم ثم ذهبوا وجاء آمن القابلة وهم ثلاثة فألقوه
وهو نائم فقلبه وظهره وشقوا بطنه ثم جاؤا بآباءه من زمزم فغسلوا ما كان في بطنه
من شك أو ضلالة أو جاهلية ثم جاؤا بطنه من ذهب قدمائت إيماناً وحكمة فلقى
بطنه وجوفه إيماناً وحكمة وهـ ذام موافق الحديث أبي ذر في المعنى وإن خالفه في
الصفة فتوارد في الرواية وهو أنذار بالنبوة والمنزلة الثالثة البشرية بالنبوة من
ملك أخبره بها عن ربه واختصت بشرا بمبالاة شعاع وتجردت عن تكليف وإنذار
لم يسمع بها ولا رأى معها شخصا وإنما كان احساسا بالملك اقترن بآية دلت
وأماره ظهرت اكتفى بها عن مشاهدته واستغنى بها عن نطقه ليعلم أنه من أنبياء
الله تعالى فيتمأهب لوحيه ويعان بامهاله فيكون على البلوى أصبر والنعمة
أشكر روى الشعبي وداود بن عامر أن الله تعالى قرن اسرافيل بنبوة رسوله صلى
الله تعالى عليه وسلم ثلاث سنين يسمع حسبه ولا يرى شخصه ويعلمه الشيء بعد الشيء
ولا ينزل عليه بالقرآن فكان في هذه المدة مبشرا بالنبوة وغير مبشور إلى الأمة
فاحتمل أن يكون أمهاله فيها معونة للرسول واحتمل أن يكون نظر الأمة واحتمل
أن يكون لا وإن المصلحة وليس يمتنع أن يكون جميعها فإنه أعلم بسر ما أخفى
وأعرف بمعنى ما أظهر والمنزلة الرابعة أن نزل عليه جبريل بوحي ربه حتى رأى
شخصه وسمع مناجاته فأخبره أنه نبي الله ورسوله واقتصر به على الأخبار ولم
يأمره بالإنذار ليعلمها بعد البشرية عيانا ويقطع بها يقينا فيكون معتقده بها وثق
وعلمه بها أصدق فلا يعترضه وهم ولا يخالجه ريب روى الزهري عن عائشة
رضي الله تعالى عنها أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما بعثه الحق أتاه جبريل
عليه السلام فقال يا محمد أنت رسول الله قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فجنوت لر كبتى وأنا قائم ثم رجعت ترجف بوادري ثم دخلت على خديجة فقلت
زملوني زملوني حتى ذهب عني ثم أتاني فقال يا محمد أنا جبريل وأنت رسول الله ثم
قل أقرأ قلت ما أقرأ قال فاخذني فغتنى ثلاث مررات حتى بلغ مني الجهد وقال اقرأ
باسم ربك الذي خالق فأريت خديجة فقلت لقد أشفقت على نفسي فأخبرتها خبري

فقال أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتؤدى
الامانة وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت بي
الى ورقة بن نوفل وكان ابن عمها وخرج فى طلب الدين وقيل قرأ التوراة
والانجيل وتنصر وقالت اسمع من ابن أخيك فسألني فأخبرته خبري فقال هذا
الناموس الذى نزل على موسى عليه السلام يعنى جبريل عليه السلام ليتنى
أكون حيا حين يخرجك قومك قالت أو محرجي هم قال نعم انه لم يحجى رجل قط
بما جئت به الا عودى ولئن يدر كنى يهلك لا نصرك نصرا مؤزرا ثم كان أول
ما نزل على من القرآن به اقرأ والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك
بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم فاستبصر وبصرون
ونزل عليه ذلك ليزداد ثباتا ولنفسه استبصارا ولنعمة ربه شيكرا * وروى ان
خديجة قالت لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم هل تستطيع أن تخبرني
بصاحبك هذا اذا أتاك يعنى جبريل عليه السلام قال نعم قالت فاخبرني به اذا
جاءك فجاءه جبريل فقال لها يا خديجة هذا جبريل قد جاءك قالت قم فاجلس على
نخدي اليسرى فجلس عليها فقالت هل تراه قال نعم قالت فتحوّل على نخدي اليمنى
فتحوّل اليها فقالت هل تراه قال نعم قالت فتحوّل فى حجرى فتحوّل فى حجرها قالت
هل تراه قال نعم قال فحسرت وألقت خمارها وهو جالس فى حجرها فقالت هل
تراه قال لا قالت يا ابن عمي اثبت وابشر فوالله انه لك وما هو بشيطان وأمنت به
فكانت أول من أسلم من جميع الناس واستظهرت خديجة بما فعلته من هذا فى
حق نفسها الا فى حق الرسول ولا اسـمـتـظـهـارـا عليه واكتفى رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم فى تصديق جبريل بما عاينته خديجة من آياته المعجزة وكان ما نزل به
جبريل فى هذا الحال مقصورا على اخباره بالنبوة ليعلم ان الله تعالى قد اصطفاه لها
فينقطع اليه ويوقف نفسه على ما يؤمر به وينزل عليه فيكون لا وامره متبعا
ولما اراد به متوقعا وأذن له فى ذكره وان لم يؤذن له فى انذاره لقول الله تعالى
وأما بنعمة ربك فحدث أى بما جاءك من النبوة فكان يذكرها مستورا * والمنزلة
الخامسة ان أمر بعد النبوة بالانذار فصار به رسولا ونزل عليه القرآن بالامر

والنهي فصار به مبعوثا ولم يؤمر بالجهر وعوم الانذار ليختص عن أمنه
ويستدعن أجابه فنزل عليه قول الله تعالى يا أيها المذثرقم فأنذر وربك فكبر
وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تكن تسيئا كثر ولربك فاصبر فتمت نبوته
بالوحي والانذار وان كان على استبصار وكان ذلك في يوم الاثنين من شهر
رمضان (قال هشام بن محمد) أول ما فلق جبريل في ليلة السبت وليلة الاحد ثم
ظهر له برسالة في يوم الاثنين (وروى أبو قتادة) عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه
قال سألت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن صوم يوم الاثنين فقال ذلك يوم
ولدت فيه وأنزل علي فيه النبوة واختلف في أي اثنين كان من شهر رمضان
فقال أبو قتادة كان في الثامن عشر منه وقال أبو الخلد كان في الرابع والعشرين
منه وهو ابن أربعين سنة في قول الأكثرين أربعين سنة مضت من عام الفيل
وزعم قوم انه كان ابن ثلاث وأربعين سنة قال هشام بن محمد وذلك لعشرين سنة
من ملك كسرى ابرويز وقال غيره لسف عشرة سنة من ملكه ثم روى ان
جبريل عليه السلام نزل عليه في يوم الثلاثاء ثاني النبوة وهو بأعلى مكة فهم بعقبة
في ناحية الوادي فانفجرت منه عين فتوضأ جبريل منها ليريه كيف الطهور
فتوضأ مثل وضوئه ثم قام جبريل فصلى وصلى رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم بصلاته فكانت هذه أول عبادة فرضت عليه ثم انصرف جبريل فناء رسول
الله صلى الله تعالى عليه وسلم الى خديجة فتوضأ لها حتى توضأت وصلي بها كما صلى به
جبريل فكانت أول من توضأ بعده وصلى واستسرى بالانذار من يأمنه واختلف
في أول من أسلم بعد خديجة على ثلاثة أقاويل أحدها ان علي بن أبي طالب رضى
الله تعالى عنه أول من أسلم من الذكور وصلى وهو ابن تسع سنين وقيل ابن عشر
وهذا قول جابر بن عبد الله وزيد بن أسلم وروى يحيى بن عفيف عن أبيه عفيف قال
جئت في الجاهلية الى مكة فنزلت على العباس بن عبد المطلب فلما طلعت الشمس
وتحافت في السماء أقبل شاب فمر بي بصره الى السماء واستقبل الكعبة فقام
مستقبها فلم يلبث ان جاء عالا سلام عن عيینه فلم يلبث أن جاءت امرأة فقامت

خلفهم ما فرغ الشاب وركع الله - لام والمرأة ورفع الشاب فرفع السلام والمرأة فخر
 الشاب ساجدا فسجد معه فقلت للعباس يا عباس أمر عظيم هل تدري من هذا
 قال العباس نعم هذا محمد بن عبد الله ابن أخي وه - ذا علي بن أبي طالب ابن أخي
 وهذه خديجة ابنة خويلد زوجة ابن أخي وه - ذا حدثني ان رب السماء أمره بهذا
 الذي تراهم عليه وايم الله ما أعلم على ظهر الأرض كلها أحدا على هذا الدين غير
 هؤلاء الثلاثة والقول الثاني ان أول من أسلم وصلى أبو بكر رضي الله تعالى عنه
 وه - ذا قول ابن عباس وأبي أمامة الباهلي وروي أبو أمامة عن هرون عن عتبة
 السلمي قال أتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو نازل بعكاظ فقلت
 يا رسول الله من تبعك على هذا الأمر قال تبعني عليه رجلا ن حتر وعبد أبو بكر
 وبلال قال فاسلمت عند ذلك فلقد رأيته اذ ذاك ربيع الاس - لام وقال الشعبي
 سألت ابن عباس من أول الناس اسلا ما فقال أما سمعت قول حسان بن ثابت
 اذا نذ كرت شجوا من أخي ثقة * فاذا ذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
 خير البرية أتقاهوا وأعد لها * بعد النبي وأوفاهما بما جلا
 الثاني التالى المحمود مشهده * وأول الناس منهم صدق الرسلا
 والقول الثالث ان أول من أسلم زيد بن حارثة وه - ذا قول عروة بن الزبير وسليمان
 ابن يسار وجعل - أبو بكر يدعو الى الاس - لام من يشق به لانه كان تاجرا اذا خلق
 ومعروف وكان أنسب قريش لقريش وأعلمهم بما كانوا عليه من خير وشر
 حسن التأليف لهم وكانوا يكثر غشيانه فاسلم على يديه عثمان بن عفان وطهمة
 ابن عبيد الله والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف
 فجاءهم الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين استحب ابواله بالاسلام وصلوا
 فصاروا مع من تقدم غماتية نفرهم أول من أسلم وصلى وقيل انه أسلم معهم سعيد
 ابن العاص وأبوزر ثم تبع الناس فى الاس - لام ورسول الله صلى الله تعالى عليه
 وسلم على استسار بالداء وان انتشرت دعوته فى قريش * والمنزلة السادسة
 ان أمر ان يعم بالانذار بعد خصوصه ويجهز بالدعاء الى الاسلام بعد استسار
 فانزل الله تعالى عليه فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين فجهر بالدعاء قال

ابن اسحق ذلك بعد ثلاث سنين من مبعثه وأمر أن يبدأ بعشيرته الأقربين فقال
 تعالى وأندرعشيرتك الأقربين وانخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين قال
 ابن عباس فصعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الصفا فنهت يا ضبا حاه
 يا بني عبد المطالب يا بني عبد مناف حتى ذكر الأقرب فالأقرب من قبائل قريش
 فاجتمعوا إليه وقالوا مالك قال أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا
 الجبل أما كنتم تضدقوني قالوا بلى ما جئنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي
 عذاب شديد فقال أبو لهب تباه ألهذا جئتنا ثم قام فاقرأ الله تعالى تبت يد أبي
 لهب وتب إلى آخر السورة قال ابن اسحق ولم يكن في قريش في دعائه لهم مبالغة
 له ولكن ردوا عليه بعض الرد حتى ذكر آلهتهم وعابها وسفهأحلأهمهم في عبادتها
 فلما فعل ذلك أجمعوا على خلافه وتظاهروا بعبادته الامن عهده الله تعالى منهم
 بالاسلام وهم قاييل مستحقرون فصار بموم الانذار والجهر بالدعاء إلى
 التوحيد والاسلام عام النبوة مبعوثا إلى كافة الامة فأكمل الله تعالى بذلك
 نبوته وعم به رسالته فصعد على بأمرة وقام بحقه وجاهد بآذاره وعم بدعائه
 وجاهد في الله حق جهاده حتى خصم قريشا حين جادلوه وصارهم حين عاندوه
 وجهم غفير وجعهم كثير إلى أن عات كلمته وظهرت دعوته وكابد من
 الشدائد ما لم يثبت عليها الا معصوم ولا يسلم منها الا منصور وكل هذه آيات تنذر
 بالحق وتلائم الصدق لان الله لا يهدي كيدا الخاشين ولا يصلح عمل المفسدين
 (فصل - ل) فاما ما شرعه من الدين فالشرع بعد التوحيد يستعمل على قسمين
 عبادات وأحكام فاما العبادات فلم يشرع منها مدة مقامه بركة الا الطهارة
 والصلاة حين علمه جبريل الوضوء والصلاة وكانت فرضا عليه وسنة لا أمته
 لقول الله تعالى يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا أو زد عليه
 فكان هذا حكمها في حقه وحقوق أمته إلى ان فرضت الصلوات الخمس بعد
 اسرائه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وذلك في السنة التاسعة من نبوته
 فصارت الصلوات الخمس فرضا عليه وعلى أمته ولم يفرض ما سواها من العبادات
 حتى هاجر إلى المدينة وصارت له بالاسلام دارا وصار أهلها أنصارا فقول

ما فرض بالمدينة من العبادات بعد فرض الصلوات الخمس بمكة صيام شهر رمضان
 في الثانية من الهجرة في شعبان وفيها حوّلت القبلة عن بيت المقدس الى الكعبة
 وفرض فيها زكاة الفطر وشرع فيها صلاة العيد وكان فرض الجمعة قد تقدم في
 أول الهجرة بدلا من صلاة الظهر ثم فرضت زكاة الاموال بعد ظهور القوة
 وسد الخلة ثم الحج والعمرة وأما الاحكام فيها أوجبته قضاياء عقول من تحريم
 القتل والزنا كان مشروعا بمكة مع ظهور أنذاره وما تردد في قضاياء العقول بين
 فعله وتركه كف عن الخبيث فيه بتحليل أو تحريم أو حظر أو اباحه أو استحباب
 أو كراهة فلم يحلل بمكة حلالا ولا حرم بها حراما حتى هاجر منها فلم يعد
 الهجرة وحرم وأباح وحظر لانه كان بمكة مغلوبا باستيلاء قريش عليها
 وكانت دار شرك لا ينفذ فيها أحكامه فلم يحلل ولم يحرم حتى صار بالمدينة في دار
 اسلام تنفذ فيها أحكامه فبين ما حل وحرم وبين ما أباح وحظر وبين ما يصح
 من العقول ويفسد ولذلك كان بمكة مسالما وبالمدينة محاربا فكانت الحكمة
 موافقة لافعاله والتوفيق معاضد لاقواله وأن كان مأمورا بها كما قال الله
 تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى لكن لحسن قيامه بها وموافقة

الصواب في مواضعها تظهر آثار حكمته في صحة خزمه وصدق

عزمه فهذه جملة متفقة في اعلام نبوته وقاعدة مستقرة في

ترتيب رسالته وأحكام شريعته فاما أحكام جهاده في

حروبه وغزواته فسنذكره في كتاب نفرد به

في سيرته نوضح به مواقع أعماله

ومبادئ أحكامه وبالله

تعالى التوفيق

تم

نحمدك أن أطلعت شمس السعادة * بكوكب المجد وأمس السيادة * وأظهرت
 من اعلام نبوته ما كبت أهل الضلالة * ومحاذم الكفر فلم ينل أحد من النبيين
 ماناله * سيدنا محمد ذي الآيات المعجزة الجمة * المبعوث رحمة لآلته * صلى
 الله وسلم عليه وعلى آله * وصحابة والتابعين ومن على منواله * وبه * فقد تم
 طبع اعلام النبوة * المشتمل من سيرة المصطفى على ما يزيل الغم * ألا وهو
 نسيج من سارثر الركب ان بتأليفه * العلامة الماوردي ذي اليد الطولى في
 تحبيره وتصنيفه * ملتمز ما طبعه على نفقته الراحي من الله بلوغ المراد * حضرة
 الحاج محمد أفندي العسافي ببغداد * جزاه الله على هذا الصنيع الجميل أحسن
 جزاء * بحجاء النبي وآله البررة الاتقياء * وقد انتهى طبعها * وراق شكلا ووضعها *
 بالمطبعة البهية * ذات الادوات المرضية * الثابت محل ادارتها بحوش قدم من
 مصر المعزية * ادارة حليف الصفا وطلوفا * حضرة محمد أفندي مصطفى *

في أوائل أول الربيعين * من عام ١٣١٩ من هجرة سيد

الثقائين * صلى الله وسلم عليه وعلى اخوانه من

النبيين * والصدّيقين والشهداء

والصالحين *

آمين



